المعرفة

128

العدد ١٢٨ ذو القعدة ١٤٢٦ هـ ديسمبر ٢٠٠٥م

Newsweek بالـلغـة العربيـة

FP Foreign Policy النسخة العربية

Forbes العربية

RMC راديو مونتي كارلو

BusinessWeek العربية

DW-WORLD.DE DEUTSCHE WELLE

BBC ARABIC

الحرة ALHURRA TV

CNN بالعربية

١٤٨٠٠ ريال
كلفة الطالب
بمدينة الرياض

سعد عطية الغامدي
إغراءات القطاع
الخاص قضت
على حلمي!

لماذا نتعلم
الرياضيات؟

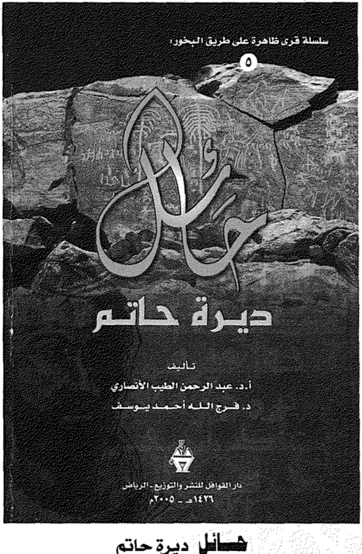
حمزة بيت المال :
السعودية مادة
دسمة للجميع
سياسيًا وجنسيًا..

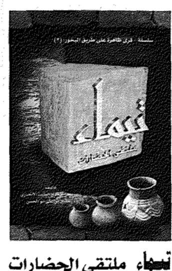
تعريب وسائل الإعلام الغربية..

الغرب «بيتكلم» عربي!

إصدارات دار القوافل للنشر والتوزيع

صدر حديثا :

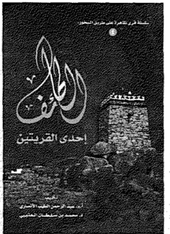


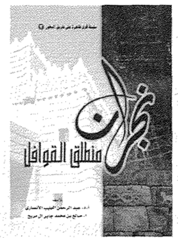




العلا ومدائن صالح

تيماء ملتقى الحضارات





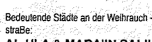
نجران منطلق القوافل

الطائف إحدى القريتين

حائل ديرة حاتم

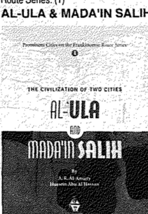
Collection: «Cit'es Prestigieuses sur la route de l'Encens»
AL-ULA & MADA'IN SALIH
Histoire De Deux Civilisations Antiques



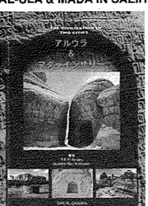




Prominent Cities on the Frankincense Route Series: (1)
AL-ULA & MADA'IN SALIH



Prominent Cities on the Frankincense Route Series: (1)
AL-ULA & MADA'IN SALIH



DAR AL-QAWAFIL FOR PUB. & DSIT.
Tel.+(966) (1) 4601081 - 4601082
Fax : +(966) (1) 4601065
P.O. Box : 4556 Riyadh 11412
E-mail: qawavil@hotmail.com
Kingdom of Saudi Arabia



دار القوافل للنشر والتوزيع - الرياض
هاتف : ٤٦٠١٠٨١ - ٤٦٠١٠٨٢(١) (٩٦٦)+
فاكس : ٤٦٠١٠٦٥
ص . ب : ٤٥٥٦ الرياض ١١٤١٢
بريد إلكتروني : qawavil@hotmail.com
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

"الخطوة الأولى!"

الرحلة الطويلة تبدأ بهذه الخطوة الرمزية المهمة، وهي تبدأ من عندك أنت قبل غيرك.

فالله وعدك بالعون عندما تشرع بالنهوض "ادعوني أستجب لكم"، "من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً"..

عند انطلاقها تتلاشى كل المخاوف والأوهام والأوهام!

هذه الخطوة تبدأ في دائرة النظر والتفكير بالأن

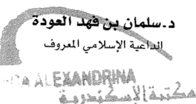
أي تغيير لابد أن ينطلق من "اقتناع".

١- اقتناع بأن ما أنا فيه ليس جيداً، ويجب تغييره، أو على الأقل: ليس كافياً، وإذا لم يوجد هذا، فالمعنى: إعجاب المرء بنفسه، والإحساس الوهمي بالكمال!

٢- واقتناع آخر بأن ثمت بديلاً معلوماً يمكن السعي إليه، أو بديلاً غير معلوم يمكن البحث عنه.

وهذه دلالة عملية عقلية فكرية، ولذا خص الله بني آدم بالعقل، وحرضهم على توظيفه "أفلا تعقلون؟"!

سلمان العودة



د. سلمان بن فهد العودة

الداعية الإسلامي المعروف



مجلة شهرية تصدر عن
وزارة التربية والتعليم
المملكة العربية السعودية
تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز
وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز

العدد (١٢٨) - ذو القعدة ١٤٢٦ هـ - ديسمبر ٢٠٠٥ م

إدارة النشر

Rawnaa
Specialized Communication
روناء للإعلام المتخصص

ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الشتاء «شيخ» فصول السنة، قليل الحركة، ثقيل الخطى يميل إلى الركود. هكذا نشاهده في أيامه الحالية التي تلفنا بكثير من لحائف السكون التي تعطل فينا شهوات الحصول على جهد للوصول إلى رغبة ما، لكن الأمر هذا الشتاء يختص بحياة الفرد أو الحياة الفردية الصغيرة، فحياتنا المجتمعية الكبيرة تعيش سخونة عالية بدأت بالتزايد منذ سنوات بفعل الحوار الوطني الذي يشعل مناطق كنا قد أهملناها بدون قصد أو وصلناها بدون اهتمام كاف، ويلقي بدفئه المتنوع الأطياف والمتعدد الآراء على موضوعات أجلت على الرف وتحت الطاولة دون أن ترفع لسنين كانت مخصصة للتنمية المادية والبشرية الأساسية.

حوارنا الوطني أوقد بهدفه السامي الكبير فتيل النقاش المهذب والمتروي تحت جغرافيات فكرية لم ننسها ولكننا نسينا أننا لم ننسها مثل علاقتنا بالآخر التي في غفلة من أمرنا سلمناها لأناس نظّروا لنا ونظروا عنا لها بمنظار معطوب بالقصور والشحن التاريخي الضيق العينين. حوارنا مع الآخر مطلب مهم خاصة أننا نعيش فوق «كرة» مستديرة لا تمكننا أن نختفي من الآخر أو نخفيه، فما إن نفعل ذلك نضطر إلى مقابلته بفعل كروية المكان والزمان والأفكار.. أهلاً بالشتاء إن لم يكسّلنا ويكلسنا دون أن نتصافح ونلعب ونفكر ونأكل ونتبادل ونتحاور مع الآخر. المعرفة



المراسلات

باسم: رئيس التحرير

ص.ب ٢٣٠٠٠٧- الرياض ١١٣٢١

هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩

فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠

Letters should be sent to
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
info@almarefah.com

الأسعار

السعودية ١٠ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،

الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،

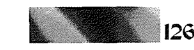
البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠بيسة،

اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،

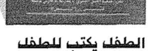
الأردن ١,٢٥دينار، لبنان ٢٠٠٠ ليرة،

مصر ٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،

المغرب ١٥ درهمًا.

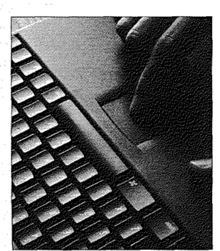












الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال

وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.

سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠دولارًا شاملاً أجرة البريد.

للاشتراك

الرياض:4197333 ـ فاكس: 4197696

فاكس مجاني: 8001242277

Subscriptions@rawnaa.com

للإعلان

الرياض:4197333 ـ فاكس: 4197696

Advertising@rawnaa.com

روناء للإعلان والتسويق

ص . ب 26450 الرياض 11486

التوزيع

الوطنية للتوزيع



إعلام «غربي» بلسان «عربي»...!

كانت إذاعة بي بي سي البريطانية أشهر وأكبر قناة إعلامية تربط بين الشرق والغرب منذ انطلاق بثها الإذاعي باللغة العربية قبل أكثر من نصف قرن.

الآن.. لم تعد BBC وحدها، ولم تعد وسائل إذاعية فقط، بل تلفزيونية وصحفية والكترونية، من بريطانيا وأمريكا وفرنسا وألمانيا وغيرها.

الفضاء الإعلامي العربي فوق ما هو مزدحم بقنواته العربية أصبح الآن يعاني أكثر من تهديد المزاحمة القادمة من وسائل إعلام غربية بلغة عربية.

BBC، CNN، DW، نيوزويك، فوربز، بيزنس ويك. ورياح الإعلام ما زالت تحمل إلى أرضنا كل يوم يوم.. غيمة تتكلم العربية!

«المعرفة» تفتح في هذا العدد ملفًا عن وسائل الإعلام الغربية في نسختها العربية..

- لماذا هذه النسخة العربية؟

- هل الأهداف: اقتصادية تتقاسم كعكة الإعلان في الأسواق العربية؟

أم سياسية تسرِع في تحسين الأداء السياسي العربي وفق المواصفات الغربية؟

أم ثقافية تعيد فتح «الغزو الفكري» المنسي؟!

ماذا يأمل المشاهد والمستمع والقارئ العربي من وسائل الإعلام هذه.. وماذا يخشى منها؟!

لماذا لم تصدر قناة البي بي سي مثلاً نسخة باللغة الصينية لأكثر من مليار وربع مشاهد صيني في بلد القوة القادمة!

هل العالم العربي والمواطن العربي والموقف العربي قوة مؤثرة في الكون، والغرب تحديدًا، إلى هذه الدرجة؟!

أم أن هناك أبعادًا أخرى تخفى على المستهلك العربي، ونخشى أنها قد تخفى على المنتج الغربي؟!

أسئلة عديدة ليس بالضرورة الإجابة عليها كلها، لكن من الضرورة عدم تركها كلها هكذا... دون جواب! المعرفة

الخوف من البث المباشر والغزو الفكري، صاحبه إيمان بأن الإعلام العربي هو أفضل من يقدم المعلومة المتوازنة والموضوعية والجريئة!

التأثير من خلال «الوجود» وليس من خلال «الدعاية»

عمار بكار* - دبي

* رئيس تحرير موقع العربية . نت

هناك مفارقة غريبة فعلاً. في معظم الدول النامية تقريبًا تقرأ النغمة نفسها: صوتنا خافت وحقنا مهضوم، ونحتاج لإيصال رسالتنا الإعلامية للعالم لأننا مظلومون والغربيون الشقر لا يفهموننا والعالم لا يعرف عنا الكثير، نحتاج لأن نلبس قبعات الغربيين حتى يستطيعوا رؤيتنا. في نفس هذه الدول، التي يعم فيها هذا الفهم بأهمية التواصل مع الآخر في القرية العالمية الصغيرة، تجد الغضب يتكون على الوجوه عندما يرى «الآخر» نفسه قادمًا إليه بلغته، يقدم له منتجاته، ويدعوه ليأكل على مائدته في ماكدونالدز أو يشاهد أفلامه الهوليودية أو يقرأ أخباره المترجمة للعربية، لأن هذا الآخر ولا شك يريد «الانقضاض» على الثقافة المحلية والتهامها لصالحه.

لكن هذه المفارقة هي في الحقيقة جزء طبيعي من علاقة الأقوى بالأضعف عبر التاريخ، الأقوى الذي يريد المزيد من الانتشار والهيمنة بمختلف أشكالها، والأضعف الذي لا هم له إلا الشكوى والبكاء والخوف وتمني قلب الطاولة يومًا على سادتها. لقد شعرت الأمم المتحدة في السبعينيات بالقضية، ودفعتها الدول الأعضاء «الشاكية الباكية» للتأمل في قضية حملت وقتها اسم «التدفق المعلوماتي غير المتوازن» للدلالة على هذه الحالة الغريبة التي يصل فيها الحال أن يسمع الناس أخبارهم من وكالات الأنباء الغربية، وتم عقد الدراسات التي أثبتت أن أكثر الأخبار تتناول المجتمع الغربي، وأن نصيب الدول المتخلفة هو القليل من الأخبار السلبية أو «الطريفة»، وتم تقديم حلول كثيرة، وبدأ التنفيذ، ثم حصل لهذه الجهود ما يحصل لكل الخطط التي يفعلها «الضعفاء» حيث ماتت وأكلها النسيان بعد أن تحولت لمكاتب موظفين يعلوهم الكسل والأنانية.

الغريب في هذه المفارقة وفي هذه العلاقة هو أن الشكوى والبكاء يأتيان مع حالة أخرى من «الانبهار» الشديد بالأقوى وعضلاته، وهي حالة -كما هو معروف- أشار إليها ابن خلدون سابقًا، وتكاد تمثل مفارقة غير عادية، لأننا في علاقتنا مع الغرب نجد الكثير من «الضعفاء» في حالة مزدوجة من الغضب ضد القوي، وفي نفس الوقت في حالة انبهار. تسمع السياسي «الضعيف» يشتم هيمنة «القوي» وفي نفس الوقت يسعى لرضاه، وتجد الواعظ «الضعيف» يهاجم الاختلاط في مدارس «الأقوياء» ثم يستشهد بدراساتهم العلمية التي بينت خطر ذلك، بعبارة توضح الانبهار بتقدم العلم في الغرب.

نمو الإعلام الغربي

الأمر نفسه حصل بالنسبة للإعلام. فهذا الخوف من «التدفق المعلوماتي غير المتوازن»، والخوف من «البث المباشر» و«الغزو الفكري» لدى قطاع واسع من الناس في العالم الإسلامي، صاحبه أيضًا إيمان بأن الإعلام الغربي هو أفضل من يقدم المعلومة المتوازنة والموضوعية والجريئة، وبقي الاستماع لراديو لندن وصوت أمريكا علامة

فارقة على الاستهلاك الإعلامي لدى العرب لعقود من الزمن، وما زالت المعلومة القادمة من الغرب لها سمعتها الإيجابية الخاصة، فعندما تروي وسيلة إعلامية عربية معلوماتها نقلاً عن جريدة نيويورك تايمز مثلاً، تجد الإحساس بالمصداقية قد تسرب تلقائيًا لدى المتلقي الذي آمن –دون معرفة واضحة بالسبب في أغلب الأحوال- بتميز وسائل الإعلام الأمريكية. الآن لدينا وسائل إعلام عربية خالصة، ولكنها في نسبة عالية جدًا من موضوعاتها غير المحلية تتجاوز الـ٨٠٪ تنقل عن وكالات الأنباء الغربية (الفرنسية، رويترز، أسوشيتد برس، وغيرها)، وحتى في موضوعاتها المحلية بنسبة تصل أحيانًا إلى ٣٠٪ تنقل عن هذه الوكالات نفسها.

اللافت للنظر أن هذا التدفق لا يتجه للنقصان مع النمو الكمي لوسائل الإعلام العربية، بل بالعكس تمامًا، فقد ساهمت عدة عوامل في زيادة الاعتماد على الشركات الإعلامية الغربية الكبرى، ومن هذه العوامل:

• تسهيل قوانين الاستثمار في العالم العربي بسبب المنافسة وضغوط منظمة التجارة العالمية والتي ساعدت عددًا كبيرًا من الشركات الغربية على الوجود في العالم العربي، والاستفادة من حالة الانبهار العامة بها للحصول على عقود ضخمة والفوز بالمنافسة في صراعها مع الشركات العربية، وهذا يشمل مجالات الإعلان والعلاقات العامة والتزويد بالمعلومات وتطوير عمل مؤسسات الإعلام بالإضافة للنشر ووسائل الإعلام الغربية.

• توسع سوق الإعلان العربي، وتطور الاقتصاد الخليجي بالذات، الذي جعل من المغري لوسائل الإعلام هذه الاستثمار في المنطقة والاقتراب منها من خلال تأسيس شركات إعلامية، وهي تعتمد في كثير من الأحيان على نماذج وثقافة غربية في عملها.

•الاهتمام العالمي السياسي بمنطقة الشرق الأوسط كمصدر للأحداث، وقد تزايد في السنوات العشر الأخيرة بشكل ملحوظ، وجعل من الحيوي لأي وسيلة إعلام غربية أن يكون لها حضور شرق أوسطي، مما ساهم في المزيد من الهيمنة الإعلامية، وتدفق المعلومات عن الشرق الأوسط من الشمال (الأقوى) إلى الجنوب (الأضعف).

• النمو الإعلامي العربي في الكم الذي لم يرافقه تطور في النوعية لأسباب كثيرة منها نقص الكفاءات البشرية، الأمر الذي اضطر وسائل الإعلام العربية للاعتماد على شركات تزويد المعلومات الغربية بأنواعها لتلافي هذه المشكلة. هذا الأمر يشمل الصحف، كما يشمل القنوات التلفزيونية التي تعيش منافسة هائلة وتريد كسب الجمهور، دون إنتاج عربي مميز يذكر، مما جعلها تعتمد بشكل «مخيف» –على أقل تقدير- على الإنتاج الغربي وترجمته.

عندما تروي وسيلة إعلامية عربية معلوماتها نقلًا عن جريدة نيويورك تايمز مثلًا، تجد الإحساس بالمصداقية قد تسرب تلقائيًا لدى المتلقي الذي آمن. دون معرفة واضحة بالسبب في أغلب الأحوال. بتميز وسائل الإعلام الأمريكية

الموقف من الخواجة «المستعرب»

لبس الخواجات الإعلاميون قبعتنا العربية منذ زمن طويل، وكانت أولها إذاعة إيطالية في منتصف الثلاثينيات الميلادية، تبعتها هيئة الإذاعة البريطانية من خلال إطلاق «راديو لندن» في عام ١٩٣٨م، وكان التحدي أمام راديو لندن أن يساهم في انتشار جهاز الراديو في المدن والقرى العربية التي كانت تعيش في جهل مطبق، وكانت بعيدة عن مختلف وسائل التكنولوجيا بما فيها الراديو، وما زال البعض يصف كيف كان وكلاء الإذاعة في الأربعينيات الميلادية يتجولون في المدن والقرى ليتفقوا مع أصحاب المقاهي على وضع جهاز إذاعة كبير في منتصف المقهى مجانًا، وكانت المقاهي طبعا ترحب بذلك لأنه بذلك يعلن حدثا ضخما، جهاز يتحدث ويخبرك بالأخبار أولاً بأول بلغة عربية فصحى.

ومن ذلك الحين، تزايدت الإذاعات الغربية المتحدثة بالعربية لتشمل أكثر من ١٠ إذاعات منها صوت أمريكا وراديو مونتكارلو، والراديو الألماني، والراديو الهولندي، وراديو موسكو وغيرها، كما تزايد اهتمام وكالات الأنباء الغربية وخاصة وكالة أنباء رويترز بالمنطقة العربية، وتقديم خدمة عربية للصحف، ثم بعد ذلك بدأ عهد ترجمة المجلات، فصدرت النسخة العربية من مجلة المختار، وتبعتها عدة مجلات أشهرها حاليًا النسخة العربية من مجلة نيوزويك، بالإضافة للقنوات الفضائية التي دشنتها أيضًا هيئة الإذاعة البريطانية من خلال محطتها التي أغلقت لاحقًا –وكانت الأساس الذي انطلقت منه قناة الجزيرة-، بالإضافة لمجموعة من المحطات الغربية التي أطلقتها شبكة أوربت، ثم تبعتها «شوتايم» التي ترجمت أيضًا عددًا من المحطات الغربية إلى أن تم إطلاق قناة الحرة الإخبارية مؤخرًا.

عبر هذا التاريخ الطويل الذي امتد حوالي ٦٧ عامًا، كان الموقف العربي النخبوي من «الإعلام المستشرق» يمضي على ثلاثة اتجاهات متوازية، يقوى بعضها على حساب البعض أحيانًا حسب طبيعة الظروف التي تمر بها المنطقة وهذه الاتجاهات الثلاثة هي:

الأول: الإعلام الغربي هو مجرد وسيلة يستخدمها «الاستعمار» أو «العدو» الغربي، والموضوعية التي «يتظاهر» بها هذا الإعلام، هي مجرد خدعة تهدف لجذب الناس للإعلام الغربي ومن ثم «دس السم في الدسم» لتحقيق مصالح الغرب. في هذه الحالة يتخيل المحلل وسائل الإعلام الغربية وكأنها مجموعة من المتآمرين الذين يجتمعون في مكاتب مغلقة ليخططوا لكيفية الإيقاع بالعرب بأساليب غير مباشرة من خلال تغيير توزيع الأخبار أو من خلال دس المصطلحات وغير ذلك. حمل هذا الاتجاه في الغالب الثوريون العرب، ومن بعدهم الاتجاهات الإسلامية، وصار هذا النوع من الدراسات التي تحلل مضمون وسائل الإعلام الغربي الناطق بالعربية وتثبت انحيازه ضد المصالح العربية علامة فارقة في أقسام الإعلام الإسلامي في العالم العربي، فيما تعاني كثير من هذه الدراسات من الإنشائية والتعميم وتحميل الأمور ما لا تحتمل، والافتراض المبدئي أن كل ما يأتي من الغرب ناطق باسم الرغبة الاستعمارية لدى الحكومات الغربية. وقد ساهم عدد من الحكومات العربية في بعض الفترات التاريخية في تقوية هذا الاتجاه بعدما صارت الأوضاع السياسية في تلك الدول هدفًا لوسائل الإعلام الغربية، الأمر الذي جعل أسهل دفاع ضدها هو اتهامها بالانحياز والكراهية.

الثاني: الإعلام الغربي هو نتاج لـ«الحضارة الغربية» التي تتميز بـ«التقدم» و«المدنية» والإيمان بـ«حقوق الإنسان» و«الحرية»، وهذا الإعلام يجب أن يحتضن ويشجع لأنه الوسيلة الوحيدة التي ستساعد العالم العربي «المتخلف» على الخروج من أزمته. في

التأثير من خلال «الوجود» وليس من خلال «الدعاية»

هذه الحالة يتخيل المحلل الغربيين وقد انطلق بهم حماسهم لتطوير العالم العربي وأمريكا اللاتينية وإفريقيا، فوضعوا الميزانيات لإخراج العالم العربي من أزمته، وحلمهم هو أن تسود الحرية كل بقاع الأرض في يوم من الأيام. ساد هذا الاتجاه في أوساط المتأثرين بالثقافة الغربية والذين واجهوا أزمة حادة عندما قارنوا بين العالم العربي في تخلفه الشديد وخاصة قبل خمسة عقود من الزمن وبين الغرب الذي كان يعيش قمة المدنية المرتبطة بمبادئ الديمقراطية الساحرة. أيضًا تبنى هذا الاتجاه كثير من وسائل الإعلام العربية، وساعدت عليه حالة الانبهار، واستخدمته بعض الحكومات العربية أحيانًا كوسيلة للضغط على التيارات الإسلامية والمحافظة على أساس أن القيم الليبرالية ستجعل الناس تعرض عن القيم الدينية «المتشددة»، وبلغ ذلك الذروة في السبعينيات الميلادية.

الشيوعيون والاشتراكيون العرب كانوا أيضًا من أكبر من احتضن هذا التيار بصراحة عجيبة، ولكن قبلتهم لم تكن الغرب بل الاتحاد السوفييتي، وكان عشق موسكو وكل «أحمر» يهطل من سحاباتها المتجولة في عالمنا العربي أمر يسيطر على فئة ضخمة من الشباب والنخب العربية، إلى ان استراح الناس من ذلك مع سقوط الاتحاد السوفييتي نفسه.

هذا الاتجاه في انحسار حاليًا على المستوى النخبوي، وساهم في انحساره الضغط الغربي المكشوف على العرب لتبني المنتج الإعلامي الغربي، الذي جعل الكثير من النخبويين في خوف من الارتباط بالخضوع لهذا الضغط، وإن كنت أتوقع أن ينحسر الخوف لصالح الجهود الغربية، ليعود الاتجاه إلى أقوى مداه خلال السنوات العشر القادمة.

من جهة أخرى، يلقى هذا الاتجاه شعبية واسعة في الشارع العربي الذي يتجه حاليًا بشكل غير مسبوق للإيمان بالمسلسلات والأفلام الغربية، ويتابع ما يحصل في أمريكا وأوروبا وكأنها عاصمة بلده، وصارت شخصيات هوليوود وأخبارها أكثر شهرة من الشخصيات العربية، وإن كانت هذه الشعبية أقل في دول الخليج من باقي الدول العربية.

الثالث: اتجاه يقف في حالة وسط، يتعامل مع وسيلة الإعلام الغربية على أنها شركة تجارية



تخضع لضغط الدولة التي تنتمي إليها وضغط الدولة التي تتخاطب معها، وكل همها هو تحقيق الربح، وينطبق عليها من القوانين ما ينطبق على وسيلة الإعلام العربية، ولا فرق بينهما. هنا يتجه الخيال لرجال الإعلام على أنهم رجال أعمال، يحملون الحقائب السوداء ويحضرون الاجتماعات لتحقيق الأرباح كيفما أمكن ذلك، حتى لو تطلب الأمر التحلي بالموضوعية وحب النقاش أو دعم الليبرالية الاجتماعية. هذا الاتجاه يمثل أقلية، وينتشر في أوساط الاقتصاديين ورجال الأعمال، كما ترتبط به الكثير من الدراسات في أقسام الإعلام

العربية، وهو اتجاه في التفكير لم ينتشر نظرًا لأن العرب لا يتحمسون كثيرًا للاتجاهات «الرمادية» أو «البراغماتية»، كما أن فكرة أن «الإعلام صناعة» هي فكرة جديدة على العرب الذين تعودوا على دعم الحكومات المطلق (ماديًا ومعنويًا) لوسائل الإعلام. ويلقى هذا الاتجاه دعمًا من الحكومات العربية التي حققت تقدما في مجال تشجيع الاستثمار الأجنبي.

تصورات خاطئة

مشكلة الاتجاه الثالث في التفكير هي عدم فهم الإعلام الغربي الحكومي الناطق بالعربية مثل صوت أمريكا، وعموماً فالغربيون في هذه الاتجاهات الثلاث لم يفهموا كما يجب، لأننا نعامل الغربيين وكأنهم ينطلقون في مشاريعهم وتصوراتهم من نفس التصورات التي ينطلق منها صناع القرار العرب، وحتى لا نطيل الكلام في هذا الجانب، فإنه من الواجب تأكيد أن الغربيين في أبحاثهم التي تتناول «الإعلام الدولي» يتحدثون دائمًا عن منطق التأثير من خلال «الوجود» وليس من خلال «الدعاية»، فدراسات الدعاية أثبتت فشلها منذ الخمسينيات الميلادية، مع سقوط نظرية الرصاصة (Bullet Theory) التي تتعامل مع الإعلام على أنه «إبرة» تصل إلى الدم مباشرة، وصار التركيز الأكبر هو على أساس الحضور من خلال تقديم المعلومة «الصحيحة» من وجهة نظر صانع القرار الغربي، وليس على أساس الدعاية التي تقوم على تحريف المعلومات واللعب بالنصوص.

التخيل الصحيح للموقف في رأيي الشخصي هو أن صناع القرار الغربيين يتخذون قرار الوجود في منطقة ما، عند الشعور بالأهمية السياسية والاستراتيجية لذلك، ويضخون الأموال، ولديهم في ذلك أجندتهم الخفية، وعندما تصل الميزانيات للإعلاميين يعمل هؤلاء عادة بدون توجيه بناء على القواعد الإعلامية العامة، ولكن مجرد الوجود لوسيلة الإعلام الغربية وتوفير المعلومات لها من وجهة نظر الدولة الممولة يجعل الإعلاميين متأثرين بهذه المعلومات، هذا طبعًا إذا لم يكن لبعضهم أجندة خاصة به أسسها بناء على توجهه السياسي أو الثقافي.

الولايات المتحدة التي عملت بهذه الطريقة طويلاً من خلال «صوت أمريكا» مقلدة بذلك الـ«BBC» واستنادًا للقيم الليبرالية العامة لم يعد يعجبها هذا الاتجاه البطيء في تأثيره، فصارت تحاول الضغط للمجاهرة بدعم القيم الأمريكية الديمقراطية العامة في الإعلام الموجّه، وكان هذا واضحًا في اسم قناة «الحرة» وبعض طروحاتها، ولكن هذا التأثير بقي محدودًا بالنسبة للعمل الإعلامي اليومي.

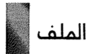
التأثير الجديد الآخر هو عالم ما بعد ١١ سبتمبر الذي صار يرفض كل ما هو «أصولي إسلامي»، وامتد هذا التأثير لبناء توجه سلبي ضد كل ما له علاقة بالإسلام من قريب أو بعيد لدى وسائل الإعلام الغربية الناطقة بالعربية، وفي رأيي الشخصي أن هذا الاتجاه مؤقت، وستعود الأمور لتوازنها بعدما يدرك الإعلاميون الغربيون حقيقة الفرق بين الإرهاب والإسلام، وبعدما يدرك الاستراتيجيون وصناع القرار الغربيون أثر هذا الاتجاه السلبي على «منطق الوجود» في العالم الإسلامي، وهذا الفهم الجديد قد بدأ فعلاً .

والحل؟

الوضع السابق في رأيي يطرح مشكلات عديدة مرتبطة في جذورها بواقع العالم العربي وضعفه في الجوانب السياسية والاقتصادية والإعلامية، والحلول لا تخرج عن تلك الحلول التي يرددها المثقفون العرب ليل نهار في الصحف والمجلات وعلى القنوات الفضائية، ولكن في رأيي الشخصي نحتاج لمتابعة بحثية جادة و«موضوعية» لما تنتجه وسائل الإعلام الغربية بشكل عام (أيا كانت اللغة)، وفهم التصورات الخاطئة التي يحملها هذا الإعلام، بحيث نبذل الجهود لمحاورة وسائل الإعلام في صحة هذه المعلومات، ونحاور صناع القرار في القيمة الاستراتيجية لنشر مثل هذه الأفكار.

لن نفعل ذلك بالطبع، ولكنني أحببت أن أختم بحل يضاف لقائمة الحلول الطويلة لمشكلاتنا العربية، وله رقم وتاريخ، ينتظر مع آلاف الحلول في ملفات يعلوها الغبار على طاولة «حلال المشاكل» الذي لم يحضر يومًا لمكتبه، لأن أحدًا لم يحدد حتى الآن من هو، وكيف سيفعل ذلك!! ■

التأثير من خلال «الوجود» وليس من خلال «الدعاية»



الوسائل الإعلامية الأمريكية ـ العربية

فاشلة سياسيًا.. ناجحة إعلامياً !!

علي بن شويل القرني* ـ الرياض

*رئيس الجمعية السعودية للإعلام والاتصال ، أستاذ الإعلام المشارك بجامعة الملك سعود

أصبح الشرق الأوسط ميدانًا مفتوحًا للحروب الإعلامية وساحة قتال واسعة للمعارك الثقافية.. وهذه الملاحظة ليست وليدة اليوم أو السنوات الماضية بل هي قديمة قدم الأطماع الاستعمارية في المنطقة العربية والعالم الإسلامي.. فإذاعة الـ«بي بي سي» انطلقت أول مرة عام ١٩٢٢م، وبعده بسنوات تصدر بثها العربي باقي اللغات الأخرى. وخلال الحرب العالمية الثانية كانت الإذاعة الألمانية تصدع في سماء العالم العربي في محاولة للتأثير على الرأي العام العربي، ثم بعد ذلك ومع مطلع المعارك الإعلامية التي أفرزتها الحرب الباردة بين الشرق والغرب انطلقت إذاعة صوت أمريكا وإذاعات أخرى ألمانية وفرنسية وسوفييتية وصينية كلها كانت والكثير منها لا يزال يبث إلى اليوم في محاولة لحجز مساحات معينة في العقل العربي.

ولكن إلى جانب استمرار الإذاعات الموجهة - غالبًا من قبل الدول العظمى وذات المصالح في المنطقة - بدأ الاهتمام بالقنوات التلفزيونية الموجهة إلى منطقة الشرق الأوسط.. وتزاحمت بشكل خاص القنوات الإخبارية، التي هي الموجه الأساسي والمؤثر الحقيقي على مجريات الأحداث في المنطقة وما يتبع ذلك من تأثير على العقلية العربية، في محاولة للتأثير على الرأي العام العربي.. كما بدأت في الفترة الأخيرة سلسلة من الطبعات العربية لأشهر المجلات الدولية مثل نيوز ويك وفوربس.. وغيرهما.

وأخيرًا، انتقل العالم العربي إلى مرحلة جديدة في التفكير الغربي، وأصبحنا - كعرب - مادة تقع تحت تأثير إدارات ومؤسسات رسمية في المجتمع الغربي، تستهدف مباشرة التأثير على المعرفة والاتجاهات والسلوك العربي..

وبعد الحادي عشر من سبتمبر، التفتت الولايات المتحدة بشكل خاص إلى المنطقة العربية بشكل لم يسبق له مثيل في الاهتمام بالمنطقة والناس والعقول والسلوكيات التي تعيش في هذه المنطقة، وكأنها لم تكن تعرفهم من قبل.. ولا نريد أن نشير في هذا المقام إلى اهتمامها العسكري والاقتصادي والاستخباراتي، ولكن ما نشير إليه بشكل خاص هو اهتمامها بالشأن الإعلامي بشكل خاص.. وأول ما أدركته الولايات المتحدة هو أن إذاعة صوت أمريكا التي تبث برامجها إلى العالم الإسلامي لم تكن مجدية مع تنامي التيار العدائي للولايات المتحدة كما أظهرته استطلاعات الرأي العام في دول العالم العربي.. وقد تجسد هذا الاهتمام الرسمي بتعيين وكيلة في وزارة الخارجية لشؤون الدبلوماسية والشؤون العامة متخصصة بشكل خاص في كيفية إدارة العقل العربي.. وقد عينت في هذا المنصب تشارلوت بيرز، ولكنها بعد جهود كبيرة ومضنية اضطرت إلى تقديم استقالتها. وقد اعترفت قبيل هذه الاستقالة وعبر جلسات مداولات في الكونجرس الأمريكي أنها فشلت في مهمتها، وذكرت بالحرف الواحد، أن هناك فجوة كبيرة بين مفاهيم «من نحن، وإلى أين نريد أن نصل.. من ناحية، وبين أين نحن في الواقع من ناحية أخرى..» أي أنها أرادت أن تقول أن هناك فجوة ضخمة وهائلة بين الواقع الذي تعيشه الولايات المتحدة - بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر - وبين الواقع الذي تريد أن تصوره عن مجتمعها وقيمها وسياساتها.. وهذه هي الأسباب الحقيقية للفشل الذريع الذي أحاط بعملها في تحسين صورة أمريكا في العالم العربي والإسلامي..

ثم استلمت منها في ديسمبر ٢٠٠٣م السيدة

مارجريت تتويلر Tutwiler لتحاول أن تكمل مشوارها في بناء صورة ذهنية إيجابية عن الولايات المتحدة الأمريكية في العالم العربي والإسلامي.. والسيدة تتويلر كانت ولمدة ستة أشهر تقريبًا مستشارة للرئيس جورج بوش لشؤون الإعلام خلال عام ٢٠٠١م.. وكانت قد عملت مع والده لمدة مماثلة خلال عام ١٩٩٢م.. وربما أن أهم عمل قامت به قبل تعيينها الجديد هو كونها سفيرة للولايات المتحدة لدى المغرب لمدة عامين.. خلال السنوات الثلاث الماضية.. وكانت تعمل قبل كل هذا أستاذة للإعلام بجامعة ألباما الأمريكية.. ولكن السيدة تتويلر لم تستمر كثيرًا، فقد قدمت استقالتها أيضًا، وخلفتها قبل فترة قصيرة وفي نفس المنصب السيدة كارين هيوز.. والسيدة هيوز بدأت عملها بزيارة لبعض دول منطقة الشرق الأوسط، ومنها المملكة.. حيث التقت بفعاليات شعبية ورسمية عديدة في نطاق محاولتها معرفة كيف «نغير من العقل العربي».

ونحن نعرف أن كثيرًا من المشروعات الإعلامية قد نفذتها الحكومة الفيدرالية الأمريكية خلال السنوات الثلاث الماضية، ولكن من أهمها إطلاق راديو سوا عام ٢٠٠٢م الذي يبث برامجه إلى العقول الشبابية في العالم العربي. ثم في العام الماضي أطلقت قناة «الحرة» الإخبارية التلفزيونية. ويظل السؤال هل تحقق هذه القنوات نجاحًا في أن تؤثر على الصورة التي تحتلها الولايات المتحدة في مساحة العقل العربي؟ تظل الإجابة مبكرة، ولكن الدلائل التي نستنتجها من الواقع ترى عكس ذلك، لسببين مهمين، أولهما أن هذه القنوات جاءت في محاولة منها لأن تقف أمام قنوات ومؤسسات عربية ترى الولايات المتحدة أنها تستعدي الموقف الأمريكي.. وهذا السبب في ذاته يعكس الحالة الدفاعية التي ستتجه إليها هذه القنوات مما ينعكس سلبًا على أدائها المهني.. وثانيهما أن هذه القنوات ستسعى لأن تجسد رؤية غير الرؤية التي يراها العالم العربي عن السياسة الأمريكية.. وقد أشارت إلى هذه النقطة بالتحديد السيدة تشارلوت بيرز عندما استقالت من وكالة وزارة الخارجية الأمريكية، حيث حاولت وفريق الإعلام الأمريكي في سفارات الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي أن تصور القيم المثالية في الحياة الأمريكية



بينما يقرأ ويشاهد ويعيش الناس والعالم تحطيمها لهذه القيم والمثاليات على أرض الواقع..

أما بخصوص السؤال: هل ساهمت القنوات الصحافية والإذاعية والتلفزيونية في رفع مستوى المهنية الإعلامية في الوطن العربي؟ ففي ظني أن وسائل الإعلام الأمريكية تحتل الصدارة في المهنية والتقنية الإعلامية.. فهي تمتلك تراكمات معرفية، وخبرات إعلامية واسعة على مدى العقود الماضية.. واستطاعت من خلال الإمكانات الاقتصادية التي تمتلكها، ومن خلال القاعدة القانونية التي هيأتها بتوفير هامش عال من الحرية، أن توفر مناخًا إعلاميًا، وظروفًا فنية، لإنجاح مشروعاتها الإعلامية.. ولهذا فإن الإعلاميين العرب (صحافيين، وإذاعيين، وتلفزيونيين) ينظرون إلى هذه القنوات الإعلامية نظرة غير سياسية، وتحديدًا نظرة مهنية مبنية على حب فضول، ومحاولة استكشاف معالم الخطوط المهنية التي تمتلكها تلك المشروعات الأمريكية في المنطقة.. ولهذا فإننا نحن الإعلاميين الممارسين، أو نحن الأكاديميين الإعلاميين نلاحظ أن وجود قنوات صحافية أو تلفزيونية أو إذاعية تؤثر بشكل كبير على طبيعة الأداء الإعلامي في وسائل الإعلام العربي.. وإذا كانت هذه المشروعات الإعلامية غير ناجحة سياسيًا، ولكنها بكل تأكيد ناجحة إعلاميًا.

قناة تلفزيونية إضافية تمولها الصين أو أمريكا ليست كارثة محتمة . .

«نوافذ» و «شرفات» للتأمل أو الانتحار

سوسن الأبطح* - بيروت

* كاتبة صحفية لبنانية .

سبع وستون عامًا انقضت، على افتتاح القسم العربي لإذاعة «بي.بي.سي» البريطانية، وما يزال صامدًا. لا بل إن الإنجليز يشعرون بضرورة تعزيز وجودهم الإعلامي بيننا، بافتتاح فضائية إخبارية، ستطل قريبًا بحسب ما وعدنا. وقد ارتضت الـ«بي.بي.سي» إغلاق عشرة من أقسامها الأجنبية، في سبيل تمويل القناة المأمولة، وهذا يشي بما ينتظر المشروع من دور يلعب به، وتأثير يمارسه. فمن الصعب تصور أن الحكومة البريطانية ترمي بأموال مواطنيها، دافعي الضرائب في لعبة عبثية، الهدف منها التسلي أو مجرد إثبات الوجود.

لقد تعاضد الإعلام الغربي الناطق بالضاد مع البعثات الثقافية، والمتطوعين الإنسانيين الوافدين، والجامعات الإرسالية التي خرّجت النخب العربية طوال عقود في القاهرة وبيروت، للتوجه جميعها إلى الإنسان العربي، في «مونولوج» من طرف واحد، لم يتحول في أي يوم من الأيام، إلى «ديالوج» يشارك فيه الطرفان.

القصد أن إذاعة «سوا» وقناة «الحرة» التلفزيونية، أو حتى قناة «بي. بي. سي»، هي كلها، مجرد حلقات محدودة، في سلسلة منهجية طويلة ومعقدة، تضم وسائل خطاب، لا عد لها، استخدمها الغرب لممارسة تأثيرات لا يمكن الاستهانة بها على العالم العربي. ربما بدأت مع وصول نابليون إلى شواطىء مصر بمطبعته، وبحاثته وخططه وعدته. وهذا كله مشروع ومفهوم من قبل حضارة لها سطوتها. فالمنطق يقتضي، أن كلاً يشد الغطاء صوبه لينعم بدفئه.

العرب أنفسهم والمسلمون بشكل أشمل، يضمرون الرغبة في الانتشار، لكنهم أجلوا التنفيذ على ما يبدو حتى خسارة المعركة تمامًا. باستثناء قناة «الجزيرة» التي ستطلق محطتها الإنجليزية العام المقبل، ويتوقع لها الانتشار. لم نسمع منذ مئة سنة عن مشروع إعلامي أو ثقافي، كبير، واحد، في مواجهة مئات المشاريع الإيطالية والألمانية

والفرنسية والإنجليزية والإسبانية التي أطلقت نحونا. ومعهد العالم العربي في باريس، الذي قام منذ عقد ونصف بمبادرة فرنسية ومشاركة تمويلية عربية، انسحب العرب منه تدريجيًا وتخلوا عنه، رغم أهميته الكاسحة للتعريف بالثقافة العربية في قلب أوروبا.

لا يختلف اثنان، على أن الزحف الثقافي-الإعلامي الغربي، قولب عقولنا. آخر الدراسات تقول إن العرب يزدادون كرهًا بالسياسات الأمريكية وتعلقًا بالمسلسلات والبرامج الأمريكية التلفزيونية. وبمقدورنا النظر إلى مظهر الناس في شوارعنا وأسواقنا وملابسهم التي لم تعد تمت لخريطتنا الثقافية بصلة (باستثناء الثوب الأبيض في دول الخليج)، وأن نصغي إلى عباراتهم التي باتت معجونة بأعجمية مرعبة، وأفكارهم التناقضية المتصارعة، التي لا تجد سلامها على أي شاطىء، لنصدق ونتيقن، من أن المنظومة الثقافية (والإعلام مجرد فرع منها) التي اشتغل عليها الغرب باتجاهنا، دون أي شغل من طرفنا على تطوير وسائلنا الدفاعية والهجومية (ثقافيًا على الأقل)، جعلتنا جبهة مكشوفة، تسهل السيطرة عليها.

الغرب اختار الإبداع ليخاطبنا بإغراء وظرف، جاءنا بـ«الخبر الموضوعي» و«الصورة الجذابة» و«الخيال المجنح» و«الأزياء الباهية» و«الأفلام الخلابة»، و«الروبورتاجات المؤثرة»، و«النقاش الحر» و«كتب الأطفال البريئة»، «أبطال ديزني» و«الدعايات المبهرة»

عبارة (الغزو الثقافي) أو (الغزو الإعلامي) أكل عليها الدهر وشرب، ولم يعد لها من معنى في فضاءات مفتوحة تمامًا للصور والمعلومات، ولم يعد بمقدورنا كبح أي جهة تود أن تخاطبنا بلغتنا، بما يناسبنا أو حتى يخرج على أعرافنا وتقاليدنا. نحن اليوم في عين عاصفة، دون أن نتهيأ لها، أو نعد العدة لاستقبالها. سمها، كاترينا أو تسونامي، قد تتعدد الأسماء، لكن الحقيقة تبقى واحدة. كل محاولات المنع والمصادرة التي يمارسها البعض، لقطع إرسال «الحرة» عن بعض المناطق أو التشويش على إذاعة بعينها، أو حجب موقع دون غيره، هي من باب تعلق الغريق بقشة.

الإجراء الوحيد الناجع في العصر الفريد الذي نعيش فيه، هو تطوير العقول وتنميتها، وجعلها محصنة بالمعرفة والمعلومات والقدرة التحليلية، كي تستقبل كل بث يوجه إليها، بروح نقدية، ترفض أو تقبل، تتفاعل أو تفبرك مضاداتها. هذا أمر لا يستطيع أن يقرره أحد مسبقًا.

الكلام عن الحاجة إلى الإعلام الغربي أو عدم الحاجة إليه، لا مكان له من الإعراب في ظل التكنولوجيا الحالية. فكل فراغ يغري بالامتلاء، هذه نظرية علمية عتيقة ومعروفة. والفراغ كان موجودًا، ولا يزال. وهو ما وعاه الغرب تمامًا. فالتلفزيون الفلسطيني أقيم بمساعدة غربية لا عربية. والسينمات العربية اليوم، ممولة في كثير منها غربيًا، وكذلك بعض المجلات، والوثائقيات، والأعمال الموسيقية. والفلسطينيون بشكل خاص، يرغدون بتمويلات غربية لكل حركتهم الثقافية بما فيها الطباعة والنشر والمسرح والموسيقى. العرب لم يصدقوا يومًا أن التأثير على الناس لا يأتي من الخطب السياسية التي تدوم ساعات، بل ربما من خبر في موجز، أو لقطة من فيلم، أو قصة بوليسية.

إخواننا أو زملاؤنا الذين يعملون في مؤسسات غربية إعلامية تتكلم العربية، هم موظفون ينفذون سياسة سبقت وجودهم في عملهم، والمتفرج يشبههم في سلبيته ربما، ولا يختلف عنهم كثيرًا،

لأن أحدًا لم يزوده بلقاحات مضادة للفيروسات التي تبث نحوه.

هذا كله، لا يعني على الإطلاق أن المنظومة الغربية الثقافية - الإعلامية، التي نسجت خيوطها على مدار قرن ونصف، للتأثير علينا، كانت شرًا مطلقًا، أو أن علينا أن نغلق تلفزيوناتنا ونقاطع المراكز الثقافية الغربية المنتشرة من المحيط إلى



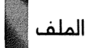
الخليج، بل على العكس تمامًا. فالمراكز الثقافية الفرنسية ومثلها الألمانية، كان لها فائدة عظمى في تعريفنا بما يفكر به الآخرون، ومناهجهم الفنية والتربوية والفكرية. ووجود قناة تلفزيونية إضافية تمولها أمريكا أو الصين ليست كارثة محتمة. ولنا أن ننظر إلى كل هذه المشاريع نحونا على أنها نوافذ وشرفات، بمقدورنا أن نطل منها لنرى العالم من مكان أرحب ومن زاوية مختلفة، وبمستطاعنا أن نحدق منها في الفضاء، ولا نرى غير الضباب. واحتمالات التعامل مع هذه النوافذ والشرفات لا عد لها، ومن ضمنها إمكانية أن نرمي بأنفسنا من عليائها لنتحول إلى جثة هامدة.

والسؤال الذي سأله العرب بعد ١١ سبتمبر، لماذا يسيؤون فهمنا، تأخر كثيرًا، ثم ماذا فعل العرب منذ ذلك التاريخ إلى اليوم؟ فبعد خمس سنوات تقريبًا، لم نسمع عن أي حيوية عربية عملية لتحسين صورة العربي في عيون الآخرين، أو لنقل لتقديمه بصدق كما هو، ضائعًا تائهًا، باحثًا عن هويته وكينونته في عالم لا يفهم صيرورته.

الغرب اختار الإبداع ليخاطبنا بإغراء وظرف، جاءنا بـ«الخبر الموضوعي» و«الصورة الجذابة» و«الخيال المجنح» و«الأزياء الباهية» و«الأفلام الخلابة»، و«الروبورتاجات المؤثرة»، و«النقاش الحر» و«كتب الأطفال البريئة»، «أبطال ديزني» و«الدعايات المبهرة». هذا جزء من الأدوات الابتكارية الحيوية التي جعل منها الغرب لغة يتعاطى فيها مع الكون كله، فأي لغة ابتكرنا، وأي أدوات فبركنا، وما الذي تفتق عنه العقل العربي، كي يلوم اليوم الغرب، قبل أن يلوم نفسه وتاريخ من الجفاف الإبداعي على كل صعيد.

عبثًا نعتقد أن الإبداع منفصل عن العمل السياسي، أو أن السياسة هي مجرد خطابات جرداء.

الإعلام الغربي بالعربية هو مجرد القمة الصغيرة التي نراها من جبل الجليد العارم الذي تصطدم به سفننا ويقضي أهلنا، لأننا لا نريد أن نتعظ أو نتفكر. ■



لابد أن نستفيد من هذا الوضع أقصى استفادة ممكنة من الناحية المهنية وأساليب الأداء الإعلامية المتميزة

الإعلام الغربي باللغة العربية ظاهرة قديمة... جديدة

خالد جاويش* - الإمارات

*أستاذ مساعد الاتصال الجماهيري - جامعة الإمارات العربية المتحدة

قد يظن البعض منا أن ظاهرة الإعلام الغربي الناطق باللغة العربية والموجه إلى العالم العربي ظاهرة جديدة، لكننا نذكر فقط أنها ظاهرة قديمة قدم ظهور وتطور وسائل الإعلام في المجتمعات الغربية وعلى رأسها المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية.

أحسب أن الفكرة والممارسة موجودتان منذ عهد بعيد ولكن الجديد هو الوسائل المستخدمة والأساليب المهنية التي تطورت بمرور الزمن وتراكم الخبرات وتطور نظريات الاتصال وأدواته. فإذا كنا نتحدث عن إعلام موجه بلغة البلد أو البلدان التي يستهدفها، فالفكرة قديمة وأشهر من بدأها هيئة الإذاعة البريطانية من خلال إذاعة الـ BBC الموجهة باللغة العربية وإذاعة صوت أمريكا وراديو مونت كارلو، بل إن مصر الدولة النامية تعتبر من الدول الرائدة في هذا المجال. وكما هو واضح تركزت وسيلة الاتصال المستخدمة في الراديو وذلك لعدة اعتبارات من أهمها: سهولة اجتيازه للحواجز الجغرافية والسياسية من جهة وانتشار نسبة الأمية في العالم العربي في ذلك الوقت من جهة أخرى. فلم يكن من المنطقي اللجوء إلى استخدام الصحف حيث من السهل منع دخولها إلى أي دولة ترى في مضمونها ما يخالف سياساتها الداخلية أو الخارجية، وأيضًا لم يكن التليفزيون موجودًا في الدول العربية في ذلك الوقت بل إنه كان يحبو في الدول الغربية القائمة بالاتصال نفسها.

ولا يخفى على أحد الدور الذي لعبته الإذاعات الغربية الموجهة إلى العالم العربي خاصة الدول الكبرى منه، حيث كان البسطاء والنخبة على حد سواء يعتمدون عليها كمصدر رئيسي للتعرف على الأخبار الخارجية بل والداخلية في كثير من الأحيان.

وتوجد العديد من العوامل التي أفرزت هذا الوضع لعل من أهمها: سيطرة السلطة الحاكمة على وسائل الإعلام وإدارتها وفقًا لمصالحها بعيدًا عن الموضوعية أو الاعتبارات المهنية، والشعور السائد لدى غالبية الجماهير في العالم العربي بانخفاض مصداقية وسائل الإعلام المحلية في مقابل ارتفاعها لدى وسائل الإعلام الغربية الموجهة، بالإضافة إلى ارتفاع المستوى المهني في معالجة الأخبار وعرضها، ولعل من أبرز الأدلة على ذلك ما حدث في حرب يونيو ١٩٦٧ عندما أذاعت الإذاعة المصرية أنباء الانتصارات فيما كانت الـ BBC تذيع الأخبار الواقعية لما حدث! ويضيف هذا سببًا آخر لإقبال الجمهور العربي على هذه الإذاعات وهو التجربة أو التجارب التي عايشها بالفعل مع وسائل إعلامه المحلية.

أما عن الأهداف التي كانت وسائل الإعلام الغربية الموجهة تسعى إليها فهي نوعان: أهداف معلنة تتعلق بتوطيد أواصر الصداقة مع العالم العربي ونشر السلام، وأهداف غير معلنة خير ما يعبر عنها هو ملكية هذه الوسائل التي تعود بشكل أو آخر إلى أجهزة الاستخبارات الغربية المختبئة تحت عباءة الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية أو وكالة الإعلام الدولي وغيرها من المسميات. ولعل هذا يذكرنا بهتلر الذي كان أكثر سذاجة حينما لم يخفِ أنه وحكومته وراء الدعاية الإذاعية الموجهة لجنود وشعوب دول الحلفاء.

السؤال الذي يطرح نفسه: ما الفرق إذًا بين ما كان موجودًا من قبل وما هو قائم حاليًا؟ دعونا نرصد معًا هذه الفروق أو الاختلافات التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- اللجوء إلى استخدام العديد من الوسائل المتنوعة من صحف وإذاعات وقنوات تليفزيونية ومواقع إنترنت ومراكز ثقافية وغيرها، وهو أمر فرضه تطور وسائل الإعلام وتنوعها وفرضته الأوضاع الخاصة بالجمهور من حيث تنوعه واختلاف اهتماماته والوسائل التي يتعرض لها وارتفاع مستويات التعليم عن ذي قبل.

- تغير الأهداف المعلنة، فبعد أن كانت تتعلق بتوطيد أواصر الصداقة والسلام أصبحت نشر الديمقراطية والحرية وتوضيح الصورة الحقيقية للمجتمعات الغربية، أما الأهداف غير المعلنة فنعتقد أنها لم تتغير وتظل تحت دائرة التأثير الثقافي وتغيير المفاهيم وتأليب الشعوب على الأوضاع السائدة في بلدانها وزعزعة الهوية العربية وإثارة القلاقل والاضطرابات والنزاعات على كافة المستويات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتحقيق التشتت والتفرقة بين أقطار العالم العربي.

- حدث اختلاف واضح في طرق وأساليب معالجة المضامين الإعلامية بحيث أصبحت أكثر احترافية وأكثر جذبًا للجمهور سواء من حيث اختيار الموضوعات أو الشخصيات التي تتم استضافتها أو الجرأة التي تتم بها المناقشات أو التكنيك الإعلامي بصفة عامة.

- تغيير بعض الأسماء مثل راديو «صوت أمريكا» الذي تحول إلى راديو «سوا» وتغيير الأجهزة المسؤولة عن الإدارة من حيث هياكلها أو أسمائها أو أطر عملها.

ويبقى سؤال في الذهن: هل تغيرت أنماط ودوافع تعرض الجمهور لهذه الوسائل عما كانت عليه في القرن الماضي الذي حققت فيه نجاحًا ملحوظًا؟ لا أحد يستطيع الإجابة بدقة ويقين على مثل هذا السؤال مادام لا يملك أدلة علمية من واقع البحوث أو الدراسات الميدانية، ولكننا قد نستعيض عن اليقين بالملاحظة والمعايشة للواقع. ومعايشة الواقع وأحاديث رجل الشارع وبعض الدراسات الأولية تشير إلى أن الوضع قد تغير، ويمكن أن نعزو ذلك لعدة أسباب من أهمها:

- المشاعر العدائية التي أصبح رجل الشارع العادي يشعر بها نحو كل ما هو غربي خاصة إذا كان أمريكيًا أو بريطانيًا. وهذا بدأ منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهو ما دفع الجمهور إما إلى العزوف عن هذه الوسائل الغربية أو التعرض لها وهو محصن بسؤال يدور في رأسه حول نواياها.

- زيادة مساحة الحرية المتاحة في العديد من وسائل الإعلام العربية وهو ما دفع الجمهور إلى التعرض لهذه الوسائل، خاصة أن منها ما يتميز بأداء مهني في غاية الرقي والحرفية حتى وإن لم يكن يتحلى بموضوعية كاملة، ومن يتحلى بموضوعية كاملة؟!

- التعددية الهائلة في طوفان الوسائل الإعلامية بشتى أشكالها وأنواعها من صحف إلى مجلات إلى إذاعات إلى محطات تليفزيونية إلى مواقع إنترنت،

أي فضاء مفتوح يصعب على الحكومات والأجهزة الرقابية السيطرة عليه.

ورب ضارة نافعة ، فلعل وسائل الإعلام العربية المتميزة من حيث التغطية الإخبارية وحيازة ثقة الجمهور قد استفادت كثيرًا من فلسفة عمل وأداء وسائل الإعلام الغربية الموجهة للعالم العربي. فالإعلاميون محترفون مثل غيرهم يتنقلون من هذه الوسيلة إلى تلك مادامـوا يملكون الخبرة والمهارة اللازمة.وهنا يثار السؤال حول انتماءات الإعلاميين العاملين في وسائل الإعلام الغربية.

وقد يختلف البعض معي بدعوى أن الإعلامي كما أشرت ما هو إلا شخص محترف يبحث عن فرصة عمل أفضل بصرف النظر عن هوية الوسيلة أو أهدافها، ولكني أرى أن الإعلامي وإن كان محترفًا إلا أنه في الأصل لابد أن يكون حاملاً لهوية يؤمن بها ويدافع عنها وإلا كان بوقًا لمن يدفع أكثر أو يقدم له مميزات أكثر، وأنا شخصيًا على معرفة ببعض هؤلاء الإعلاميين الذين كانوا يعملون في أحد التليفزيونات الحكومية وكانوا في مناصب مرموقة بل وعلى مقربة من صناع القرار ثم انتقلوا إلى إحدى القنوات التليفزيونية الموجهة الجديدة وتحولوا إلى النقيض في مهاجمة من كانوا يعملون معهم، لدرجة أنني ساءلت نفسي وقلت ربما يعملون لصالح حكومتهم السابقة ولكن يفعلون ذلك لأهداف ما غير معلنة!

هل هذه الوسائل تشكل استعمارًا؟ سؤال يطرحه الكثيرون ولكن الأمر ليس بهذه البساطة بل إن الكلمة نفسها «استعمار» لم تعد تحمل نفس المعنى، فالاستعمار في الزمن الغابر كان يحمل مدفعًا ويقود دبابة وطائرة، هذه الممارسات أسميها «تسربًا» مثل تسرب الغاز الذي لا يشعر به الإنسان، فلا توجد رائحة محسوسة له ولا خطر ظاهر أو محسوس منه، لكنه سيؤدي في النهاية إلى خنقه وموته لا قدر الله! إذا كان الجيل الحالي الواعي والمثقف يتعرض لهذه الوسائل وهو يدري نواياها ومع هذا يتعرض لها سواء من باب التعرف على ما يقدمونه وكيف يقدمونه ومتابعة السيناريوهات الإعلامية المحكمة التي يكتبونها، ربما تنسى الأجيال الجديدة القادمة التاريخ وتتصور أو تصدق ولو للحظة النوايا المعلنة التي أشرنا إليها آنفًا وهنا يدنو الغاز إلى مرحلة التشبع واختفاء كل من بالبيت، مع الأخذ في الاعتبار الأثر التراكمي للإعلام.

السؤال الذي أسأله لنفسي دائمًا لماذا نجلس في مقاعد المتفرجين ولماذا نحن أصحاب ردود أفعال ولسنا أصحاب أفعال ومبادرات؟! لماذا لم تبادر الدول العربية أو دولة عربية واحدة بإنشاء قناة تليفزيونية عربية ناطقة بالإنجليزية؟! وقد يجيب البعض متسرعًا بأنه توجد مثل هذه القنوات، ليست هذه النوعية «الحكومية الرسمية» التي تفتقر إلى أبسط قواعد الأداء المهني المتميز هي ما أتحدث عنه، أنا أتحدث عن قناة محترمة محترفة تصلح بجدارة لمخاطبة المتلقي الغربي الذي ينعم بالعديد من القنوات المتميزة من حيث الأداء ولن يرضى بالأقل خاصة إذا علم أنها من دولة عربية. هل نحن قادرون على ذلك؟ نعم قادرون ولكن لا توجد الرغبة الحقيقية في إنشاء مثل هذه القناة ربما بسبب الخوف من ردود الأفعال أو الخوف من الضغوط السياسية والاقتصادية وربما الخوف من الفشل أو مواجهة اللوبي الصهيوني في الدول الغربية.

وأخيرًا مادام الوضع الحالي مستمرًا شئنا أم أبينا فأرجو أن نستفيد من هذا الوضع أقصى استفادة ممكنة من الناحية المهنية وأساليب الأداء الإعلامية المتميزة التي تمارسها هذه الوسائل مع ضرورة توعية الجمهور بنواياها وأهدافها وتحذيره من الانسياق وراء دعاواها وأن يتعرض لها وهو واع بهذه الأمور. وبعيدًا عن الأساليب التقليدية لابد من الارتقاء بوسائل الإعلام العربية ذاتها حتى تستطيع أن تكتسب ثقة الجمهور واحترامه ليلتف حولها ويعتمد عليها لما في ذلك من قطع الطريق على الوسائل الأجنبية الموجهة. وهذا لن يتحقق إلا بمنح وسائل الإعلام في العالم العربي كل الحرية التي تحتاج إليها في عرض ومناقشة كافة الموضوعات، وهذا بدوره لن يتحقق إلا إذا حدثت تطورات إيجابية لدى النظم السياسية العربية. مع أمل في أن نرى وسائل إعلام عربية متميزة، مثلما نرى قنوات فضائية عربية غنائية تضاهي القنوات الغربية، تنشر ظلالها على ربوع العالم خاصة في أوروبا الغربية والولايات المتحدة لأن الفرصة وإن كانت متأخرة فإنها لم تضع بشرط الإيمان بها والعمل من أجلها■

هذه الوسائل أفرزت كثيراً من الإعلاميين العرب المنبهرين بالثقافة الغربية المحتقرين لثقافتهم العربية . .

الهدف الأساسي تهيئة العقل العربي لتقبل النموذج الغربي

محمد سعود البشر* - الرياض

* كلية الدعوة والإعلام - جامعة الإمام .

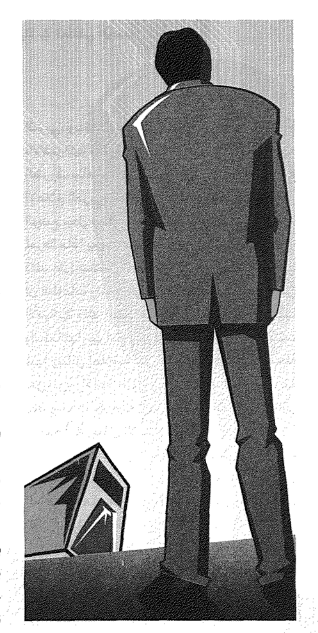
المتابع لمسيرة الإعلام الغربي الناطق باللغة العربية سواء كان صحفًا أو مجلات أو قنوات تلفزيونية أو إذاعات، يلاحظ تباينًا في تعاطي الجمهور العربي مع هذه الوسائل وما تقدمه من مواد إعلامية

ففي البدء كان الجمهور العربي، ولا سيما النخب الثقافية منه، منبهرًا بالتقدم التقني لوسائل الإعلام الغربية، الذي جعل جماهير معظم الدول العربية تستقبل إذاعات مثل «مونت كارلو» والـ«بي بي سي» بدرجة أكثر وضوحًا من كثير من الإذاعات العربية في الدول المجاورة، فضلاً عن حالة الإعجاب بالمهنية العالية لدى العاملين في كثير من هذه الوسائل الإعلامية الغربية الناطقة بالعربية، وبخاصة إذا علمنا أن كثيرًا من الصحف والإذاعات نجحت في استقطاب أعداد كبيرة من الكفايات الإعلامية والثقافية العربية ممن لم تسمح لهم الأنظمة السياسية العربية بالتعبير عن آرائها وأفكارها في وسائل الإعلام العربية التي كانت إلى وقت قريب مملوكة للدول والأنظمة العربية توجهها كيف تشاء. ودلالة هذا النجاح للإعلام الغربي قدرته على اجتذاب كثير من رموز الأدب والفكر والثقافة العربية للعمل فيه، فضلاً عن الجرأة التي اتسم بها في طرح كثير من القضايا العربية، التي ما كانت لتطرح في أي من وسائل إعلامنا العربي الرسمي آنذاك.

ومن غير المنطقي تجاهل الظروف السياسية التي مرت بها المنطقة العربية عبر أكثر من نصف قرن شهدت خلالها التحرر من براثن الاستعمار الغربي، وسقطت بعدها بين «الرأسمالية الغربية» أو «الاشتراكية الشرقية» والحرب الباردة بينهما، فهذه الظروف ساهمت في زيادة تعاطي الجمهور العربي مع الإعلام الغربي بالعربية في فترات بعينها، فمثل هذا الوضع جعل قطاعات من الجمهور العربي متعطشة لمعرفة ماذا يحدث خارج حدود الوطن العربي وتأثير ذلك على مستقبل المنطقة العربية. يضاف إلى ذلك أن قطاعات واسعة من الجمهور العربي كانت تعاني الأمية في ذلك الوقت فكان من السهل التأثير عليها واستمالتها ببرامج الترفيه والمنوعات التي تفننت فيها وسائل إعلامية مثل إذاعة «مونت كارلو» ومجلة «فوربس» وإذاعة «سوا» وغيرها. أما النخب العربية فقد وجدت في هذه الوسائل مساحة الحرية التي تفتقدها في وسائل الإعلام العربية.

ومع بدء عصر الإعلام الفضائي والسماوات المفتوحة يلاحظ ثمة انحسار في تعاطي الجمهور العربي مع هذه الوسائل الإعلامية الغربية، فلم تعد تلبي احتياجاته السابقة بنفس القدر، لا سيما أن كثيرًا من وسائل الإعلام العربية أصبحت تحاكي هذه القنوات الغربية في نوعية برامجها بما في ذلك برامج الترفيه التي كان تستقطب فئات واسعة من شباب المجتمعات العربية.

أما عن مدى إسهام هذا الإعلام الغربي بالارتقاء بالصناعة الإعلامية العربية، فلا شك أن النخب العربية وبعض دوائر صناعة القرار العربي تنبهت لمخاطر إقبال الجمهور العربي على مثل هذه الوسائل، فحرصت على تقديم البديل الإعلامي العربي المشابه قدر الإمكان ووفق ما سمحت به الظروف السياسية والإمكانات المادية والتقنية، فكانت إذاعة «صوت العرب» و«الشرق الأوسط» بديلاً مطروحًا لإذاعة «مونت كارلو» والـ«بي بي سي» رغم فارق الإمكانات والخبرات. وولدت كذلك صحف عربية دولية في الخارج تتيح هامشًا أكبر من الحرية والتنوع مثل



«العرب الدولية» ومجلة «الحوادث» و«الشرق الأوسط» و«الحياة» وغيرها.

ولا شك أن في هذه إفادة للصناعة الإعلامية العربية، وشاهد هذا أن كثيرًا من الكفاءات الإعلامية التي تعمل حاليًا في قنوات وصحف وإذاعات عربية سبق لها العمل في وسائل الإعلام الغربية باللغة العربية. وفي المقابل فإن هذه الوسائل أفرزت كثيرًا من المنبهرين بالثقافة الغربية المحتقرين لثقافتهم العربية الأم. وبعض هؤلاء أصبحوا مسؤولين في وسائل إعلامنا العربي. فبدا كثير من برامجنا نسخًا مشوهة لما يقدمه الإعلام الغربي، ومن أمثلة ذلك برامج تلفزيون الواقع «ستار أكاديمي» وخلافه.

ومن المستغرب أن نتساءل الآن عما إذا كان الإعلام الغربي الذي يبث مضامينه باللغة العربية له أجندة خفية.. فمن البديهي أن لهذا الإعلام أهدافًا وجدت وسائله من صحف وإذاعات وقنوات تلفزيونية لتحقيقها، وإلا لماذا تنفق هذه الأموال الطائلة التي تقدر بمئات الملايين من الدولارات لإنشاء القنوات التلفزيونية والإذاعات وإصدار الصحف والمجلات الناطقة باللغة العربية؟ إن قناة الحرة - على سبيل المثال - ولدت من رحم الاحتلال الأمريكي للعراق وتمول من ميزانية ملحقة بميزانية وزارة الدفاع الأمريكية باعتراف وزير الدفاع الأمريكي ومباركة أعضاء الكونجرس. فهذه القنوات والوسائل الإعلامية مهمتها الأساس تهيئة العقل العربي لتقبل النموذج الغربي أو الترويج للثقافة الغربية الأمريكية أو الأوروبية. لا سيما أن منطقة الشرق الأوسط التي تضم الدول العربية هي مناطق مصالح حيوية للقوى الغربية في أوروبا وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا وألمانيا، وهي دول الاستعمار القديم أو الولايات المتحدة الساعية لفرض هيمنتها على العالم. يؤكد ذلك أن كثيرًا من هذه الوسائل الإعلامية الغربية طالما أفسحت برامجها وصفحاتها للقوى المعارضة أو المنتقدة للأنظمة العربية، والمحلل الواعي لمضامين ما ينشر ويذاع في وسائل الإعلام الغربية باللغة العربية يستطيع أن يدرك ملامح هذه الأجندة التي لم تعد خافية، فالممارسات السياسية للأنظمة الغربية تكشف إلى حد بعيد هذه الأجندة.

الهدف الأساسي تهيئة العقل العربي لتقبل النموذج الغربي



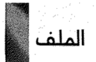
حبر سائل يتدفق لآخر قطرة

خال من الزايلين والتليونين



الضغاط

Pentel®



اعتقال صحفيين عرب وزجر آخرين انتقدوا أمريكا نقدًا «أعمى»!!

حدود الأريحية الأميركية

محمد الدعمي - العراق*

* أستاذ جامعي.

في ظل اختلاط المفاهيم والمنظورات في إقليم عربي مربك ومرتبك، يؤشر دخول وسائل الإعلام الأمريكية فضاء التنافسات الإعلامية الناطقة بالعربية (كما هي عليه الحال مع نماذج تأسيس الإدارة الأميركية شبكة الأخبار الفضائية «الحرة»)، منعطفًا مهمًا في الأوضاع العامة لإقليمنا نظرًا لأهمية البث الفضائي كأداة لتشكيل الرأي العام ولمحاولة إدارته عن بُعد، بعد أن كانت الساحة حكرًا شبه كامل للفضائيات العربية، باستثناء حالات معينة كالإذاعات الغربية التي بقيت تبث عبر الأثير منذ الثلث الأول للقرن الماضي.

وترد أهمية هذا المستجد إلى سببين رئيسين، هما: أولاً، وقوع وسائل الإعلام العربية تحت تأثير ونفوذ مموليها، خاصة من قبل الحكومات والمؤسسات العربية الخاصة؛ وثانيًا، احتدام المنافسة الإعلامية باتجاه خلق وإشاعة مواقف جماعية عامة موائمة للتوجهات الغربية من خلال تدخل إعلامي خارجي لديه من الإمكانيات والتقنيات مما يصعب مجاراته من قبل وسائل إعلامنا التي انطلقت أصلاً من فكرة «محاكاة» وسائل الإعلام الغربية. وعليه، فإن ما كان يُعد من المبادئ والمسلمات التي لا يرقى إليها الشك أو النقاش، بسبب سطوة الشعارات والأفكار السائدة خاصة خلال القرن الماضي، سيتعرض إلى مراجعة وإعادة تقييم وتقويم من وجهة نظر «الآخر» اللاعربي واللامسلم. وهكذا يدشن الوجود الأميركي في الشرق الأوسط مرحلة جديدة من الصراع على الإنسان العربي، مواقفه وتيقناته، إذ يحاول «الآخر» الضرب بقضيب فولاذي على قبضة الثقافة والإعلام المحلي «الموجّه» على سبيل «إطلاق» هذا الإنسان من أحادية النظرة ووحدانية التوجّه الإعلامي.

والحق، فإن هذه ليست ظاهرة جديدة كما لاحظنا أعلاه، ذلك أن الإعلام العربي برمته قد تأسس على أيدي أصحاب التقنيات ومبتكريها القادمين من الدول الغربية. لقد تأسس أول تلفزيون في الدول العربية ببغداد على أيدي البريطانيين. كما تأسست أوائل إذاعات البث الأثيري على أيدي الغربيين من الذين كانت لهم مواطئ قدم في الدول العربية الحديثة الاستقلال. بيد أن الحكومات الغربية كانت كذلك شديدة الحذر من إطلاق أيدي المديرين العرب لوسائل الإعلام التي أسست لهم نيابة عن حكوماتهم، الأمر الذي يفسر ظهور إذاعات البث الأجنبي إلى جانب الإذاعات الحكومية أو نصف الحكومية العربية. ولم يزل المرء يستذكر بكل دقة سطوة وتأثير «هيئة الإذاعة البريطانية» و«إذاعة صوت أمريكا» و«إذاعة مونت كارلو» على الجمهور العربي عامة. بيد أن الظاهرة الأكثر إثارة للاهتمام عبر العقود الزائلة تتجسد في ضعف ثقة مستهلك المادة الإعلامية العربي بوسائل الإعلام المحلية والحكومية، حيث إن مستمعي الأخبار والتحليلات من العرب يعمدون إلى إذاعة «لندن» كما اعتادوا تسمية الـ BBC ، بدلاً عن إذاعاتهم الوطنية على سبيل تصديق الأخبار وتدقيقها لـ«توسيع المدارك» وتنويع المنظورات. أما الإذاعات «الوطنية» (من نوع «صوت العرب» أو «صوت الجماهير» وسواهما) فكانت إذاعات للاستهلاك وليس للأخبار والتحليلات

المعمقة: لسماع الموسيقى والأغاني والبيانات الحكومية فحسب. وعليه كان الانتقال من عصر البث الإذاعي إلى عصر البث الفضائي والشبكات الرقمية قد أعاد شيئًا من الاعتبار للإعلام العربي بسبب تفضيل المستهلك العربي الصورة والألوان على الأنباء المسموعة. ولكن تفوّق الإذاعات الأجنبية (في عصر المذياع/الراديو) يمكن أن يعكس لنا ما نتوقعه لها من تفوق بعد نزولها إلى معترك المنافسة في عصر الفضائيات المرئية. وعلّة ذلك تعود إلى أن مستهلك المادة الإعلامية العربي يعاني «أزمة ثقة» مع وسائل الإعلام المحلية نظرًا لما يعتقده من عدم حياديتها ومن نزوعها إلى «طاعة» مجيزيها ومموليها ومديريها على نحو متعام. وإذا كانت المحطات الأجنبية هي الأخرى لديها دولَ وحكومات تموّلها وتصمم برامجها، فإن هذا لا ينفي (بالنسبة لهذا المستهلك) أهميتها نظرًا لما تقدمه له من أنباء «طازجة» ووجهات نظر «مختلفة» ومنظورات «مقلوبة»، إذا ما صح التعبير في مثل هذا السياق. إن ما يشاع عن «عدم ثقة» المواطن العربي بالإعلام الغربي، والأمريكي خاصة، لا ينفي توجهه إلى هذا الإعلام، ليس فقط احتجاجًا ضمنيًا ضد الإعلام المحلي، بل كذلك حبًا بالاطلاع وتحررًا من قبضة المحلي المحدود.

إن المستهلك الإعلامي العربي يعاني «تمردًا» دائمًا. وربما غريزيًا، ضد المركز أو الدولة التي تدير الإعلام. وهذه ظاهرة تاريخية تكمن وراء البون الذي يصعب تجسيره بين السلطة والأمة، بين الحكومة والجمهور، عبر تاريخ العرب الحديث والمعاصر، خاصة في المجتمعات التي ركبتها «الثوريات» وافتتنت بـ«أسطورة الإعلام الموجه». وإضافة إلى هذه الجدران العالية الفاصلة بين إعلامنا وجمهورنا، لا يبالغ المرء إذا ما ذهب إلى أن «المستهلك» العربي عامة إنما هو «مغرم» بطبيعته بالمنتج «الأجنبي»، الغربي على نحو خاص. الكثيرون من المتابعين العرب يعانون «عقدة الغرب» أو «عقدة الخواجة»، كما يفضل البعض تسميتها: فكل بضاعة منتجة في دول الغرب، ابتداءً من الملابس الداخلية والسيارات وانتهاءً بمواد الإعلام والثقافة، هي أفضل وأفخر وأمتن من المنتج المحلي بالنسبة إليهم. وعليه تكون «أنباء الساعة» من «الحرة» أو من هيئة الإذاعة البريطانية أفضل وأكثر دقة وحيادية من أية نشرة أخبار تبثها الفضائيات العربية، حسب رأيه. ولأن «كل ممنوع مرغوب»، فإن الميل الغريزي للمستهلك العربي يتجه نحو مثل هذه الممنوعات أو «المرفوضات» نظريًا. وللتدليل على ذلك، ينبغي استذكار ما كان يحدث في سبعينيات القرن الماضي عندما تم الإعلان عن تحريم تسوق السياح العرب من أسواق «مارك سبنسر» بلندن لأن مالكها صهيوني (كما كان يشاع)، وكانت نتيجة هذا الإعلان قد تجسدت في تضاعف أرباح «مارك سبنسر» بسبب المتسوقين القادمين من بلداننا إلى لندن.

إن الإدارة الأمريكية تدرك نقطة ضعف المستهلك العربي المتمثلة في عشق كل ما هو غربي. كانت هذه الإدارة في السابق تجد صعوبة في اختراق الرأي العام العربي عبر الفضائيات بسبب الحاجز اللغوي، خاصة وأن تأسيس فضائية أمريكية لا غبار على تابعيتها للإدارة في واشنطن، يتطلب الكثير من المؤهلات والإمكانيات والكوادر التي تضمن لها البقاء والبث لأربع وعشرين ساعة. ولكن بفضل خبرات «صوت أمريكا» ثم راديو «سوا»، ونتيجة لما تراه هذه الإدارة من ضرورة عدم ترك ساحة الإعلام العربي فضاءً حرًا لرماة الحجارة ضد القطار الأمريكي، تقرر النزول إلى «ميدان الوغى» الإعلامي، ليس فقط من أجل «تسفيه» المنطلقات النظرية «التقليدية» التي حملها وروج لها الإعلام العربي عبر عقود، بل كذلك من أجل ستر عورات السياسة الأمريكية في المنطقة على نحو خاص، وذلك من خلال المنطق القائل «لماذا الاعتراض على أمريكا والسكوت على أوضاعكم

إن ما يشاع عن «عدم ثقة» المواطن العربي بالإعلام الغربي، والأمريكي خاصة، لا ينفي توجهه إلى هذا الإعلام، ليس فقط احتجاجًا ضمنيًا ضد الإعلام المحلي، بل كذلك حبًا بالاطلاع وتحررًا من قبضة المحلي المحدود

الداخلية الأشد بأسًا بالحريات؟».

إن الإدارة الأمريكية تدرك جيدًا الخلاصات التي توصلت إليها هي بنفسها (بمساعدة مراكز بحوث إعلامية ونفسية رفيعة متخصصة)، وهي أن هذا العصر (عصر الحوارات والتصادمات الثقافية) إنما يقع تحت وطأة قوتين فرضتا هيمنتهما على عالم اليوم، وهما: قوة الكلمة أو الإعلام، وقوة الاستخبارات أو المعلومات. وبرأيي، فإن ما حدث في العراق يشكل الدليل على سطوة هاتين القوتين وعلى أنهما تتفوقان في أهميتهما وحسمهما حتى على قوة الجيش والسلاح. إن حقيقة ما حدث في العراق في إبريل/ نيسان عام ٢٠٠٣ تتمثل في أن القوات المسلحة الأمريكية لم تغز العراق بحرب ضروس ومواجهات جهنمية وإنما دخلت العراق و«استلمته» من حكامه السابقين على طبق من ذهب، بعد أن فعلت الاستخبارات (وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي وغيرهما) فعلها، وبعد أن فعل الإعلام فعله الجبار. وباستثناء جيوب مخذولة



من المقاومة العسكرية التي لم تصل إليها الأوامر بالانسحاب أو الاستسلام من بغداد (خاصة بين أم قصر وبغداد) فإن تقدم القوات الأميركية كان تقدمًا سلسًا بل و«سياحيًا» بالدرجة الكافية لوضع أكاليل النصر على رؤوس ضباط المخابرات وليس على رؤوس ضباط الدروع أو الصواريخ. لقد لعب الإعلام دورًا رهيبًا في نخر سواعد الجمهور والحكومة عبر أكثر من اثني عشر عامًا من الحصار بالدرجة الكافية لتمهيد الطريق أمام المارينز لدخول بغداد دون مواجهة لما كان النظام السابق يتوعد أو يلوح به من معارك دامية وحاسمة «على أسوار بغداد»، وليس على أسوار البصرة أو النجف أو الناصرية!

هذه خلاصات أدركها البنتاغون بالدقة الكافية لأن يضع الإعلام فوق وقبل الصاروخ والدبابة، الأمر الذي يفسر دخول الأمريكان ساحة المنافسة الإعلامية العربية بمبادرة من وزير الدفاع، دونالد رامسفيلد، وليس بمبادرة من جهاز إعلامي أو من وزارة الخارجية. إن الأمريكيين يعرفون جيدًا نقاط ضعف المستهلك الإعلامي في الشرق الأوسط، وهم لهذا لا يخفون حقيقة أن «الحرة» وسواها إنما هي قنوات بث أمريكية، نظرًا لافتتان الإنسان العربي بكل ما هو أجنبي.

ولكن من منظور آخر مستقى من تطورات الأحداث خلال العامين الماضيين، يمكن أن نلاحظ ثمة مستجدات أكثر شدة وأعظم ثقة بالنفس، لدى أدوات الإعلام الأميركي الموجهة للجمهور في الشرق الأوسط عامة. إن المطلعين على الحياة الصحفية، في بلداننا خاصة، يعرفون مفهومًا خاطئًا، شائعًا بين كتّاب المقالات والأعمدة السياسية، يفيد: أن للكاتب الحرية المطلقة في مهاجمة سياسات الولايات المتحدة الأميركية وفي نقد شواخصها وكل ما يتصل بها، ابتداءً من المؤسسة الرئاسية وانتهاءً بمتناقضات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية هناك. وقد اتُخذت هذه الحرية التي منحها العديد من هؤلاء الكتّاب لأنفسهم كمادة دسمة للترويج عن الذات وللتنقية العصابية ولممارسة فنون النقد البنّاء أو لممارسات النقد التخريبي، المدفوع أيديولوجيًا، خاصة مع وجود وتواصل الإعلام الموجه في بعض أقطار المنطقة التي يُعد فيها نقد الدولة من

المحرمات التي تحيل جلد الصحفي أو الكاتب إلى «الدباغ». بيد أن هذه الحرية الممنوحة ذاتيًا والتي وصلت في أحيان عديدة حد السب والشتم غير اللائق بالسياسي أو بالكاتب الحق، لم تعد مطلقة بالنسبة للإدارة الأمريكية التي ضاقت ذرعًا بالنقد الأعمى ويمثل هذه التعابير العدائية الوحيدة الجانب. والدليل هو توظيف شعار الرئيس جورج بوش:«إن لم تكن معنا، فأنت ضدنا». خاصة في مهاد الشرق الأوسط المشحون والمضطرب، حيث تدور معركة واشنطن الرئيسة ضد «الإرهاب». ويبدو أن الإدارة الأمريكية آخذة بتفعيل هذا الشعار عبر متابعتها الدقيقة للفضائيات وللصحف العربية، تلك المتابعة التي تعكس نفسها في الاستجابات الأمريكية الرسمية وغير الرسمية لما يقال ضد أمريكا في وسائل الإعلام العربية. زد على ذلك ما تأكد من أنباء عن اعتقال صحفيين عرب وزجر آخرين في مناسبات عدة خلال الأشهر الأخيرة.

إن الإدارة الأميركية لم تعد تتعامل مع الإعلام العربي كما كانت تتعامل معه سابقًا؛ أي بطريقة دونية قائمة على التجاهل وعدم الاكتراث، خاصة مع مستجدات مواجهتها المركزية لتهديدات شبكات الإرهاب الذي يستقي أهم موارده البشرية والمالية والآيديولوجية من موارد إقليمنا. وإذا كان تعمد واشنطن البث الفضائي، المرئي والمسموع، يعكس شعورها بمخاطر الآيديولوجيات الإرهابية في المنطقة، فإن هناك من الأدلة الأخرى ما يكفي لأن يتحرك هذا العملاق الأميركي للرد ضد «وخزات» الإعلام والأقلام الصحفية، خاصة بعد تحول المواجهة بينها وبين الحركات الإرهابية من مواجهة عسكرية وحيدة الجانب إلى مواجهة فكرية وثقافية وجدت أفضل تعابيرها في عبارة «حرب الأفكار»، تعسفًا.

لقد صدر هذا العام كتاب بقلم بيفن إلكسندر Alexander بعنوان: (أمريكا فعلت الشيء الصحيح: كيف تتقدم الولايات المتحدة نحو التفوق العسكري والسياسي) (نيويورك: دار Crown Forum). هذا الكتاب مهم، ليس فقط بقدر تعلق الأمر في أنه يفتح للقارئ النابه نافذة نحو العقل الاستراتيجي الأمريكي (لاحظ أن الكاتب مؤرخ عسكري، عمل مستشارًا للجيش ولشركة راند لدراسات الحروب)، بل كذلك بقدر تعلق الأمر بالآراء التي يطرحها حول تطور التاريخ العربي الإسلامي وبطرائق التعامل مع المنظمات الإرهابية التي تستقي شيئًا جوهريًا من عدائيتها للسياسة الأمريكية (حسب رأي المؤلف) من: «الشعور بالفشل وبالغيرة من الغرب المتقدم ومن الحقد على الحرية والتقدم والرخاء الذي ينعم به». وبكلمات أخرى، يوحي الكاتب أن واحدًا من أهم مسببات ظهور الحركات الإرهابية يعود إلى وجود «مركب نقص» لدى مؤيديها، وهو مركب يعود تاريخيًا إلى تدهور الحضارة العربية الإسلامية بعد بداية الألفية الثانية، حيث عبث الحكام الاستبداديون والغزاة الأجانب بشعوب المنطقة بدرجة تحول دولها إلى نماذج مؤسفة للتراجع والنكوص. والدليل، برأي



الكاتب، هو أن إجمالي إنتاجية سكان دولة غربية صغيرة كفنلندا (٥ ملايين نسمة) يزيد على مجمل إنتاجية سكان العالم العربي قاطبة (٢٨٠ مليون نسمة). لست متأكدًا من دقة هذه المعلومة، بيد أنها (مهما كانت غير دقيقة) لابد أن تعكس مخاطر نكوص وتراجع التنمية البشرية في أغلب دول الشرق الأوسط، وهو الموضوع الذي أشار إليه العديد من الخبراء وعلق عليه العديد من الكتّاب العرب كذلك.

يفترض إلكسندر أن الإدعاء الشائع لدى المحللين العرب بأن الولايات المتحدة تمثل قوة إمبريالية إنما هو كذبة كبيرة مستقاة من آثار الحرب الباردة ونشوء الحركات اليسارية في البلدان العربية عبر العقود المجايلة لهذه الحرب. ولكنه يضطلع بجهد فكري من النوع التبريري apologetics للبرهنة على أن الخط العام لسياسات الإدارة الأمريكية (منذ تحرر أمريكا من الاحتلال البريطاني عام ١٧٧٦) كان صحيحًا وصائبًا، باستثناء بعض الأخطاء التي ارتكبت من قبل الإدارات الأمريكية دون تعمد أو قصد سيئ (العزلة عن العالم، سياسات واشنطن بين الحربين العالميتين، السماح للأنظمة الشمولية بالاستمرار وبالاعتداء على الدول الضعيفة، حرب فيتنام). بيد أن الخط العام لسياسات واشنطن كان حسن النية (حسب رأيه) نظرًا لتمسكه بـ:

- بناء جمهورية فتية قوية بعيدة عن حروب وصراعات العالم القديم.
- محاربة المد الشيوعي الذي أخذ يشكل تهديدًا إقليميًا للأرض وللشعب الأميركي.
- الاستجابة المباشرة والقوية لتهديد الحركات الإرهابية القادمة من الشرق الأوسط بسبب تسديدها ضربات قوية لأميركا في عقر دارها (عمليات ١١ سبتمبر، ٢٠٠١).

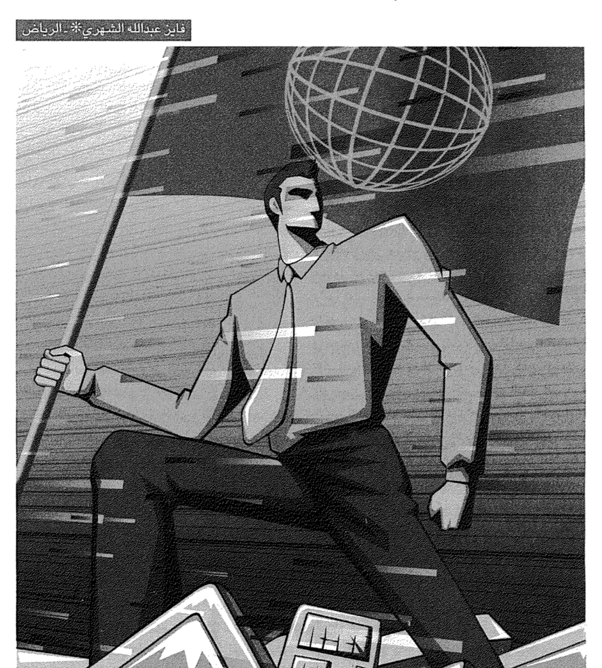
إن ظهور أمريكا كأقوى قوة في العالم بعد انهيار المعسكر الشيوعي وضع على عاتقها العديد من المسؤوليات الدولية، ليس من أجل الهيمنة على العالم حسبما يدّعي منتقدوها، وإنما من أجل حماية أرواح كل من يعيش في أمريكا. وقد دللت تصرفات الرؤساء المتأخرين (نيكسون، كارتر، ريغان، بوش الأب، كلينتون، بوش الابن) على ذلك، مشيرًا إلى اتفاقيات السلام مع إسرائيل وطرد صدام من الكويت وإيقاف الإبادة البشرية في البلقان والحرب على الإرهاب، كبينات على صحة مسار السياسة الأمريكية دوليًا. بيد أن هذه المحكات لا تكفي بقدر تعلق الأمر بالمستقبل، ذلك أن على واشنطن أن تحافظ على «اليد العليا» دوليًا من أجل الحفاظ على أمنها، حيث يتوجب عليها منع ما تسميه الحكومات المارقة من حيازة أسلحة الدمار الشامل، ومنع الشبكات الإرهابية من اقتنائه عبر مافيات التجارة النووية (يشير الكاتب إلى العالم الباكستاني الذي سرب أو باع أسرارًا نووية، عبدالقادر خان)، وتجفيف موارد شبكات وخلايا الحركات الإرهابية أينما وجدت، ذلك أن هذه الشبكات والخلايا قادرة على التكاثر والانتشار «كالفطر» كلما وجدت الأجواء الموائمة، حسب رأي الكسندر. لذا فإنه يتوقع أن الحرب على الشبكات الإرهابية لن تكون قصيرة، وإن أهم أدواتها يتمثل في تجفيف مواردها المالية والفكرية وخاصة الإعلامية.

لاريب في أن هذا الكتاب، زيادة على النزول الإعلامي الأمريكي (باللغة العربية) إلى الساحة، يدل على أن ما اعتاده بعض الكتّاب والمعلقين العرب والمسلمين من سباب وشتائم غير مرتكنة لأي منطق معقول لم يعد مقبولاً لدى الإدارة الأمريكية، خاصة وأنها تعد حربها في منطقتنا محورًا لمستقبلها وأمنها القومي، الأمر الذي يذكر المرء بالحقبة المكارثية، حيث واجهت أمريكا (في ستينيات القرن الماضي) الدعاية الشيوعية بقسوة وبلا رحمة. وإذا كان الخطاب الرسمي الأمريكي يسمح بشيء من النقد للسياسة الأميركية (بناء على الاعتراف بوجود أخطاء)، فإن هذا الهامش لا يسمح إلا بالمنطقي والمقبول عقليًا في منطق مراجعة السياسات الأمريكية. لنلاحظ، في هذا السياق، أن الإعلاميين الأمريكان غالبًا ما يتعاملون مع النقد الذكي والمبني على منطق سليم بالكثير من الاحترام لأنهم يجدون فيه أداة لتصحيح الأخطاء وتجنبها، بينما هم يتعاملون مع الهجمات المتعامية المشحونة بالضغائن بالكثير من التجاهل وربما الاحتقار. وللمرء أن يختار بين الفكر النقدي البنّاء والمستنير، وبين الهجمات المتعامية المدفوعة بالكراهية الوحيدة الجانب التي ردها إلكسندر إلى الشعور الوسواسي بمركب النقص.■

توسع في نشر ثقافة العري باسم التنوير وتوسع في «الاستهبال» باسم الحرية!

المعاناة أكبر من الإعلام العربي

فايز عبدالله الشهري* - الرياض



*كلية الملك فهد الأمنية

لا توجد دراسات يمكن الاعتماد عليها في مجال تفضيلات واستخدامات الجمهور العربي بشكل عام. يمكن هنا الاستدلال على تعاطي هذا الجمهور مع وسائل الإعلام الأجنبية التي تبث وتنشر باللغة العربية من خلال النظر إلى الخريطة العامة لهذه الوسائل. بلا شك يتكشف لكل مراقب للمشهد الإعلامي أن الجمهور العربي مستهدف من قبل وسائل أجنبية (غربية على وجه الخصوص) تصدر طبعات أو تبث برامج إذاعية وتلفزيونية بلغته العربية.

ويمكن هنا التفريق بين ثلاثة أصناف رئيسة الأول: وسائل ممولة بشكل مباشر من حكومات الدول الكبرى مثل قناة الحرة وإذاعات سوا الأمريكية، وإذاعات فرنسا وكندا ومحطة BBC البريطانية.

الصنف الثاني: وسائل إعلام ترتبط بشكل مباشر وغير مباشر بالمنظومة السياسية والاقتصادية -العسكرية الغربية، ويكثر هذا الصنف في الوسائل المطبوعة مثل مجلة (فوربز) (ونيوزويك) (وفورين افايرز).

والصنف الثالث: ما يمكن تسميته بوسائل الإعلام الدينية (التبشيرية) التي تبثها الفاتيكان وبعض الإرساليات والمنظمات الكنسية في المنطقة والعالم. ومع ظهور شبكة الإنترنت باتت اللغة العربية حاضرة في كثير من مواقع الحكومات والمنظمات الدولية بل وتوسع الأمر إلى حد بث إذاعات باللغة العربية عبر هذه الشبكة العنكبوتية موجهة للناطقين باللغة العربية.

وحتى نفهم مسألة تعاطي الجمهور العربي مع الإعلام الغربي الصادر باللغة العربية ربما يجدر بنا وضعها في سياقها الاتصالي، حيث إن هذا الجمهور هو (المتلقي) لهذه الرسائل التي ما تحدثت بلغته إلا لأنه المستهدف من قبلها! وفي مسألة التعاطي نحن نعلم تاريخيًا على الأقل أن شبكة «بي بي سي» الإذاعية كانت وما زالت (إلى حد ما) في صدارة اهتمامات شرائح كبيرة من المستمعين العرب، وقد بنت المحطة علاقتها مع الجمهور العربي منذ عقود طويلة ويمكن أن نضم إليها بصورة أقل إذاعة صوت أمريكا (توقفت) وإذاعة مونت كارلو وربما راديو كندا الدولي.

وفي الجانب المهني الفني لا يمكن إنكار دور هذه الوسائل الأجنبية في وضع النموذج (المودل) للوسائل الإعلامية العربية التي ظهرت فيما بعد، بل يمكن القول إن محطات الإذاعة العربية استفادت بشكل كبير من تجارب هذا الإعلام الذي نسميه في دراسات الإعلام «الإعلام الدولي الموجه» في مراحل التأسيس الأولى، حيث إن جيلاً مهمًا من الإذاعيين العرب الأوائل تدربوا مباشرة أو بشكل غير مباشر على أسلوب ونمط هذه الوسائل الأجنبية. وفي مجال الطباعة والنشر فقد استفاد الإعلام العربي المطبوع بشكل كبير من تقنيات النشر وحلول التعامل مع النص العربي الذي يعود الفضل في تطوير برمجياته وأجهزة معالجته إلى صناعة الإعلام العالمية. ولا بد من الإقرار بهذا. وفي مجال النشر الإلكتروني

كانت الحلول العربية ضعيفة ومتناقضة مع بدايات الإنترنت الأولى وقد تصدت شركات تطوير البرامج الغربية لهذه المهمة وقدمت حلولاً رائعة أنهت الكثير من المعاناة التقنية العربية. ويكفي أن نعلم أن شركة ميكروسوفت قد استثمرت وخدمت اللغة العربية تقنيًا سواء من حيث أنظمة التشغيل المعربة أو البرمجيات العربية وحققت نجاحات مهمة عجزت عن تحقيقها كل الحكومات العربية.

ونتساءل:

هل يحمل هذا الإعلام أجندة خفية؟

نقول ربما تكون كلمة «خفية» غير ذات محل هنا فالإعلام في النهاية لا يمكن أن (يخفي) أجندته، ولكن قد لا يعلنها بشكل مباشر. وفي رأيي أن الأمر أبسط من ذلك، فحين نحلل أركان العملية الاتصالية (المرسل والمستقبل والوسيلة والرسالة) وننظر في السياق الاتصالي العام لأية وسيلة اتصال سنجد في النهاية وفي هذه القضية بالذات أن (المرسل) لا يمكنه أن يخفي نفسه ونحن لا نجهله. أما (الرسالة) وهي مضامين هذه الوسائل فتحليل (محتواها) يكشف بكل سهولة أجندتها ومن تستهدف. ولكن من باب الموضوعية العلمية يجب التفريق هنا بين نشاط الإعلام السياسي الذي تمارسه الدول الكبرى والصغرى كجزء من الاستراتيجية الضرورية في حركة العلاقات الدولية، خاصة إذا علمنا أن الإعلام ذراع مهم للسياسة الخارجية للدول، وبين الممارسات الإعلامية التي تقل فيها جرعات الإعلام الموجهة وهذه قليلة بكل أسف.

وحتى لا نتهم الآخرين ربما يحسن بنا أن ندرك أن قصة الأجندة الإعلامية مع الغرب نفذتها منذ بداياتها الأولى شخصيات عربية وحتى اليوم من ينفذ برامج التوجيه المباشر هم في الغالب من العرب، ومن أوائل القصص تاريخيًا وأبرزها قصة يونس صالح (بحري) الجبوري (العراقي) تلك الشخصية العجيبة، فقد فر من الإنجليز ليدير إذاعة (هنا برلين حي العرب) وهي إذاعة دعائية سياسية موجهة للشعوب العربية وكان يظهر «بحري» أحيانًا مرتديًا بذلة مارشال ألماني عليها الصليب المعقوف إلى جوار «جوبلز» وزير الدعاية الهتلرية.

وحين نتأمل البث الإذاعي - لأنه الأسبق تاريخيًا - نجد أن هناك ارتباطًا كبيرًا بين الدول التي تبث ومقدار حظها وحراكها السياسي والعسكري، ولعل هذا يفسر كيف أن «إذاعة باري» الإيطالية العربية كانت الأسبق، فقد بدأت بثها الموجه إلى العرب عام ١٩٣٥م كمقدمة للاستراتيجية العسكرية لإيطاليا «موسوليني» التي بدأت تتوسع في شمال وشرق إفريقيا. وهذه الخطوة الإيطالية حفزت المستعمر البريطاني إلى إطلاق القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية ١٩٣٨م، وكان العربيان عيسى خليل صباغ ومنير شما صوت بريطانيا إلى العالم العربي. وهو أيضًا نفس العام الذي شهد انطلاقة إذاعة برلين العربية وقد أطلقت دول أخرى (فرنسا وروسيا) في نفس الفترة برامج وإذاعات باللغة العربية ضمن نشاطات تسخين الأجواء للحرب الغربية الثانية.

واليوم نجد أن الأثير والفضاء العربي محمل بالرسائل الإعلامية الدولية التي تحاول أن تستقطب اهتمام الجمهور العربي.

والأجندة الدولية لم تعد تسعى لإخفاء حقيقتها



بل باتت تُعلن وتفرض بشكل سافر ومتوحش، حيث تطالب الدول الصغيرة بتعديل بعض مظاهر ثقافاتها ومراجعة قوانينها وتعديل مفاهيم دينية وثقافية حتى يسمح لها بعضوية النادي الدولي وهو ما تحاول أن تفعله حكومات الولايات المتحدة حين استفردت بالقرار الدولي مع بدايات التسعينيات وهو ما دفع أقطابًا دولية أخرى لدخول حلبة المنافسة على مسرح المصالح الدولية، خاصة مع انكفاء التنين الصيني وغياب الدب الروسي مما مهد لظهور الشخصية الأوروبية مقابل المارد الأمريكي المتوحد بالعالم. ولكن كما يبدو فالمنافسة الأمريكية الأوروبية على التأثير في عقول وقلوب العرب والمسلمين غير متكافئة على الرغم من أن الاتحاد الأوروبي خصص (٢) ملايين يورو لإنشاء وتطوير القسم العربي لشبكة يورونيوز، ولكنها تجربة لم تعمر طويلاً فقد توقفت بعد أقل من سنتين من ظهورها، في حين ما زالت الحكومة الأمريكية تضخ مبالغ سنوية طائلة لخدمة الإذاعات العربية الموجهة (راديو سوا - راديو الحرية) وقد خصص أول الأمر ٦٢ مليون دولار لتمويل انطلاقة قناة الحرة وحدها وقد بدأت قوية بالفعل، حيث وظفت مئتي صحفي ومراسل معظمهم من اللبنانيين أو العرب الأمريكيين. وفي الولايات المتحدة - كما نعلم - توجد مؤسسة شبكة الشرق الأوسط للإرسال المتخصصة في الإشراف على أنشطة البث والنشر الموجهة للشرق الأوسط والعرب بشكل خاص، وهي وإن كانت من الناحية القانونية مؤسسة غير ربحية إلا أن منحة الكونجرس لها وأصابع الخارجية الأمريكية عليها تخرجها من أبواب مؤسسات الإعلام المستقلة.

وبنظرة إلى العاملين من العرب في هذا الإعلام.. هل تغيرت توجهاتهم وتخلوا عن هوياتهم؟

هذا السؤال يفترض أن الإعلامي العربي (إجمالاً) تحكمه مواثيق ومبادئ لا يحيد عنها، والافتراض المطلق بأن أي صاحب مهنة وبخاصة الإعلامي هو بالضرورة ذو توجه إيجابي مع قضايا أمته فيه من التفاؤل الكثير. الواقع العربي يوضح أن الإعلامي بات موظفًا ينفذ سياسة المستثمر (تجاريًا سياسيًا ثقافيًا) سواء كان هذا المستثمر عربيًا (حكومات أو أفراد) أو أجنبيًا كما هو الحال في مناخ الإعلام سواء العربي أو المستعرب. أما مسألة الهوية فيكفي أن نأخذ مثالاً أن إعلاميًا عربيًا، هو اليوم أحد أعمدة محطة الحرة والإعلام الأمريكي الموجه، كان في زمن قريب أحد أهم أركان العمل والفكر الإعلامي لمجموعة (مذهبية) لبنانية لا تسمي أمريكا إلا «الشيطان الأكبر». ولعل هذا ما حدا بمواطن أمريكي ماروني من أصل لبناني أن يقول «أرفض أن يكون ٨٠٪ من الصحفيين في الحرة من الطائفة المارونية أو من الجنسية اللبنانية، لأن هذا في رأيه تصرف لا يشجع على كسب عقول وقلوب بقية العرب». ولكن حتى ننصف ذواتنا أذكر القراء بأن جل ما نسمعه اليوم من شكاوى جراء معاناة المجتمع العربي من وسائل الإعلام باتت في نواح كثيرة تأتي من الإعلام العربي التمويل والغاية سواء من حيث التوسع باسم التنوير في نشر ثقافة العري والخلاعة، أو الاستهبال باسم الحرية في محطات الابتذال السياسي والمتاجرة الرخيصة بكل مأساة عربية، صدق الشاعر الشعبي حينما قال (من دون صهيون بذتنا صهاينا).

هذا الإعلام الأجنبي ليس استعمارًا بالمعنى الدقيق والعسكري للكلمة ولكنه في حقيقته أداة مؤثرة في يد الغالبين المنتصرين الذين يأتون تارة في صورة مستعمرين كما هو الحال في فلسطين أو على شكل محتلين كما هو الحال في العراق أو تجارًا شطارًا كما هو الحال في الشركات العابرة للقوانين والقارات.

في علم الاتصال يقولون إن العملية الاتصالية الناجحة لا تنجح ولا تؤثر إلا إذا بدأت من الداخل. ولكن يمكن القول: نعم نحن في حاجة إلى إعلام يخاطب الغرب والشرق، ولكن ما الرسالة التي نريد (أو يمكن) أن ننقلها لهم، ثم هل وجدت تجارب الإعلام العربي الدولي (الموجه) عبر الإذاعة على وجه الخصوص مستمعين متفاعلين. لقد ظل العرب أكثر من نصف قرن يخاطبون بعضهم ويتهارشون عبر الإذاعات وكلما ارتفعت نبرة التزوير والشتم والردح المتبادل ظهرت دولة عربية جديدة تطالب بمقعد في الجامعة العربية. واليوم ها هو التاريخ يعيد نفسه فكلما ظهرت فضائية عربية تشنع على العرب استسلامهم لخصومهم وتذكرهم بهوانهم وعجزهم، تظهر في اليوم التالي في عاصمة هذه الدولة الفضائية نشاطات مكتب تجاري إسرائيلي أو أخبار افتتاح سفارة صهيونية■

زمن الحرة وسوا وهاي يختلف كثيرًا عن زمن BBC ومونت كارلو . .

الأجندة مفضوحة والتأثير محدود

ياسر الزعاترة - الأردن

*كاتب صحفي أردني .

حين نتحدث عن الإعلام الغربي باللغة العربية فإن من الصعوبة بمكان وضع عناوين ذلك الإعلام في سلة واحدة، أكان من حيث المضمون أم الأهداف، فالبي بي سي تختلف عن فضائية الحرة وإذاعة سوا، كما أن مجلة المشاهد البريطانية التابعة للقسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية تختلف عن مجلة هاي الأمريكية.

تاريخيًا كانت الإذاعة البريطانية أو إذاعة لندن كما كانت معروفة في الأوساط العربية وإذاعة مونت كارلو (الفرنسية) ثم صوت أمريكا، وربما إذاعة إسرائيل الناطقة باللغة العربية التي تشكل حالة خاصة، مع العلم أنها توقفت منذ سنوات، هذه الإذاعات كانت تشكل العناوين الأساسية للإعلام الغربي الناطق باللغة العربية، والقادر بالضرورة على التواصل مع المواطن العربي. وفي هذا السياق الأولي تبرز مسألتان؛ تتعلق الأولى بمضمون هذه الإذاعات، فيما تتعلق الثانية بأهداف القائمين عليها.

من المؤكد أن مضمون هذه الإذاعات لم يكن صارخًا في انحيازه لرؤى الدول المعنية وأهدافها، فقد توفر حرص معقول، لاسيما بالنسبة لإذاعة لندن على قدر من الموضوعية، أكرر على قدر من الموضوعية، في طرح الأخبار والتحليلات والبرامج، وبالطبع في سياق مهني يركز على استقطاب المستمعين من المنابر الأخرى.

بالنسبة للأهداف فإن بالإمكان القول إن وقوف أمريكا وبريطانيا وفرنسا خلف الإذاعات الثلاث إنما يعكس بدوره الأهداف الحقيقية الكامنة خلفها، فنحن هنا نتحدث عن أهم ثلاث قوى استعمارية في العالم خلال القرن المنصرم، وبخاصة فيما يتعلق بترتيب شؤون المنطقة العربية، ومن الطبيعي أن تبقى هذه القوى على تواصل دائم مع الأمة العربية في سياق السياسة والإعلام والتأثير، وحين نقول ذلك يغدو من الطبيعي أن تكون وسائل الإعلام الموجهة للعرب من هذه الدول ذات أهداف تابعة لمصالحها.

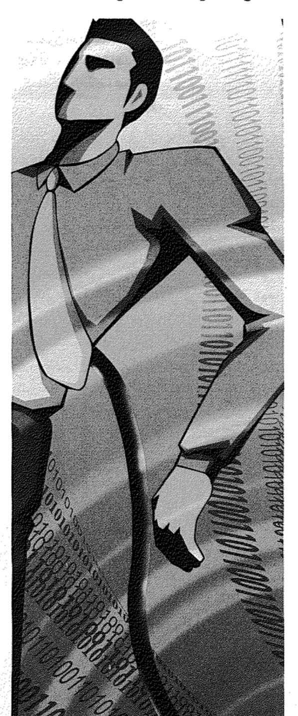
قد يتبادر إلى الذهن أن المسألة تتصل بالضرورة بالتزوير والاختراق المباشر، لكن الأمر ليس كذلك بالضرورة، إذ إن مفهوم «القوة الناعمة» يبدو حاضرًا بقوة هنا، فأن يبقى النموذج الأمريكي والبريطاني والفرنسي محببًا في وعي هذه الشعوب ونخبها، فإن لذلك آثاره القريبة والبعيدة على مصالحها.

تقليديًا ما زالت بريطانيا، وعلى رغم أفول نجمها كإمبراطورية، تتشبث بما تبقى لها من نفوذ من خلال القوة الناعمة التي يوفرها نموذجها المنفتح بلغته الإنجليزية الأكثر رواجًا في العالم، وليس غريبًا أن نرى أن معظم النخب الحاكمة في العراق وأفغانستان بعد الاحتلال، والنخب الفاعلة في المشرق العربي عمومًا قد تخرجت في الجامعات الأنجلوساكسونية، الأمر الذي يتكرر بالنسبة للنخب الفرنكفونية في عدد كبير من دول القارة الإفريقية والمغرب العربي.

السياسة إذن هي سيدة الموقف، سواء جرى التصريح بذلك أم لا، لكنها كما قلنا سياسة تتوسل

اعتماد القوة الناعمة وليس القوة الفجة التي تعتمد الترويج المباشر والاختراق المفضوح.

في الزمن الأمريكي، وتحديدًا زمن المحافظين الجدد، وبشكل أكثر تحديدًا زمن ما بعد الحادي عشر من أيلول، تبدو الصورة مختلفة، فالإعلام الأمريكي الذي دخل المنطقة هذه المرة كان إعلامًا مفضوح الدوافع، معلن البرامج. إنه جزء لا يتجزأ



من أدوات الحرب والإخضاع التي تتوسلها الحكومة الأمريكية.

زمن الحرة وسوا وهاي، وحتى نيوزويك مع بعض الفارق، يختلف اختلافًا كبيرًا عن زمن البي بي سي ومونت كارلو، وإن بدا أن الأداة هي ذاتها، ومعها محاولات توخي الموضوعية، لكن الموقف الآن يقوم على أجندة مفضوحة عنوانها تغيير الوعي العربي المنحاز إلى قيم ترفضها الولايات المتحدة، مثل قيم المقاومة والمحافظة على الهوية ورفض الدولة العبرية إلى جانب «الأصولية الإسلامية» بمختلف تجلياتها، وإن جرى الانحياز لبعض أشكالها في سياق «مرحلة» الصراع معها.

تأثيرات إيجابية غير مقصودة!!

قبل الحادي عشر من أيلول، بل قبل انتشار الفضائيات العربية، كان الإعلام القادم من الخارج يقدم لنا خدمة مهمة بقدرته على تجاوز القطري إلى القومي إلى الإسلامي وربما الأممي، وهي هنا مهمة حيوية إلى حد كبير في زمن القطرية والتجزية والصراعات الجانبية بين الدول العربية، وبذلك كانت البي بي سي توحدنا من حيث لا تريد، وربما لا يدري القائمون عليها، فعبر نقلها لأخبار العالم العربي كان المواطن يعايش هموم أمته بشكل يومي، فيما لم تكن وسائل الإعلام المحلية المحكومة لعقليات فجة وحسابات قطرية ضيقة توفر له فضاءً كالذي توفره البي بي سي ومونت كارلو مثلاً.

من المؤكد أن قدرًا من الاستلاب، وربما التبعية النفسية كانت تتوفر بشكل من الأشكال، فضلاً عن قدر من الاختراق السياسي، لكن ذلك كان محصورًا في النخب الحاكمة إلى حد كبير، وربما النخب المثقفة المستلبة للنموذج الغربي، أما الجماهير فكان لها شأن آخر، إذ إضافة إلى البعد الذي ذكرنا يمكن القول إن الشارع العربي قد حصل على جرعة إضافية من التسييس بفعل تلك الإذاعات، مع أن واقعه كان يفرض عليه ذلك في كل الأحوال.

المخزون الثقافي الإسلامي يقاوم

ما يجب التركيز عليه في سياق أية معالجة

لشؤون الإعلام الغربي الناطق بالعربية، هو ضرورة الابتعاد عن التهويل فيما يتعلق بقدرة هذا الإعلام على التأثير في وعي الإنسان العربي المسلم، ذلك أن المخزون الفكري والثقافي في وعي أجيال الأمة يبدو على الدوام عصيًا على التشويه إلى حد كبير، فحين تتربى الأجيال على احترام نماذج كمحمد عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام، وعلى نمط البطولة كما في حال صلاح الدين وسواه، فإن احترام أية شخصيات أخرى لا بد أن يكون مرهونًا باقترابها أو ابتعادها عن هذه النماذج، ثم إن أية محاولة لتشويه الإسلام لا بد أن تواجه بردة فعل واسعة من قبل المسلمين، وسيكون بالإمكان هنا إضافة القيم الأخلاقية المعروفة في الإسلام، أكانت قيمًا فردية يعرفها الجميع أم جماعية مثل الوحدة بين أبناء الأمة في مواجهة العدوان الخارجي.

لا يعني ذلك أن الإعلام الخارجي الموجه لأبناء الأمة لا يمكنه التأثير فيها، فنحن نتحدث هنا عن تأثير ما، لكنه يبقى محدودًا يمس الهوامش ولا يتوغل في صلب الوعي الجمعي للأمة وأبنائها، أي أنه يصيب القشور، ويصيب الأخلاق العادية واليومية في كثير من الأحيان، أما تأثيره السياسي والفكري فليس حيويًا إلى حد كبير، لاسيما عندما يواجه من قبل القوى الحية في الأمة على نحو دائم بالوسائل المتاحة.

خطورة الإعلام العربي المتغرب

ثمة نوع من الإعلام هذه الأيام يبدو أكثر خطورة من الإعلام الغربي الناطق بالعربية، إنه ذلك العربي الممول من جيوب العرب والمسلمين، والذي يتبنى المفاهيم الغربية في السياسة والثقافة والأخلاق، وبالطبع من خلال ترجمة البضاعة الغربية للكبار والصغار وتقديمها للعالم العربي، ومن أسف أن هذا اللون من الإعلام قد أخذ ينتشر على نحو ملحوظ في الآونة الأخيرة، ولعل في تجربة النيوزويك مثالاً، لكن الأهم هو تلك الفضائيات العربية التي تقدم المجتمع الأمريكي للمشاهد العربي، فيما تتبنى الرؤية الأمريكية في السياسة والثقافة، يضاف إليها بالطبع العديد من مواقع الإنترنت التي بدأت تتكاثر بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة.

مصيبة هذا الإعلام تكمن في أنه يحلل المشاهدين العرب أو بعضهم في أقل تقدير من تلك الحساسية التي تنشأ فيهم لدى مشاهدتهم قناة مثل الحرة، أو استماعهم لإذاعة مثل سوا، هذا إذا تعامل معها من الأصل.

الرد على الإعلام الغربي الناطق بالعربية

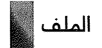
في ذات الوقت الذي لا نجد فيه الكثير من الخطورة في وجود إعلام غربي ناطق بالعربية، لاسيما في ظل فجاجة ذلك الإعلام بعد الحادي عشر من أيلول، إلا أننا لا نميل إلى التقليل من أهمية الظاهرة وضرورة التصدي لها، وبخاصة بعد أن انضمت إليها عناصر عربية ومسلمة تمارس اللعبة على نحو ملتبس.

ربما كان الجانب السياسي محدودًا هنا، لكن الجوانب الأخلاقية والثقافية تبدو حاضرة بقوة، ما يعني ضرورة توفير البدائل المقبولة للمشاهد العربي، أكانت سياسية أم دينية أم ثقافية، وللأمانة فإن شيئًا من ذلك قد أخذ يتوفر خلال السنوات الأخيرة، وصار بوسع المشاهد العربي أن يطل على المشهد العربي والدولي من منظور إسلامي وعربي ملتزم بهموم الأمة، ولو في الحد الأدنى.

يبقى البعد الآخر المتعلق بالرد على آليات تشويه المواقف العربية والإسلامية سياسيًا وفكريًا، ليس في عقل المواطن العربي والمسلم، وإنما في عقل الإنسان الغربي، وهنا تبرز إشكالية خطيرة تتمثل في غياب الأمة عن وسائل التأثير في الإنسان الغربي مقابل آلاف البرامج والفضائيات والمواقع الإلكترونية التي تتخصص في مطاردة الأمة ودينها ومصالحها على مختلف الأصعدة.

إننا هنا أمام نشاط إعلامي ليست له أهدافه الإمبريالية، لكنه بالغ الأهمية ويتطلب جهودًا وأموالاً ضخمة ينبغي أن يتولى علماء الأمة ومفكروها الدعوة إلى صرفها في هذا الميدان، لاسيما ونحن أمة تملك دينًا عظيمًا يصلح لإخراج الإنسانية من مأزقها، وإذا ما أحسن عرضه فسيجد أصداءً إيجابية واسعة بين الأمم والشعوب. ■

زمن الحرة وسوا وهاي يختلف كثيرًا عن زمن BBC ومونتيكارلو..



الإعلام الأمريكي والهيمنة الدولية

قناة الحرة.. أنموذجًا

عائض مرزوق الحربي - الرياض

* صحفي سعودي - صحيفة الحياة .

لا يمكن الفصل بين وسائل الإعلام والأنظمة السياسية على اختلاف مشاربها. وتعد الولايات المتحدة من أبرز الدول في إدراك تأثير وسائل الإعلام على الرأي العام المحلي والدولي، وأنشأت العديد من الإذاعات الموجهة بعد الحرب العالمية الثانية، وعادت من جديد لتؤكد أهمية مثل هذه المحطات عندما دشنت قناة الحرة التلفزيونية.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م، وظهور الدول الكبرى كبريطانيا وأمريكا والاتحاد السوفييتي وفرنسا مقابل الدول النامية التي خرجت للتو من الاستعمار، بدأت هذه الدول النامية بإحداث تغيير في الواقع السياسي الدولي من خلال عضويتها في الأمم المتحدة، وأخذت هذه الدول النامية بالمطالبة بضرورة إعادة النظر في مبدأ حرية تدفق المعلومات الذي تسيطر من خلاله دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة على الإعلام الدولي (مرداد،٢٠٠١،ص٧).

ويرى مرداد أن الإعلام الدولي اتسم بعدة سمات بعد الحرب العالمية الثانية هي:

❖ أن الهيكل الاتصالي الداخلي والخارجي لدولة ما، يعكس مصالح القيم السياسية والاقتصادية لهذه الدولة.

❖ شيوع سياسة عدم التدخل في الاتصالات الدولية... وهذه الخصيصة جعلت من الدول الفقيرة إعلاميًا في وضع اعتمادي من ناحية علاقتها بالدول الغنية إعلاميًا.

❖ انعكاس العلاقات السياسية الدولية على طبيعة العلاقات الإعلامية ودخول العالم في تحالفات جديدة والتقدم التقني كل ذلك انعكس على العلاقات الإعلامية الدولية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ظهر هناك اتجاهان يسيران بطريقة متوازية الأول سياسي وتزعمته حكومات الدول الغربية، والآخر إعلامي وتزعمته وسائل الإعلام الغربية (مرداد،٢٠٠١، ص١٨).

وساعد تطور تقنيات الاتصال والمعلومات إلى دخول العالم حقبة الإعلام العالمي الانتشار، وبروز الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية كجزء من النظام الإعلامي العالمي.

وفي أواخر السبعينيات ظهر ما يسمى بالنظام الإعلامي الدولي الجديد، وبدأت الدول تطالب بإجراء تعديلات جذرية على النظام الإعلامي العالمي السائد، وكانت دول عدم الانحياز هي السباقة في المناداة بتأسيس نظام إعلامي واتصالي

جديد، وساندت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) بحكم اهتماماتها بمجالي الإعلام والاتصال تلك المطالبات.

وفي عام ١٩٧٧م تشكلت لجنة دولية عرفت باسم «لجنة ماكبرايد الدولية» لدراسة وضع الإعلام الدولي وأكدت هذه اللجنة أن النظام الإعلامي الدولي يجب أن يسعى إلى إحداث تغيرات رئيسة في الخريطة الإعلامية الدولية عن طريق:

❖ إيجاد توازن عادل ومتساو لتدفق المعلومات بين دول الشمال الغنية ودول الجنوب الفقيرة.

❖ أن يكون لكل دولة الحق في تقرير مصيرها الوطني فيما يتعلق بسياسات الاتصال والإعلام الداخلي.

❖ إيجاد ميكنة دولية لتدفق المعلومات في اتجاهين.

❖ بناء أو إعادة بناء النظام الإعلامي والاتصالي وتحديد أولوياته حتى تسيطر الدول النامية على مصادر معلوماته.

❖ الحد من الاستغلال التجاري للإعلام.

نشأة الإذاعات الموجهة:

يؤرخ لأول برامج موجهة للخارج بفترة الحرب من عام ١٩١٤-١٩١٨م، وكان الثوريون في روسيا هم أول من استخدم الإذاعة الدولية لعرض سياستهم لممارسة الضغط على الألمان أثناء المفاوضات الخاصة باتفاقية سنة ١٩١٨م.

ويعد لينين من أوائل الذين فهموا أهمية حيازة الإذاعة وكان ذلك عام ١٩٢١م عندما أشرف على إنشاء محطة موسكو، وكانت إذاعات موسكو

أخبار أمريكا في المرتبة الثالثة!!

أوضحت نتائج دراسة وصفية لقناة «الحرة» للباحث عائض الحربي هدفت إلى تحليل مضمون الأخبار التي قدمتها قناة الحرة التلفزيونية في نشرتها الرئيسية اليومية، (بلغ عدد الأخبار التي خضعت للتحليل ٢١٨ خبرًا). أن الأخبار السياسية حصلت على النسبة الكبرى، وجاءت في المقدمة من حيث طبيعة الأخبار التي نشرتها القناة، وهذا يتوافق مع ما توقعه الباحث نظرًا لطبيعة القناة واهتمامها بالأخبار السياسية على حساب أنواع أخرى من الأخبار. ويرجع الباحث طغيان الأخبار السياسية على نظيراتها الاقتصادية والاجتماعية والفنية والعلمية والرياضية إلى أن القناة بدأت تخصص نشرات لكل فن من فنون الخبر، وتقتصر على أهم الأخبار غير السياسية أو تلك التي تؤثر في الحياة السياسية وتقدمها في نشرات الأخبار.

ولاحظ الباحث أن الأخبار التي وقعت في دول الاتحاد الأوروبي جاءت في الصدارة ويرجع الباحث هذا إلى أن هذه المجموعة تضم أكثر من ١٥ دولة من بينها فرنسا وبريطانيا وألمانيا وأسبانيا وإيطاليا وهي دول لها علاقة مباشرة في الأحداث الجارية في العالم، إضافة إلى أن بعضًا منها تريد أن تكون ضمن اللاعبين الرئيسين في العالم وخصوصًا في العراق، بينما تقدمت الأخبار الحادثة في العراق على أخبار أمريكا وهذا يرجعه الباحث إلى الأحداث المتتالية في العراق وطغيانها في الآونة الأخيرة. واحتلت أخبار أمريكا المرتبة الثالثة وهي نتيجة لم يتوقعها الباحث بسبب أن المحطة أمريكية وتعمل على تقديم وجهة نظر الحكومة في واشنطن، ويعتقد الباحث أن المحطة غير مستعجلة لتقديم نفسها على أنها مرآة عاكسة لما يحدث في الولايات المتحدة، وأنها تحتاج لفترة حتى تكسب ثقة المشاهد وذلك بعدم التركيز في الوقت الحالي على الأخبار الأمريكية والتركيز بدلاً عن ذلك على تقديم صورة أمريكا من خلال برامج ترفيهية وبرامج أخرى (غير إخبارية).

وفي جهة الأخبار المصورة لم تخالف النتائج توقعات الباحث القبلية إذ تصدرت القائمة الأخبار المصحوبة بصور، وهذا الجانب يربطه الباحث بالتطور الهائل في مجال الفضاء وسرعة نقل الصورة من أي موقع في العالم وانتشار إرسال الصور الرقمية بوضوح ودقة، إضافة إلى تطور عمل المراسلين المجهزين بما



الإنجليزية في العشرينيات من القرن الماضي تفزع الإنجليز وأدى هذا إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين بريطانيا والاتحاد السوفييتي ١٩٢٧م.

واستخدم الألمان الإذاعات بشكل موسع في الحرب النفسية وقد أدركوا أهميتها في سنة ١٩١٥م، فبادرت ألمانيا ببث نشرات أخبار يومية خاصة بالعمليات الحربية من خلال البريد اللاسلكي، وأقاموا محطة إذاعة ناون NAUON .

وامتد بث الإذاعات الألمانية الموجهة عام ١٩٣٥م إلى جنوب آسيا وأمريكا الوسطى بعد أن كان مركزًا على جنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية وإفريقيا.

وفي مقابل هذا أقام الإنجليز محطة كاليه Calais على الساحل الجنوبي لبريطانيا موجهة لألمانيا.

يسمى الهاتف الفضائي الذي لا يحتاج إلى إمكانات بشرية كثيرة العدد.

وعلى عكس ما كان يتوقعه الباحث احتلت الحيادية الصدارة بشكل واضح، ويرجعه الباحث إلى أن السياسة التي تتبعها القناة في البداية على أقل تقدير يجب أن تكون محايدة لكسب رضا المشاهدين. وتلت الحيادية (في النسبة) الاتجاه الإيجابي واحتل المركز الأخير التوجه السلبي. كما لاحظ الباحث بشكل واضح استمرار سياسة تعامل وسائل الإعلام بالنسبة للأخبار الإسرائيلية، إذ استمر النهج السابق في عدم التطرق إلى السياسة الإسرائيلية بشيء من السلبية، بينما لا تزال السلبية تغلف اتجاه الخبر عندما يحدث في فلسطين!! وهذا يعكس بشكل واضح التعامل الأمريكي مع القضية الفلسطينية إن على صعيد الحكومة أو على الصعيد الإعلامي.

كما لاحظ الباحث ارتفاع السلبية عند تناول الأخبار الواردة من الاتحاد الأوروبي وهو ما يعلله الباحث بمعارضة بعض دول الاتحاد السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط على غرار ما تفعله فرنسا وألمانيا.

وبخصوص العلاقة بين طبيعة الخبر ومكان وقوعه لاحظ الباحث طغيان الأخبار السياسية على باقي الأخبار سواء الواردة من الاتحاد الأوروبي أو أمريكا والعراق وهو يوافق ما توقعه الباحث، وذلك لانشغال العالم بالأحداث الجارية في الاتحاد الأوروبي والعراق وانتخابات الحزب الديمقراطي الأمريكي والنزاع الإسرائيلي الفلسطيني، لكن قاعدة بروز الأخبار السياسية تم تجاوزها في الدول الأخرى وجاءت الأخبار الاقتصادية في الصدارة!! وفي رأي الباحث الحربي فإن هذه النتيجة إلى أن هذه الفئة تضم دولاً عرفت بمكانتها الاقتصادية كاليابان مثلاً وبعض الدول المنتجة للبترول ممن هي خارج منظمة أوبك إضافة إلى كندا وهي من الدول الثماني الصناعية والصين.

وجاءت العلاقة بين مكان الخبر وهل هو مصور أم لا بشكل مرتفع في الأخبار التي حدثت في فلسطين واحتلت النسبة الأعلى، وهذا يرجعه الباحث إلى أن الأحداث متوالية في الأراضي الفلسطينية بشكل يومي، إضافة إلى تغطية استشهاد الشيخ أحمد ياسين وما تبعه من أحداث، وارتفعت نسبة الأخبار المصورة التي حدثت في أمريكا ودول الاتحاد الأوروبي. ولاحظ الباحث أن الأخبار التي وقعت في العراق لم تكن مصورة على الدوام. (وبحسب الباحث) فإن الصور التي تتعارض مع السياسة الأمريكية لا تجد طريقها للنشر في الأخبار وربما يكتفى بذكر الخبر دون صورة■

واتبع اليابانيون الأسلوب ذاته في عام ١٩٤٢م وكانت الإذاعة اليابانية تذيع أسماء الضحايا والأسرى والجرحى الأمريكيين.

واهتمت إيطاليا الفاشية بالإذاعة الموجهة وبث إرسالها إلى الامريكيين والعالم العربي وإثيوبيا، وافتتحت إذاعتها العربية من محطة باري، وردت بريطانيا بإنشاء إذاعة في دافنتري وكانت أول إذاعة أجنبية توجهها بريطانيا إلى الخارج. ثم أنشأت بريطانيا هيئة الإذاعة البريطانية في عام ١٩٤٢م تبث برامجها إلى معظم دول العالم.

أمريكا والإذاعات الموجهة:

ولم يتأخر الأمريكيون في الدخول إلى عالم الإذاعات الموجهة، وقد كانت الإذاعات الأمريكية تبث من نيويورك وسان فرانسيسكو، ثم أنشئت أول محطة إذاعية أمريكية في مدينة لندن American Broadcasting Station In Europe (A.B.S.E).

وفي نهاية الأمر أنشىء مجلس للحرب النفسية ألحق بالقيادة العليا للحلفاء برئاسة إيزنهاور تمهيدًا لغزو ألمانيا وإيطاليا، ولكن المجهود الأمريكي زادت حدته فيما بعد عند إنشاء راديو أوروبا الحرة (إمام،١٩٦٩،ص٣١٣).

وكانت البداية مع المحطات الموجهة إلى قواعد الجيش الأمريكي بغرض الترفيه على الجنود الأمريكيين الموجودين في أوروبا.

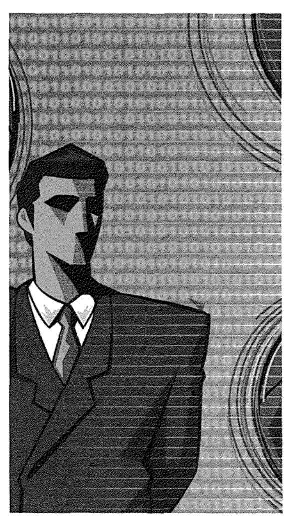
وتزامنت هذه الجهود الأمريكية مع مطالبة أصوات عدة بأهمية الإذاعة الدولية، وكان سفير أمريكا في كوستاريكا يشتكي منذ عام ١٩٣٤م من عدم كفاية الأخبار التي تتعلق بأمريكا على الموجات القصيرة، وتمنى وجود وسيلة لبث إذاعة الأخبار.

ولم تبدأ أمريكا برامجها إلا في سنة ١٩٣٧م وكانت موجهة بشكل مكثف إلى أمريكا اللاتينية.

ولم تتأخر أمريكا في الدخول إلى المعركة الإذاعية، فحتى سنة ١٩٤١م كانت الإذاعات الأمريكية توجه برامجها نحو أمريكا الجنوبية.

وبدأ صوت أمريكا البث في ١٩٤٢م ببرنامج باللغة الألمانية وكان يبث بين لندن ونيويورك عبر خط تليفوني عبر الأطلنطي.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية خصصت



برامج أمريكا الموجهة للخارج للعمل الثقافي، وأنشأت السلطات الأمريكية إدارة خاصة للإشراف على البرامج الموجهة.

وفي عام ١٩٤٨م وافق الكونجرس على تشريع خاص بإنشاء خدمة رسمية للإعلام عبر البحار تضم إليها صوت أمريكا.

وفي أغسطس ١٩٤٨م بدأ صوت أمريكا في بث برامجه بعشر لغات جديدة: العربية والفارسية والتركية والنرويجية والسويدية والفنلندية والهولندية والبرتغالية والأوكرانية والدانمركية.

وكان هذا التسابق يستغل الإذاعة لأعمال الدعاية والحرب النفسية على النحو الذي فعله الاتحاد السوفييتي وألمانيا وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان.

وكالة الإعلام الأمريكية: U.S. INFORMATION AGENCY

أنشئت في أغسطس ١٩٥٣م، وسبق أنشاء هذه الوكالة عدة أجهزة منها:

- مكتب الإعلام الدولي والشؤون الثقافية الذي قسم إلى جهازين منفصلين بعد ذلك هما: مكتب الإعلام الدولي ومكتب التبادل الثقافي. ثم أنشئت بعد ذلك إدارة الإعلام الدولي عام ١٩٥٢م التي بقيت تابعة لوزارة الخارجية حتى وافق الكونجرس على إنشاء وكالة الإعلام الأمريكية.

- وكانت نشاطات الإعلام فيما وراء البحار خاضعة منذ أغسطس ١٩٤٥م لوزارة الخارجية الأمريكية، وكانت أهدافها تتراوح بين إرساء السلام عن طريق خلق تفهم أفضل بالنسبة للولايات المتحدة وشعبها وسياساتها إلى محاولة كسب الأصدقاء والنفوذ للولايات المتحدة في الخارج بإعطاء صورة مشرقة للشعوب الأخرى، وامتدت هذه الأهداف لتركز بصفة أساسية على شرح وتفسير السياسات الخارجية وبيان توافق هذه السياسات مع مصالح الدول الأخرى، وتقديم الاستشارة للرئيس الأمريكي في ذلك الوقت بشأن ردود فعل الشعوب في الخارج، وأخيرًا تركز على التصدي للدعاية الشيوعية الروسية وغيرها من ألوان الاتصال الدولي العدائي لأمريكا (بدر،١٩٧٤. ص٢٩٩ -٣٠٠).

وطبقًا لبدر « هذه الوكالة لا تقوم بتجميع الأخبار واختيارها وتقديمها بغرض الربح أو التثقيف ولكنها تقوم بغرض خدمة السياسة الخارجية وأهدافها».

وبلغت ميزانية هذه الوكالة حوالي ٢٥ مليون دولار ويعمل فيها حوالي ١١ ألف شخص، ويتبع هذه الوكالة راديو أوروبا الحرة وراديو الحرية.

ونشرت مجلة تايم (TIME,March6, 1972,p.9) تقريرًا جاء فيه «يقوم راديو أوروبا الحرة ببث برامجه الإخبارية والموسيقية وتعليقاته السياسية إلى خمس دول في أوروبا الشرقية، أما راديو الحرية فيبث برامجه إلى الاتحاد السوفييتي، وتدعي هاتان الإذاعتان أنهما منظمتان خاصتان والواقع أن المخابرات المركزية الأمريكية تمولهما».

وكانت الإذاعتان عند إنشائهما أداتان للحرب الأيدولوجية ضد الاتحاد السوفييتي (الأحمد، ص٢٤).

> **الشعب الأمريكي يتم التلاعب به دون رحمة من قبل وسائل الإعلام، التي تسيطر عليها مؤسسات كبرى توفر ربما كل المعلومات التي يحصل عليها الناس**

راديو أوروبا الحرة:

أنشئ عام ١٩٥٠م، وشجع راديو أوروبا الحرة أهل المجر على الثورة ١٩٥٦م، مقنعًا إياهم بأن الغرب سيتدخل عسكريًا إلى جانبهم، وهذا يعتبر من الأخطاء الكبيرة التي وقعت فيها تلك الإذاعة وأفقدتها كثيرًا من الدقة (بدر، ١٩٧٤-ص٣٠٠).

ويعمل في راديو أوروبا الحرة حوالي ١٦٠٠ موظف، وتبلغ ميزانيته ٢١مليون دولار ويذيع ٥٥٧ ساعة باللغة المحلية لبولندا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا والمجر وبلغاريا والمجر.

وكان نصف البرامج يركز على الأخبار وتحليل الأحداث في دول الكتلة الشرقية، أما النصف الآخر فيتضمن الموسيقى الغربية الحديثة وتقارير خاصة عن الأحوال المعيشية للعمال الأجانب في دول أوروبا الغربية ومقابلات مع القادمين من دول أوروبا الشرقية.

وأوضح استفتاء حول نسب الجمهور الذي يستمع لهذه المحطات وجاءت النتائج كما يلي:

٧٨٪ من بولندا، ٨١٪ من المجر ، ٧٧٪ من رومانيا، ٧٨٪ من بلغاريا، ٦٠٪ من تشيكوسلوفاكيا . وحاولت كل دول أوروبا الشرقية عدا تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا التشويش على المحطة.

وكان تمويل المحطة على حد قول المصادر الرسمية يتم بواسطة مؤسسات متنوعة ومساهمات خاصة، ولكن عندما اتضح أن المخابرات الأمريكية هي الممولة اختارت الحكومة في عام ١٩٧٣م أن

تتولى تمويل هذه المحطة.

راديو الحرية:

أنشئ عام ١٩٥٣م باسم راديو التحرير وكان يركز إرساله تجاه الاتحاد السوفيتي وبلغت ميزانيته ١٤ مليون دولار وموظفوه ٨٥٠ شخصًا منهم ٢٥٠ سوفييتيًا وتذيع ٢٤ ساعة يوميًا بتسعة عشرة لغة، ويقوم الراديو ببث المجلة المخطوطة باليد التي كانت تظهر بشكل سري في الاتحاد السوفييتي والمسماة (سامزيدت).

وبالإضافة إلى المحطتين هناك راديو RIAS: موجه إلى ألمانيا الشرقية وكانت يبث من برلين الغربية بالإضافة إلى محطة دويتش لأندوفونك وراديو مارتي وكان يبث إلى كوبا، وبدأ في عام ١٩٨٤م (حسن،ص٢١٢).

وظائف ونشاطات وكالة الإعلام الأمريكية:

- خدمة المعلومات: تعمل في ١٠٣ بلدان، وهذه الخدمة تقوم بإنتاج برامج للإذاعة والتلفزيون المحلي أو تمد الإذاعة المحلية بالمواد التي تنتجها الوحدات الإذاعية التابعة للوكالة.
- خدمة الصحافة والطباعة.
- خدمة السينما.
- خدمة مركز الاستعلامات وهي الذراع الثقافي الرئيسي لوكالة الإعلام الأمريكية.

صورة أمريكا في العمل الإذاعي الموجه إلى الخارج:

> **بعد انتهاء حرب احتلال العراق رأت الإدارة السياسية الأمريكية أن القنوات العربية التلفزيونية كالجزيرة والعربية وأبوظبي والحياة LBC قد سحبت البساط من قنواتها التلفزيونية**

قام المسؤولون بتحديد صورة أمريكا وسياساتها، وتحددت لهذه الصورة الخطوط العريضة التالية (بن حالة،١٩٩٣- ص٣٠):

- الأمريكان شعب طيب.
- أمريكا كريمة وليس لها أطماع.
- أمريكا دولة ديمقراطية ويؤمن الأمريكيون بحرية الرأي والتعددية وفي الديمقراطية تعيش السلالات وكل الطوائف في سعادة.
- يؤمن الأمريكيون بحرية الشعوب الأخرى، وحكومة وشعب أمريكا لا يقدمان أي مساعدة سياسية استعمارية، والولايات المتحدة ليست أمبريالية وتنشد السلام.

وإذا كانت هذه الصورة التي ينشدها المسؤولون الأمريكيون إلا أن وزير العدل الأمريكي السابق رامزي كلارك يرى «أن الشعب الأمريكي يتم التلاعب به دون رحمة من قبل وسائل الإعلام، التي تسيطر عليها مؤسسات كبرى توفر ربما كل المعلومات التي يحصل عليها الناس وعلينا أن نبذل جهدًا كبيرًا للحصول على المعلومات خارج الإعلام الأمريكي الذي يعطي معلومات مسيطر عليها. فنحن جهلاء بما يحصل في العالم ونصدق ما تقوله حكومتنا من أنها ضد الشر وضد الإرهاب وما إلى ذلك، وأن استطلاعات الرأي العام ليس لها معنى حقيقي، لأن الناس ربما يلقنون هذه الأشياء، ولكنهم يحتاجون وقتًا طويلاً ليفهموا ذلك مثلما حدث في فيتنام» (الشمري، ٢٠٠٢.ص ١٧٦).

وإذا كان الهدف من بث الإذاعات في بادئ الأمر يستهدف الدعاية السياسية واستهداف شعوب دول أوروبا الشرقية بغية التأثير على الجماهير ودفعهم للثورة على حكوماتهم الشيوعية، فيبدو أن الأمر تغير حاليًا وأصبحت الإذاعات تهدف إلى تسويق برامجها التلفزيونية والإعلان عن البضائع والسلع الأمريكية إضافة إلى استهدافها أغراضًا سياسية.

إن التدفق الهائل للمعلومات ليس مصممًا لإحداث تأثيرات سياسية أو اقتصادية إيجابية لصالح كل الناس، لكنه موظف أساسًا لضمان العائد المادي وخاصة من الفضائيات الدولية التي تستند إلى الإعلان التجاري (شمو، ص٢٩٦).

وهذا يؤكده ما تفعله الولايات المتحدة في

أمريكا اللاتينية وتحديدًا في البرازيل أكبر دول أمريكا الجنوبية، ومدى التغلغل الأمريكي في البرازيل، حيث اندفع صانعو الأجهزة الأمريكية بغير شفقة نحو الإعلام التجاري، ومقابل ذلك بدت حكومة البرازيل ضعيفة ومقيدة جعلتها غير مقاومة (الأحمد،ص٢١١).

وأشار جيمس اسجوش إلى «أن التعزيز لجهاز الراديو والتعزيز لأسلوب البث الأمريكي قد أثبت أنها حاسمة في نقل صناعة الراديو الأمريكي وثقافة الجماهير الأمريكية إلى داخل البرازيل».

ونخلص من هذا طبقًا للأحمد «بفضل وسائل الإعلام أصبحت السياسة الخارجية الأمريكية تجاه البرازيل بدرجة مقتحمة في الخمسينيات وبداية



الستينيات، وهذا مكن الاستخبارات الأمريكية من التغلغل والمساهمة في الانقلاب العسكري ١٩٦٤م، وقامت السفارة الأمريكية وصوت أمريكا بإنجاز عملية توزيع كبيرة لنشر الكتب والأخبار بجانب نشاطات الدعاية الأخرى.

مرحلة مابعد ١٩٩٠

شكل عام ١٩٩٠م منعطفًا هامًا في تاريخ وجغرافية الوطن العربي... وكان احتلال العراق للكويت في الثاني من آب (أغسطس) في ذلك العام بمثابة العلامة الفارقة في إحداث الانقلاب الكبير إن على الصعيد السياسي (علاقات الدول العربية مع بعضها البعض)، أو الصعيد الاقتصادي والمشاكل والديون التي تراكمت على الدول العربية بسبب الحرب، وصولاً إلى الصعيد الإعلامي والتطور الذي طرأ على قطاع القنوات التلفزيونية.

في حرب الخليج الثانية لم يعرف المشاهد العربي غير قناة CNN الإخبارية الأمريكية لتقصي أخبار حرب الخليج، ما اضطر القنوات التلفزيونية الحكومية إلى بث برامج تلك المحطة على الهواء مباشرة في سابقة لم تقدم عليها القنوات التلفزيونية العربية.

وما إن انتهت تلك الحرب بخيرها وشرها حتى فطن العرب بشكل جاد لأهمية قنوات تلفزيونية فضائية، وساعد في هذا التفكير توفر التقنية اللازمة للبث والاستقبال علاوة على وجود البنية التحتية بسبب إطلاق القمر العربي في عام ١٩٨٥م وتشغيله بعد ذلك في عام ١٩٩٢م، ولم يقتصر الأمر على القنوات الحكومية فقط، بل دخل على الخط القطاع الخاص مراهنًا على النجاح والربح ، وفازت محطة MBC بقصب السبق ثم تلتها القناة الفضائية المصرية... بعد ذلك كرت السبحة، ولم يقتصر الأمر على إنشاء قنوات جديدة بل تعدى الأمر إلى إطلاق أقمار اصطناعية جديدة، وتم إطلاق أجيال جديدة من أقمار عربسات ثم دشنت مصر قمر نايلسات الذي انطلق في عام ١٩٩٨م.

ويبدو أن التطورات الإعلامية ارتبطت دائمًا بالحروب، فبعد حرب الخليج الثانية وما تبعها من طفرة في القنوات الفضائية جاءت حرب الخليج

الثالثة مؤذنة بعصر جديد وهو نجاح القنوات العربية الإخبارية في تغطية وقائع الحرب اليومية، وبرزت بشكل لافت قنوات الجزيرة والعربية وأبو ظبي والحياة LBC، وبعد أن انتهت الحرب وما آلت إليه من احتلال قوات التحالف للعراق وبدء المقاومة العراقية بشتى أطيافها. وإزاء الواقع الجديد لم تتوقف القنوات العربية الإخبارية عن نقل الأخبار من أرض العراق ما سبب تضجرًا واضحًا لدى قوات الاحتلال التي اعتبرت أن القنوات العربية لا تنقل الصورة واضحة، وأنها باتت منبرًا لمعارضي الاحتلال خصوصًا المقاتلين منهم، وبالتالي بدأت أمريكا تفكر في إيجاد قنوات تخاطب الشارع العربي، وبسبب تكنولوجيا الفضائيات أصبحت أمريكا قريبة جدًا من المواطن العربي، يقول جون الترمان: «بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية التي تلقى الدعم والتأييد الرسمي في العالم العربي وليس على مستوى الشعوب فإنها تقف في وضع محير بين مباركة نشأة وسائل إعلام حرة، فهي



من جانب تدعم حقوق الإنسان بشكل عام وحرية التعبير على وجه الخصوص، لكن من جانب آخر فان الرأي العام العربي تحول في السنوات الأخيرة إلى اتجاهات مضادة لأمريكا.... وتصبح القضية الملحة لواشنطن في هذا السياق هي شغل وسائل الإعلام العربية في البحث عن فرص مستمرة لشرح المواقف الأمريكية للصحفيين العرب، وعلى أولئك المسؤولين شرح السياسات على شاشات القنوات الفضائية».(الترمان، جون:إعلام جديد سياسة جديدة. ترجمة عبدالله الكندي ص٢٤-٢٥).

وبعد انتهاء حرب احتلال العراق رأت الإدارة السياسية الأمريكية أن القنوات العربية التلفزيونية كالجزيرة والعربية وأبوظبي والحياة LBC قد سحبت البساط من قنواتها التلفزيونية لأنها أولاً تتحدث بالعربية ثم أنها تنقل الأحداث من أرض العراق بوجهة نظر لا توافق رؤية الأمريكيين أنفسهم، وهذا ما جعل بعض هذه القنوات العربية تدخل في جدل حاد مع السياسيين الأمريكيين الذين اتهموا الجزيرة والعربية غير مرة بأنهما ناقلان لصوت المقاومة العراقية.

هذه الظروف التي لا تساير التوجه السياسي الأمريكي أجبر الإدارة الأمريكية على إنشاء قناة تلفزيونية موجهة للعالم العربي تم تسميتها بقناة الحرة.

قناة الحرة:

بدأت البث مع مطلع عام ٢٠٠٤م، جاء في موقع الحرة تعريف هذه القناة: «الحرة قناة تلفزيونية غير تجارية ناطقة باللغة العربية ومكرسة بصفة رئيسة لتقديم الأخبار والمعلومات وتغطية الأحداث في الشرق الأوسط والعالم عبر الأقمار الصناعية. وتقدم الحرة برامج متنوعة تشمل الحوارات والمواضيع الحياتية والصحة واللياقة البدنية والمنوعات والرياضة والموضة والعلوم والتكنولوجيا. وتسعى إلى تقديم الأخبار الدقيقة المتوازنة الشاملة، وهدفها توسيع آفاق مشاهديها ليتمكنوا من تكوين آراء واتخاذ قرارات مبنية على معلومات صحيحة، تدير قناة الحرة مؤسسة شبكة تلفزيون الشرق الأوسط Middle East Television (Inc.)

Network وهي مؤسسة غير تجارية لا تبغي الربح المادي يمولها الشعب الأمريكي من خلال الكونغرس، وتتلقى تمويلها بواسطة مجلس أمناء الإذاعات الدولية The Broadcasting Board Of Governors (BBG) وهو وكالة فيدرالية مستقلة تتمتع بإدارة ذاتية وتعنى بحماية الاستقلال المهني ونزاهة الإعلام والإعلاميين ضمن مؤسساتها) (www.alhurrah.com)».

وعلى رغم حداثة هذه القناة إلا أننا نطالع يوميًا كتابات صحافية أو برامج تلفزيونية عن هذه المحطة وتوجهاتها. وأحدثت فتوى القاضي السعودي إبراهيم الخضيري بتحريم مشاهدة الحرة الكثير من الجدل حول توجهات الحرة «هذه القناة تعرض الفساد وأن العاملين فيها يعتبرون عملاء لأمريكا، وهدفها تسهيل الهيمنة الأمريكية على النواحي الدينية والسياسية والاجتماعية في العالم، شعار القناة عبارة عن خيول ضائعة، وهناك رموز دينية تخفى على غير المتخصصين لا يفهمها إلا متخصص في الدين، وهي قناة موجهة إلى العرب بهدف إضعافهم والسيطرة عليهم، هناك قنوات عربية إخبارية بديلة يمكن مشاهدتها، لأن الحكومة الأمريكية لن تقبل أن يقال على هذه الشاشة إلا ما تريد وما ترغب فيه». (صحيفة الحياة- العدد ١٤٩٥٤- ٧ مارس ٢٠٠٤).

كما يقول الكاتب عبدالله الغفاري: «قناة الحرة ليست فقط عملاً وظيفته تقريب وجهة النظر الأمريكية لشعوب المنطقة، إنه يبدو ضمن خطة استرتيجية تستهدف ليس فقط إضعاف الضد بل حتى اختصار مسافة المشروع الأمريكي للشرق الأوسط الذي أعلنته الولايات المتحدة كهدف استراتيجي تسعى لتحقيقه خلال السنوات القادمة» (صحيفة الرياض - العدد ١٣٠٣٤- ١مارس ٢٠٠٤).

قناة الحرة التلفزيونية واجهت مقاومة من بعض الشعوب بسبب الجدل الذي واجهته من بدايتها، وبدأ الكثير يطرح تساؤلات حول طبيعة هذه القناة، وهل هذه القناة التي أنشأتها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ستكون موضوعية أم أنها ستكون ناقلاً لوجهة نظر الحكومة في واشنطن.■

المراجع

الكتب:

❖ إمام، إبراهيم.(١٩٦٩). الإعلام والاتصال بالجماهير، ط١.الأنجلو المصرية: القاهرة.

❖ الترمان، جون. (٢٠٠٣):إعلام جديد سياسة جديدة. ترجمة عبدالله الكندي. دار الكتاب الجامعي: غزة - فلسطين.

❖ بدر، أحمد. (١٩٩٨). الإعلام الدولي «دراسات في الاتصال والدعاية الدولية» ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة.

- بدر، أحمد.(١٩٧٤).الاتصال والجماهير والدعاية الدولية، دار القلم: الكويت

❖ بن حالة.(١٩٨٩). الحرب الإذاعية. دار نهر النيل: القاهرة.

❖ حسن، حمدي.(١٩٩٢). الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام. دار الفكر العربي: القاهرة.

❖ الديك، إسكندر.(١٩٩٣). اليونسكو والصراع الدولي حول الثقافة والإعلام. بيروت: مركز الدراسات الجامعية.

❖ الشمري، سليمان.(١٩٩٨). برنامج الاتجاه المعاكس - دراسة علمية أكاديمية: الرياض .

❖ الشمري، سليمان.(٢٠٠٠). الحرية الإعلامية والعولمة في الوطن العربي- نظرة استشرافية للعشرين السنة القادمة: الدوحة.

❖ شمو، علي. الاتصال الدولي والتكنولوجيا الحديثة. دار القومية العربية للثقافة والنشر: القاهرة.

❖ مرداد، عادل.(٢٠٠١). التوجهات المعاصرة للإعلام الدولي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: الرياض.

❖ هيرمان، العولمة في الإعلام. ترجمة مالك الأحمد.

الأبحاث والرسائل العلمية:

❖ المطيري، سعود، (٢٠٠٣)، مرتكزات وأساليب الدعاية الإسرائيلية في إذاعة صوت إسرائيل الموجهة باللغة العربية. قسم الإعلام - كلية الآداب - جامعة الملك سعود.

الصحف والمجلات:

❖ صحيفة الحياة - العدد ١٤٩٥٤- ٧ مارس ٢٠٠٤.

❖ صحيفة الرياض - العدد ١٣٠٣٤- ١مارس ٢٠٠٤

❖ TIME,March6, 1972

مواقع إنترنت:

❖ www.alhurrah.com

❖ MSNBC.COM

برامج تلفزيونية:

❖ برنامج «بلا حدود» قناة الجزيرة، ٢٠٠٢/١/٩م.



القديمة كانت للنخب والجديدة للشباب

«سوا» و«صوت أمريكا» ..سوا

إيمان الكرود- الدمام

* صحفية من أسرة مجلة المعرفة .

«نعم لقد نجحت هذه الإذاعة في جذب جمهور كبير في عدد من دول الشرق الأوسط المهمة ولكنها في غمرة انشغالها بجذب أكبر عدد من المستمعين من خلال الموسيقى فشلت في أن تقيس بشكل كاف مدى تأثيرها على عقولهم». كان ذلك هو التقرير الذي رفعته الإدارة الأمريكية لتقييم مستوى إذاعة راديو «سوا» أحدث الإذاعات الأمريكية الناطقة بالعربية في المنطقة التي حلت محل إذاعة صوت أمريكا. ولكن نورم باتيس صاحب فكرة هذه الإذاعة ومؤسسها رد على هذا الاتهام قائلا إن هذه الإذاعة تعتمد على الموسيقى في غالب بثها لأن الأبحاث أكدت أن مزيج الأخبار والموسيقى هي أفضل طريقة للوصول إلى الجمهور المستهدف!

وراديو «سوا» الذي قد بدأ بثه في مارس ٢٠٠٢م ليحل محل إذاعة صوت أمريكا التي دأبت على بث سمومها في المنطقة منذ منتصف القرن الماضي وتحديدًا في عام ١٩٥٢م هو آخر ما تفتق عنه ذهن الإدارة الأمريكية التي تطمح للسيطرة على دول العالم عامة والدول الإسلامية خاصة. فبعد الفشل الذي منيت به إذاعة صوت أمريكا في المنطقة، وكانت تبث سبع ساعات يوميًا على موجة قصيرة بالكاد تلتقط في النهار وتسمع متقطعة في الليل، إذ لم تزد نسبة مستمعيها على ١٪ من سكان العالم العربي الذين لم تعد تنطلي عليهم الأكاذيب التي تبثها تلك الإذاعة قررت الإدارة الأمريكية أن تستبدل بهذه الإذاعة التي بدت عليها علامات الشيخوخة إذاعة أخرى شابة تبث على مدار الساعة. ولما كان أكثر من ٦٠٪ من سكان العالم العربي هم دون سن الثلاثين قررت هذه الإذاعة أن تتوجه في برامجها للشباب. وهكذا صبغت هذه الإذاعة وجهها بمساحيق التجميل ولبست القميص والجينز ونزلت إلى الشارع العربي تخاطب الشباب بلغتهم وتتودد لهم وتغني لهم بالعربية والإنجليزية. فعلى النقيض من سابقتها إذاعة صوت أمريكا التي كانت تبث في مجملها برامج إخبارية فإن الأغاني تشكل ما يعادل ٧٥٪ من برامج راديو «سوا». ولكن إذا كان ظاهر هذه الإذاعة الرحمة فإن باطنها هو الخداع والكذب والتدليس، فهذه الإذاعة لم تنشأ عبثًا ولم تخصص لها ملايين الدولارات من أجل تسلية الشباب العربي وما خليط الأغاني العربية والأجنبية التي تنطلق من هذه المحطة إلا واجهة تخفي وراءها نوايا خطيرة. صحيح أن نسبة الأغاني في هذه الإذاعة هي ٧٥٪ ولكن نسبة

الـ٢٥٪ المتبقية للبرامج هـي من نصيب برامج أعدت خصيصًا لنشر الثقافة الأمريكية وترويج سياساتها ومواجهة ما يسميه الأمريكيون ثقافة الكره في الإعلام العربي. ويتلقى خلالها الشاب العربي الأخبار على جرعات صغيرة ولكن مركزة مرتين في كل ساعة ولا بأس في ذلك ما دامت ستسبقها بريتني سبيرز وتتلوها نانسي عجرم!

بين إذاعة صوت أمريكا وإذاعة سوا، تعددت الأساليب والهدف واحد

وقد صحب إنشاء هذه الإذاعة صخب كبير في أوساط المثقفين الأمريكيين بين موافق ومعارض



وبين مؤيد ومشكك لمدى جدوى هذا الأسلوب الجديد غير المباشر الذي يعتمد في مجمله على الأغاني في التأثير على عقول المستمعين وقلوبهم. إذ بالرغم من النجاح الباهر الذي حققته هذه الإذاعة منذ البداية في جذب عدد كبير من المستمعين، حيث أظهرت الإحصائيات التي أجرتها هذه الإذاعة بعد ثلاثين يومًا من انطلاقتها أن محطة راديو «سوا» هي الإذاعة المفضلة لـ٥٠٪ من الشباب الذين شملهم الاستفتاء، بينما ذكر حوالي ٩٠٪ من الشباب أنهم يستمعون للمحطة بانتظام، إلا أنه لم يكن يستمع لأخبار هذه الإذاعة سوى ١٪ من الشباب. مما حدا بأحد الدبلوماسيين الأمريكيين وهو إدوارد دجيرجيان، وكان قد عمل سابقًا في الشرق الأوسط، إلى أن يقول: «نقدر نجاح «سوا» في جذب هذا الكم من المستمعين ولكن ما الذي سيفعلونه بهم؟ كيف سيؤثرون على عقولهم؟». ولكن مهلاً فبعد ستة أشهر أجرت الإذاعة استفتاء مماثلاً لتكون النتيجة هي أن ٥٠٪ مازالوا يقولون إنها محطتهم المفضلة وفوق ٩٠٪ قالوا إنهم يستمعون لها بانتظام، ولكن وهذا هو المهم كانت «سوا» هي الإذاعة التي يستمع لها ٤٢٪ من الشباب من أجل الأخبار! ومع ذلك ما زال الكثيرون من أنصار إذاعة صوت أمريكا التي استبدل بها راديو «سوا» يشككون في أهمية هذه الإحصائيات ويتساءلون عن سر استبدال إذاعة جديدة مشغولة ببث آخر الأغاني بإذاعة عريقة لها باعها في المنطقة. فكتب كوري بين Corey Pein في صحيفة كولومبيا جرناليزم ريفيو مقالاً بعنوان «كارثة تدمير إذاعة صوت أمريكا العربية» قال فيه إنه بالرغم من أن نسبة مستمعي هذه الإذاعة كانت ١٪ فقط ولكن كانت هذه الإذاعة تبث من موجة ضعيفة كان من الممكن أن يقوى إرسالها لتزيد نسبة المستمعين. إضافة إلى ذلك فإنه يوجد ٢١٠ ملايين شخص عربي في العالم مما يعني أن ١٪ تعني حوالي ٢,١ مليون عربي كانوا في أغلبيتهم من طبقة النخبة ومحركي الأحداث الناضجين. ويضيف أن نخسر مليوني شخص عربي مهم في مثل هذا الوقت مأساة عظيمة.

لكن الخلاف بين أنصار إذاعة صوت أمريكا وأنصار إذاعة راديو «سوا» هو خلاف بين المدرسة القديمة والحديثة في الإعلام وهو خلاف ظاهري لا يعدو الأسلوب والمنهج وإلا فكلتا الإذاعتين تهدفان إلى نفس الغاية وهي ترويج السياسة الأمريكية في المنطقة التي يعبرون عنها بما يسمى بنشر الحرية والديموقراطية. ولما كانت إذاعة صوت أمريكا التي كانت تبث برامج إخبارية تعتمد على الطرح المباشر الذي يتوجه في خطابه إلى فئة معينة من سكان الشعوب العربية وهم الراشدون الذين في يدهم تغيير مجرى الأحداث قد فشلت في تحقيق مهمتها فإن راديو «سوا» قرر أن يسلك طريقًا آخر غير مباشر قد يأخذ وقتًا طويلاً حتى يصل إلى هدفه، ولكنه حتمًا سيصله في النهاية فتوجه للشباب الذين يمثلون ٦٠٪ من السكان. وغني عن القول أن هؤلاء الشباب هم قادة العالم العربي في السنوات الثلاثين القادمة وهو يسعى مثل إذاعة صوت أمريكا إلى الدفاع عن سياسات أمريكا في المنطقة وكسب مؤيدين لها ولكن هذه الإذاعة تتبع بخبث مبدأ «بطيء لكن فعال» فقليل من الأخبار وبعض البرامج تدس وسط كم هائل من الأغاني لن تضر! وهاهي نتائج الاستفتاءات تظهر أن مستمعي راديو «سوا» هم أكثر تقبلاً للسياسات الأمريكية من غيرهم الذين لا يستمعون لهذا الراديو.

إذاعة صوت أمريكا: تاريخ طويل من الانتصارات العسكرية

ومنذ البداية استخدمت أمريكا المذياع كقوة مساندة تحقق عن طريقها ما لا تستطيع تحقيقه بالقوة العسكرية فكانت إذاعة صوت أمريكا سلاحًا استخدمته أمريكا في محاربة أعدائها، فصوت أمريكا التي بدأت بثها عام ١٩٤٢م أي أيام الحرب العالمية الثانية استخدمت كسلاح فعال جنبًا إلى جنب مع المدفعية والقنابل في محاربة العدو الألماني، حيث أدت هذه الإذاعة دورًا مهمًا في مجابهة الإعلام النازي وطمأنة حلفاء أمريكا وتسجيل انتصاراتها. وبعد أن انتهت هذه الحرب بهزيمة ألمانيا المنكرة دخلت أمريكا فيما سمي بالحرب

صحيح أن نسبة الأغاني في هذه الإذاعة هي ٧٥٪ ولكن نسبة الـ٢٥٪ المتبقية للبرامج هي من نصيب برامج أعدت خصيصًا لنشر الثقافة الأمريكية وترويج سياساتها ومواجهة ما يسميه الأمريكيون ثقافة الكره في الإعلام العربي

الباردة ضد عدوتها السابقة الاتحاد السوفييتي، وقامت هذه الإذاعة بدورها خير قيام في محاربة الماركسية ونشر القيم الأمريكية الرأسمالية في بلاد يقوم كيانها على الشيوعية وتحريض شعوب هذه المنطقة للثورة ضد الدولة. ولكن بعد انتهاء الحرب الباردة بانهيار الاتحاد السوفييتي فكرت الولايات المتحدة بتقليص الميزانية السنوية الضخمة التي ترصدها سنويًا لهذه الإذاعة التي تبلغ ٣٩٥ مليون دولار بحيث تقتطع منها ما يقارب ٥٤ مليون دولار وتقلص من مقدار بثها للخارج باللغات الأجنبية الأخرى التي يقدر عددها بـ٤٤ لغة، ولكن هبت العديد من الشخصيات المرموقة لتدافع عن هذه الإذاعة ولتطالب بدلاً من ذلك بزيادة الميزانية المرصودة لهذه الإذاعة وتكثيف بثها العالمي. ففي عام ١٩٩٥م كتب إدوين فيولنر مقالة بعنوان «إذاعة صوت أمريكا: لا تخرسوا صوت أمريكا في السوق العالمية للأفكار» وذكر في مقالته هذه أنه إذا كانت الولايات المتحدة قد تخلصت من خطر الاتحاد السوفييتي فهناك خطر لا يقل ضراوة عنه وهو الإسلام المتطرف.

إذاعة سوا ودراسات مكثفة

إذاعة «سوا» هي إذاعة استندت منذ بدايتها

إلى الأبحاث العلمية والميدانية الموثقة ولم تقم إلا بعد دراسات عميقة في المنطقة وإعلامها، وكما يذكر نورم باتيس مؤسس هذه الإذاعة والمسؤول عنها فإنه بعد دراسة السوق الإعلامي وجد ثغرة كبيرة في السوق تسمح على حد قوله لدخول أسطول من الشاحنات الكبيرة! إذ يذكر باتيس أن الأبحاث المكثفة التي أجروها على العالم العربي أثبتت أن ٦٠٪ من سكانه لا يتجاوزون الثلاثين، ولكن هذه النسبة الكبيرة لا تحظى بأي اهتمام من قبل الإذاعات العربية وكل برامج الراديو هي برامج مملة لا تتوافق وميول الشباب. وهنا رأى باتيس الفرصة سانحة أمامه وهي فرصة نادرة قد لا تتكرر مرة أخرى، فالشباب يمثلون النسبة الأكبر من الشعب العربي وهم لا يجدون من يخدمهم أي بلغة أهل الاقتصاد، فإن الطلب كان أكثر كثيرًا من العرض فلماذا لا يقوم هو بخدمتهم فينشأ إذاعة خاصة بهم. وهكذا تبلورت فكرة راديو «سوا» وكما يقول باتيس: «كان الناس متعطشين للاستماع إلى إذاعة غير تلك التي تبثها حكوماتهم وهذا ما أعطيناهم».

عهود طويلة من الهجمات

طوال عهود طويلة تعرضت دول عديدة في عالمنا العربي والإسلامي لهجمات عديدة من دول الغرب الاستعمارية بهدف نهب خيراتها وإذلال شعوبها وجعلها تبعًا لهم وهذه الهجمات اتخذت أشكالاً شتى فهي أحيانًا اتخذت شكل القوة العسكرية وهي أحيانًا أخرى تخفت بلباس النوايا الحسنة والإنسانية وليست المستشفيات التي كانت تقدم الدواء بيد والإنجيل بيد أخرى عنا ببعيد وليست المدارس الأجنبية التي زرعتها الإرساليات التبشيرية في بلادنا العربية إلا خير دليل. ولكن كل هذه الأساليب لم تحقق ما حققته وسائل الإعلام في وقت قصير والتي استغلتها منذ وقت مبكر دول الغرب فأحسنت استغلالها فحققت العديد من مراميها وأصابت كثيرًا من قيمنا في مقتل. وكان من أوائل هذه الوسائل وأكثرها خطورة المذياع الذي بدأ بثه في عالمنا العربي منذ وقت مبكر.

فالإذاعات الأجنبية الناطقة بالعربية ليست جديدة على المنطقة بل تمتد جذورها إلى عام ١٩٣٨م عندما أذاعت إذاعة الـ BBC البريطانية أول بث لها باللغة العربية وتلتها بعد ذلك إذاعة صوت أمريكا التي انطلقت عام ١٩٥٢م ولحقت بهاتين الإذاعتين إذاعة مونت كارلو الفرنسية التي بدأت بثها للعالم العربي عام ١٩٧٢م، ثم بعد ذلك توالت على المنطقة العربية عدد من الإذاعات الأجنبية التي تتحدث العربية. وغني عن الذكر أن جميع هذه الإذاعات كانت صوتًا لدولها، وجميعها كانت لها أغراضها في المنطقة سواء أكانت سياسية أو تغريبية أو تنصيرية. وأخيرًا جاء راديو «سوا» ليكون آخر هذه الأسلحة وأكثرها ذكاءً وليستفيد من تجارب الإذاعات التي سبقته. وجدير بالذكر أن معظم هذه الإذاعات تدعي أن هدفها ليس إلا نشر الديموقراطية وترويج الحرية في منطقة الشرق الأوسط، ولا عجب في ذلك إذا عرفنا السر، وهو أن ما يسمونه الدول الديموقراطية هي أكثر طوعًا للغرب وسياساته من غيرها من الدول الأخرى أو كما يقول إدوين فيولنر: «ليس على الولايات المتحدة أن تحول العالم بأسره إلى تبني معتقدات أمريكا. ولكنه من المسلم به أن الأمم الديموقراطية هي

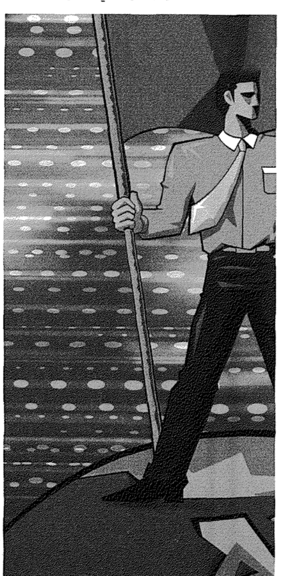
الخلاف بين أنصار إذاعة صوت أمريكا وأنصار إذاعة راديو «سوا» هو خلاف بين المدرسة القديمة والحديثة في الإعلام وهو خلاف ظاهري لا يعدو الأسلوب والمنهج وإلا فكلتا الإذاعتين تهدفان إلى نفس الغاية وهي ترويج السياسة الأمريكية في المنطقة

أكثر سلمية وأقل احتمالاً لتحدي مصالح أمريكا من غيرها من الأمم الديكتاتورية».

المعلومات تدخل المعركة

«المعلومات لم تعد محايدة. بل اكتسبت قيمة استراتيجية كما يوضح التاريخ الحديث. فعندما انتصرت أمريكا ودول الغرب على الشيوعية السوفييتية كان للقوة العسكرية دورها في الحد من تحرك «إمبراطورية الشر» ولكن كانت الأفكار والمعلومات وليست القنابل والرصاص هي التي في النهاية جعلت البناء السوفييتي ينهار».

هكذا يصف إدوين جي. فيولنر أهمية



المعلومات والدور الخطير الذي تقوم به في اللعبة السياسية. وللتدليل على أهمية هذا الدور يضيف فيولنر: «استراتيجية المعلومات لن تكون بديلاً للقوة العسكرية، إذ سيكون دائمًا لقوة السلاح الكلمة الأخيرة عندما لا ينفع شيء آخر. ولكن من الأفضل بكثير أن نشكل أحداث العالم مقدمًا إذا أمكن عن طريق وسائل سلمية مثل المعلومات. استعمال الإذاعة بنجاح كوسيلة استراتيجية عالمية من الممكن أن يخلق بيئة للصداقة والتقاء المصالح التي تجعل من الصراع غير ضروري وتعطي أمريكا خيارات أخرى غير خيار استعمال القوة الأخير. إن إذاعة قيم أمريكا ووجهات نظرها لمئة مليون في مناطق مهمة في العالم بـ٣٩٥ مليون دولار هو مبلغ جدير بالدفع». ■

المراجع

1-Melissa Seckora,"The Sounds of Sawa," The National Review, July 18 , 2002.

2-Glenn Kessler, "The Role of Radio Sawa in Mideast Questioned," Washington Post, October 13, 2004.

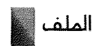
3-Neil King JR, "Sparking Debate, Radio Czar Retools Government Media," The Wall Street Journal, June 20 , 2005.

4-Corey Pein, "The Disaster of Destroying the Voice of America Arabic Service," Columbia Journalism Review, May 3, 2005.

5-Edwin J. Feulner, "The Voice of America: Don't Silence America's Voice in the Global Marketplace of Ideas," Backgrounder, September 7, 1995.

6-"Voice of America Will Retool for Arab World," New York Times, January 4, 2001.

٧-نص مقابلة مع نورم باتيس.



رئيس تحرير النسخة العربية من Forbes

يمكن أن يكون لنا صوت (هناك) من خلال عملنا (هنا)

سليمان الهتلان* - دبي

مجلة فوربز الأمريكية من المجلات العالمية العريقة تأسست عام ١٩١٧م ويبلغ الآن رقم التوزيع للنسخ المباعة في السوق الأمريكية أكثر من ٩٠٠ ألف نسخة. وتطبع نسخ دولية من مجلة فوربز بعدد من اللغات مثل الروسية والبولندية والعبرية والكورية والصينية والتركية.

بدأت الطبعة العربية منها في الصدور من دبي في مايو ٢٠٠٤م لتلبي حاجة القارئ العربي لتجربة صحفية عالمية.

نحن نحاول أن نعّرب الفكرة بمعنى أننا لا نترجم فقط ولكننا وعبر مراسلينا في العالم العربي وخارجه نعد موادنا الخاصة بفوربز العربية وفي الوقت نفسه نترجم بعض المواد الصحفية من مجلة فوربز الأمريكية ونحرص جدًا أن تكون موادنا المترجمة ملائمة لقارئنا العربي.

مجلة فوربز العربية تسعى لترجمة (فكرة) صحفية ذات عمق مهني وتجربة مهنية طويلة. نحن في التحرير نعنى بالمحتوى سواء كان من إعدادنا أو مترجمًا ونقدمه في قالب مهني خاص وفق مهنية صحفية رسختها تجربة فوربز (مدرستنا الأم) الطويلة تعتمد على تنوع المصادر والتشكيك في المعلومة من أجل تأكيدها وصياغة القصة الصحفية بأسلوب يعكس وجهًا إنسانيًا للقصة.

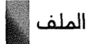
تقييم التجربة:

نعترف أننا مازلنا في بداية الطريق. نحن نحاول تقديم ثقافة صحفية جديدة نعتقد أنها مختلفة ومتميزة لأنها تقوم على مهنية مختلفة، إذ نتعامل باستقلالية مهنية نحرص على استمراريتها.

لدينا فصل كامل بين فريق التحرير وفريق التسويق. نحاول أن نبقى محايدين ونحث مراسلينا على التأكد من مصداقية مصادرهم والتدقيق في أي معلومة قبل النشر.

نحن نؤمن أن العولمة أصبحت الآن حقيقة نعيشها، ونحن جزء منها، شئنا أم لم نشأ!!

ومثلما نقتني بعض المنتجات العالمية في بيوتنا ومكاتبنا فما الذي يمنع من أن نستثمر تجارب صحفية عالمية ناجحة للاستفادة منها في العالم العربي؟ من خلال تجربتنا القصيرة في فوربز العربية رأينا عمليًا إمكانية التأثير المتبادل بين مطبوعتنا العربية والنسخة الأمريكية، حيث ترجمت بعض قصصنا التي أعدها مراسلونا ونشرت في أمريكا. يمكن أن يكون لنا صوت (هناك) من خلال عملنا (هنا). ■



مدير البرنامج العربي في التلفزيون الألماني DW:

نسعى إلى تجنب صدام الحضارات

مصطفى السعيد* - ألمانيا

كثيراً ما يرتبط مصطلح «الإعلام الموجه للخارج» بالشك أو التشويه أو حتى الهجوم السافر، إذ يوحي بعض النقاد هنا، بأن هجمة خارجية تشن للنيل من ثقافة المشاهدين أو البلدان التي تلتقط البث. وعلى سطحية النقد الموجه وتسرعه أحيانًا وعجزه عن التمييز بين الطالح والفالح أحيانًا أخرى، أرادت قناة «دويتشه فيله» إيضاح فلسفتها منذ اللحظة الأولى. إنها تبث من قلب أوروبا، ولا تخفي أنها تستعرض الواقع الأوروبي وأخبار العالم من جهة، ومن ثم تتيح المجال لمشاهديها لمعرفة وجهات النظر الأوروبية في قضاياهم وقضايا عالمية أخرى تهمهم. إنها لا تسعى إلى منافسة المحطات العربية المحلية أو حتى تلك التي نالت شهرة إقليمية في توسعها في عرض الحدث العربي وتفاصيله، ولكنها تنطلق من حاجة قطاع من المشاهدين إلى معلومات وتحليلات من خارج إطارهم السياسي والجغرافي.

انطلق البث العربي من تلفزيون دويتشه فيله في منتصف عام ٢٠٠٢ بمجموعة من البرامج الوثائقية والمجلات وبنشرات إخبارية على مدى ثلاث ساعات، لكن هذا البث بقي محكومًا بضعف جاذبية الترجمة المكتوبة على الشاشة، إلى أن تقرر تطوير البث ليشمل نشرات إخبارية وتقارير صحفية، منطوقة باللغة العربية ويقدمها مذيعون عرب ومذيعات عربيات. وكان البث الأول عبر قمر «نايل - سات» على هذا النسق في الثامن والعشرين من فبراير ٢٠٠٥ ليستمر إلى يومنا هذا. كان لقناة DW-TV في أوروبا السبق في هذا المجال في الألفية الثالثة، فيما تستعد البي بي سي وكذلك تلفزيونات فرنسية للحاق.

قد يتساءل المرء عن أثر التطورات السياسية في العالم العربي والإسلامي، وما كان من أحداث إرهابية في نيويورك وغيرها على هذا السباق الأوروبي في السوق الإعلامية العربية المتنامية أهمية. لقد برزت في أعقاب تلك التطورات السياسية فلسفتان، إحداهما تقوم على ما أطلق عليه «مكافحة الإرهاب» والأخرى على ضرورة الحوار والتعاون في مجتمع متشابك ومعقد. لم تتردد إدارة دويتشه فيله لحظة في تبني مفهوم الحوار واعتبار أن فهم ما يدور في خلد الآخر هو أهم قواعد الحوار، وبالتالي جعلت دويتشه فيله من نفسها أداة للتبادل الفكري.

هذا هو ما شدّ الكثير من الصحفيين والمذيعين العرب، ومن بينهم ديما ترحيني (لبنان) وازدهار شعشاعة (فلسطين) وعادل القدسي وأحمد عبيدة (كلاهما من المغرب) ومحمد إبراهيم (لبنان) إلى العمل مع القناة العربية الجديدة التي تبث من برلين. ويسعى الفريق العامل في دويتشه فيله والمتحدر من خلفيات ثقافية عربية متنوعة لإعطاء هذه الرسالة حقها، سواء عبر اختيار الأخبار اليومي أو عبر الصياغة بلغة عربية سليمة وبموضوعية أو عبر عرض الواقع الألماني والأوروبي بدقة وبنوع من الحيادية. فالمحطة ليست حكومية التوجه، وإن كانت تمول من قبل الدولة الألمانية، إنها تعرض لأخبار الوزارة، كما لأخبار المعارضة، وتكون بذلك صورة لنهج إعلامي ديمقراطي.

قناة دويتشه فيله وألمانيا من ورائها تسعيان إلى تجنب صدام الحضارات وإلى تقريب المفاهيم وإلى الوصول إلى لغة مشتركة وإن اختلفت سبل العرض أو محاولات التفسير عما هو سائد في العالم العربي. فالتحديات التي تواجه الإنسان هنا وهناك كبيرة، ولا يمكن التصدي لها إلا بالتعاون.

وإلى جانب عوائد الحوار الثقافي لا يجدر بنا أن نغفل ما يؤدي إليه التقارب من علاقات سياسية واقتصادية وثيقة ينبغي أن تكون في مصلحة الشركاء جميعًا. وكثيرًا ما يكون للروابط الاقتصادية أهمية في تعزيز الحرص المشترك على مستقبل سلمي أفضل.

ما قامت به دويتشه فيله على الصعيد التلفزيوني حتى الآن، ومن قبله من بث إذاعي على مدى عشرات السنين، قابل للتطور والاستمرار. وخير مثال على ذلك هو ذلك البرنامج الحواري الشهري الذي أطلقته دويتشه فيله بالتعاون مع قناة أبوظبي الفضائية منذ شهر أيلول الفائت، إذ يتناقش خبراء عرب وأوروبيون في هموم مشتركة، تحت عنوان «لقاء أوروبا»، ولعل موضوع حلقة شهر تشرين الأول/أكتوبر «أوروبا على المحك: حصن مغلق أم انفتاح» هو دليل على تجرد المحطة الألمانية من نهج الدعاية والبروباغاندا المقيت والمنفر. ■



يجب أن نفرق بين الموجَّه والمحايد . .

استهلاك الإعلام الغربي بعد تعريبه أقل ضررًا من ماكدونالدز

جمال خاشقجي* واشنطن

* كاتب ومستشار إعلامي سعودي .

زرت قبل أعوام قليلة كوريا (الجنوبية بالطبع) بدعوة من شركة إل جي العملاقة، كانت مجرد دعوة علاقات عامة لصحفي من قبل شركة مهتمة بسوق ذلك الصحفي الذي لا يشبع من منتجاتها الحديثة، ذهلت أمام قدرات الشركة خاصة أنها حديثة السن في السوق العالمي، والذي دخلته باقتدار واحتلت فيه ولا تزال موقعًا متقدمًا. استوقفني أكثر مركز أبحاث منتجاتها الجديدة وكثير منها لا يزال في طور التجريب، ولعل إبداع الشركة في التجديد والتصاميم المبتكرة والجريئة هي التي وضعتها على خريطة المنتجات الإلكترونية بين عمالقة اليابان الذين سبقوها.

كانت إل جي نموذجًا لما حصل في كوريا كلها من انتقال من موقع متواضع بين دول العالم الثالث إلى عملاق اقتصادي عالمي. جُلت في أسواقها، شوارعها الفسيحة، أعجبني استخدامها العملي والواسع للتقنية في الحياة اليومية، ولولعي بالنشر استسلمت لمتعة التجول في مكتبة كورية مثلما أفعل عادة في مكتبة جرير أو العبيكان في بلادي أو دار الشروق في ميدان سليمان بالقاهرة أو مكتبة أنطوان البيروتية، أمضي ساعة أو أكثر أقلب في الكتب ثم لا أشتري سوى كتاب واحد!

بدت لي المكتبة الكورية كأي مكتبة في لندن أو نيويورك، على خلاف مكتباتنا العربية التي لا تزال محافظة على اهتماماتها «التقليدية» وخصوصيتها القومية والفكرية. وإشارتي هنا إلى التفاوت في الترجمة عندنا وعندهم، في المكتبة الكورية تعرفت على كثير من الكتب الشهيرة لمؤلفين أمريكيين وبريطانيين من أغلفتها التي حرص الناشر الكوري على الاحتفاظ بنفس تصميمها، بل إن بعضها احتفظ بعنوان الكتاب بالإنجليزية مع ترجمة كورية بأحرف صغيرة.

معظم الكتب التي رأيت كانت في الأعمال والاقتصاد، إنه لأمر طبيعي في بلد مهووس بالاقتصاد، وأعتقد أن معظم اختيارات العالم الحر في الترجمة هي ضمن هذه النوع من الكتب. وتكفي زيارة لمكتبة جرير النشطة في الترجمة لتؤكد أن معظم اختيارات الناشر السعودي أيضًا هي كتب الأعمال والتطوير الذاتي، إنها ظاهرة إيجابية، واستهلاك مفيد لثقافة وافدة.

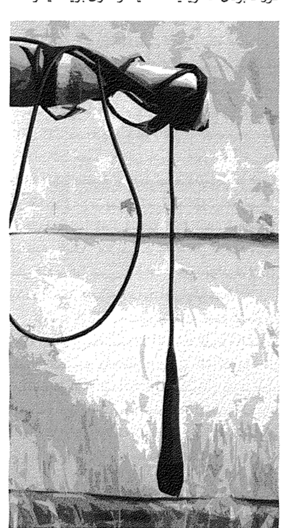
نفس الصورة رأيتها في مكتبة بالعاصمة اليابانية، وفي مختلف المكتبات في شتى عواصم العالم. لقد بات العالم كله يستهلك الثقافة الغربية مثلما يستهلك عطوره وموضاته، ولكننا نحن فقط، ومعنا الفرنسيون الذين نستهلك الثقافة الأنجلو سكسونية ثم نتذمر بعدها. وبينما نعرف مشكلة الفرنسيين، فشكواهم مجرد «فشة خلق» يعوضون بها خسارتهم التاريخية لموقع «الثقافة رقم واحد» والتي لم يهضموها بعد، إذ ما زالوا مصرين على سمو ثقافتهم على غيرها، ولكنهم في الحقيقة في قلب العالم الغربي وشركاء في كل تفاصيله مع غريمهم الأنجلو سكسوني على ضفتي الأطلنطي، أما نحن فحالنا كحال تلك الواقفة في منتصف السلم، فلا هي نازلة ولا هي طالعة. وتزيد على شكوى الفرنسيين شكواها بوجود «مؤامرة» لا تمل ولا تكل تحاك ضد وجودها وثقافتها وثوابتها.

توقفت في المكتبة الكورية أمام قسم المجلات، ومرة أخرى أسماء عشرات المجلات الغربية الشهيرة بنفس التصميم والشعارات ولكن بلغة كورية، من كوزمابولتن وفوج النسائية إلى الناشيونال جيوغرافيك الشهيرة مرورًا بالأسماء المتوقعة كالنيوزويك ومجلات الحاسب الآلي المختلفة. المجلات النسائية كان عدد صفحاتها قياسيًا، ٥٠٠ صفحة وأكثر، وهو ما لا تراه حتى في المجلات الأصلية في موطنها، ما يشير إلى قوة سوق الإعلان هناك.

هذا النوع من المطبوعات بدأ يظهر على أرفف

الصحف والمجلات في أسواقنا، يقف البعض أمامها وهو يحوقل ويسترجع حاسبًا أننا أمام هجمة جديدة من هجمات «الغزو الفكري» على قلعتنا الصامدة في وجه التغريب، ولكن يجب أن نستعد في عالمنا لهجمة أوسع لهذا النوع من المطبوعات الذي يعتمد على صيغة تسويقية ناجحة ومجربة حول العالم، وهي شراء «امتياز النشر» لمطبوعة أجنبية بنقلها للعربية وفق ضوابط معينة وحصص يقتسمها الناشر المحلي وصاحب «حق الملكية الفكرية» الأجنبي، وما مجلة بزنس ويك الشهيرة التي اشترت حقوقها الشركة السعودية للأبحاث والنشر مؤخرًا إلا أحدث مطبوعة أجنبية تنضم إلى رصيفاتها فوربس والنيوزويك وفورتشن الصادرة بالعربية.

إن هذه الفكرة منتشرة حول العالم، ومجربة منذ عقود، بل إن مجلة مثل كوزمابولتن النسائية الشهيرة تصدر اليوم في أكثر من نسخة بلغة واحدة فهناك كوزما بولتن الأمريكية الأصلية، وأخرى بريطانية وثالثة



كندية ورابعة أسترالية، إنها فكرة سهلة مثل مطاعم مكدونالدز، نفس الوجبة الثقافية مع تطعيمها بتوابل محلية تتوافق مع رغبات المستهلك المحلي.

لا أعتقد بوجود كوري واحد يقول إن هذه المجلات «مؤامرة» غربية لاستلاب الهوية الثقافية المحلية، فخلف كل هذه المجلات ناشر كوري، ورأس مال كوري يبحثان عن الربح، ومستهلك كوري يبحث عن مادة مفيدة أو ممتعة فاتفقت مصالحهم أجمعين فكانت النتيجة هذه المجلات التي جاءت إضافة في سوق النشر المحلي، فلم تقض على المطبوعات المحلية الأصيلة بل خلقت فرصًا للمنافسة وتحسين جودة المنتج.

الأمر نفسه يحصل في عالمنا، وسوف نرى المزيد منه، فحظنا من النشر بطريقة «شراء الامتياز» لا يزال متواضعًا ومقتصرًا فقط على عدد من المجلات المتخصصة تحديدًا في عالم الكمبيوتر مع مغامرة البعض في نشر المجلات السياسية، بل ستلجأ إليه الجامعات والهيئات العلمية المتخصصة، فهناك قائمة طويلة من المجلات العلمية والطبية والبحثية المحترفة والتي لابد من تعريبها كي نلاحق النهضة الإنسانية المتسارعة، وحتى نوقف عملية «الاستقطاب» الفكري فيتفاوت المجيد للغة الأجنبية في التعرف على الجديد في العلم بينما يقبع الجاهل بها وسط علومه القديمة. ولكن التوسع الأكبر سيكون استثماريًا لأولئك الناشرين العرب المشبعين بروح المغامرة والمدركين لتوسع مدارك المستهلك، والمقبلين على العولمة بإيجابية، بالإضافة إلى حقيقة أن المنتج الثقافي الغربي «متعوب» عليه فعلاً، وقد كلف الجهة الناشرة مبالغ باهظة.

إن قصة صحفية لا تزيد على ٧٠٠ كلمة في النيوزويك، تكلف عدة آلاف من الدولارات.فمراسل المجلة المقيم أو المنتدب إلى موقع الحدث يكتب معظمها، يساعده فيها مراسلان أو أكثر من مواقع أخرى، ليصوغها محرر محترف في مقر المجلة الرئيسي بواشنطن، ليراجعها في النهاية «مدقق حقائق» وكل هؤلاء يمثلون تكاليف تعجز عنها معظم المجلات السياسية في عالمنا العربي التي تحولت إلى مجرد إعادة صياغة لما ينشر في الصحف اليومية وترجمة لما ينشر في المجلات الغربية حتى بدون ذكر المصدر.

لو انتدبت المعرفة صحفيًا سعوديًا خبيرًا في شؤون التربية إلى مصر كي يكتب مقالاً مطولاً في ٢٥٠٠ كلمة

عن تطوير التعليم هناك، واحتاج لقضاء أسبوعين هناك لجمع مادته فإنه سيكلفها ما لا يقل عن ٢٠ ألف ريال تضاف إلى راتبه أو مكافأته، وبدون أن أسأل الزميل رئيس التحرير أثق أن المعرفة لن تستطيع تحمل تكلفة منتظمة كهذه من أجل مقالة واحدة. ولكن مجلة تربوية أمريكية أو فرنسية قادرة على ذلك، وبالتالي أين الضرر من شراء تلك المادة بدريهمات قليلة هي جزء من تكلفتها الحقيقية.

إن هذا هو سر النجاح في نظام «شراء الامتياز». لقد حصلت المجلة الأمريكية على ربحها من سوقها الأصلي، وبالتالي فما يأتيها من بيع مادتها عبر بيع امتياز النشر هو ربح إضافي. وهنا لا مجال للحديث عن محاولة للتأثير على الرأي العام المحلي، فالمقال الأصلي كتب لسوق المجلة أي الولايات المتحدة إذا كان حديثنا عن النيوزويك، أو السوق البريطاني إذا كان المثال هو الإيكونوميست التي اشترت مجلة المجلة مشكورة مؤخرًا حقوق ترجمة بعض روائعها، ولن يخطر في بال مراسلها أن مقاله سيقرؤه سعودي في الرياض أو كوري في سيؤول.

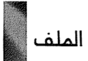
تبقى هناك مشكلة في تذوق الرأي العام المحلي لرأي الكاتب الأمريكي أو البريطاني، الذي مهما حاول أن يكون موضوعيًا إلا أن منتجه النهائي سيتأثر بتوجهه السياسي أو توجه مجلته ورئيس تحريره، والقارئ الحصيف لا بد أن يدرك أنه يقرأ مادة مترجمة صيغت لمستهلك آخر فيستفيد مما فيها من معلومات، ويقبل أو يرفض ما فيها من آراء.

لقد تعرضت لتجربة شخصية في ذلك، كنائب لرئيس تحرير صحيفة عرب نيوز ومرة أخرى كرئيس تحرير لصحيفة الوطن، في الأولى كانت الصحيفة وهي تصدر بالإنجليزية متعاقدة مع خدمة نيوزويك، ما يعطيها الحق في نشر مادة المجلة الأمريكية الشهيرة في نفس وقت صدورها، وجدت صعوبة ومعي بعض قراء الجريدة في نشر مواد بدت منحازة أو متفهمة أكثر للموقف الإسرائيلي في تغطية المجلة للأحداث المؤلمة التي لا تتوقف في الأرض الفلسطينية المحتلة، وجدت أننا في النهاية نتحاشى نشر تلك المواد، ونكتفي بالمواد التي لا نتصادم فيها في الرأي مع كتاب النيوزويك مثل تقارير من القارة الهندية أو آسيا وشتى المواد العلمية والفنية، ولكن لم يكن ذلك كافيًا لصحيفة يفترض أن تقدم مادة مهتمة بعالمها العربي الذي تصدر فيه، وكان الاتفاق ملزمًا بعدم الإضافة أو الحذف. في النهاية اضطررت لاتخاذ قرار بعدم تجديد العقد مع الخدمة.

أما في صحيفة الوطن فكانت الحرب الأمريكية على العراق تلوح في الأفق، وكنا بحاجة إلى مواد عن خطط الحرب، وما يتسرب من معلومات عن مشاريع ترسم لمستقبل هذا البلد والمنطقة. بالإضافة إلى ذلك عرضت النيوزويك تزويدنا برسوم وخرائط رائعة لمجريات الحرب، كان العرض مغريًا، قدر هائل من المعلومات قريب من دوائر صنع القرار في الإدارة الأمريكية، مع خرائط ورسوم ملونة بتفاصيل دقيقة كان من الصعب علينا تنفيذ مثلها، كل ذلك بدراهم معدودة، وفي وقت قصير، والنتيجة اشتريت الخدمة التي رأيتها قبل أشهر قليلة في صحيفة أخرى، ولعل بعض قراء الوطن وما أكثرهم، يذكرون تلك اللوحات التي نشرت في الوطن على مساحة نصف الصفحة الكاملة تفصل تقدم القوات الأمريكية في بغداد أو نوع الأسلحة المستخدمة، كانت معلومات محايدة لا تحمل رأيًا، ومكملة لمهمة الصحيفة في تقديم الصورة الأفضل لحرب تهم القارئ السعودي.

أكانت المادة عن حرب نرجو أن تكون الأخيرة في منطقتنا، أو اكتشافات جديدة في الكون الذي نعيشه، أو تقارير مفصلة عن إنفلونزا الطيور، أو مشاكل التعليم في مجتمع متعدد مثل جنوب أمريكا، فإن رئيس التحرير والناشر سيجد ضالته في الخدمات الصحفية الغربية، وأما المجلات التي نشتريها بالكامل ونعربها فما هي إلا تطبيق أوسع لتلك الخدمات. وسيظل القارئ حصيفا مدركًا أنه يقرأ مادة استفاد منها العالم وصنعت وتصنع الحضارة الإنسانية المشتركة التي نعيشها.

ولكن هناك إعلام أمريكي وبريطاني موجه، لا يخفي ذلك أو يتلون، كمجلة «هاي» أو الفضائية «الحرة» ومن قبلهما البي بي سي ومجلتها الشهيرة التي شاركت في صنع ثقافة جيل قبل أن تتوارى «هنا لندن»، فهذا إعلام موجه يريد به الأمريكيون تحديدًا أن «ينورونا» به ويعلمونا بواسطته «الحرية وقيمها»، ولولا أني سعيد أن أموالاً أمريكية تجد طريقها لجيوب زملاء إعلاميين عرب من إعلام نفعه أكبر من ضرره، لقلت إن هذا إهدار لمال دافع الضرائب الأمريكي، أما قيم الحرية والعدالة والرخاء فإن العربي سيعرفها عندما يراها ■



يصدرون باللغة العربية قبل لغات عالمية أخرى ..

علام يدل هذا الإهتمام ؟!

محمد الهاشمي الحامدي* لندن

*رئيس قناة «المستقلة» الفضائية .

أحدث الأخبار والمبادرات المتصلة بالإعلام الغربي الموجه للعالم العربي يتمثل في تأكيد هيئة الإذاعة البريطانية نيتها في تأسيس قناة فضائية ناطقة بالعربية وموجهة للعالم العربي.

هذه القناة البريطانية تأتي بعد قرابة عامين من انطلاقة قناة الحرة الأمريكية، وبدء الألمان ببث ساعات تلفزيونية باللغة العربية بالإضافة إلى تجارب إذاعة سوا والنسخ العربية من عدد من المجلات الغربية المشهورة.

على حد علمي لا يوجد لقناة الحرة الأمريكية مثيل باللغة الصينية مثلاً أو الروسية أو الهندوسية، أي أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تبادر بعد إلى تأسيس قنوات فضائية موجهة لبلدان مؤثرة في النظام العالمي مثل الصين وروسيا والهند، واختارت مع ذلك أن تخاطب العالم العربي بقناة متخصصة ناطقة بالعربية.

البريطانيون ليس لهم قناة فضائية موجهة لهذه البلدان الكبرى ولكنهم حسموا قرارهم باتجاه تأسيس قناتهم الجديدة الناطقة بالعربية.

فعلام يدل هذا الاهتمام يا ترى؟

هناك أكثر من سبب لتفسير هذه الظاهرة:

ربما يكون السبب الأول أن الصراع والتنافس الدوليين على النفوذ في منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي ما زال محتدمًا، ويذكر في بعض وجوهه بما جرى في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن العشرين، هناك أطماع تقليدية وتنافس دولي على النفوذ في المنطقة لأسباب اقتصادية، وجيو استراتيجية، وهناك مخزون ثقافي وتاريخي وديني يتم توظيفه لتغطية هذا التنافس وتبريره وتفسيره.

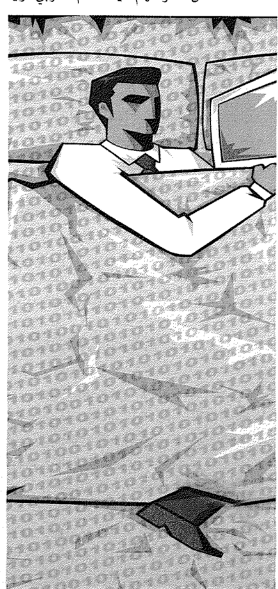
وبطبيعة الحال فإن متغيرات المرحلة، ومنطق القرن الحادي والعشرين، يوجب على كل طامع في المنطقة أو مهتم بها أن يضمن الغطاء الإعلامي والسياسي والأخلاقي لأطماعه أو لاهتمامه، والإعلام سلاح رئيس من أسلحة العصر، والقنوات الفضائية اليوم هي أشهر وأبرز وسائل التأثير في الرأي العام.

لاشك أن الصين أكثر أهمية وتأثيرًا من العالم العربي من النواحي الاقتصادية والسياسية والعسكرية، ويفترض أن تركز القوى الغربية الكبرى جهودها الإعلامية عليها بدل تركيزها على العالم العربي، لكن قوة الكيان الصيني وتماسكه، وقوة روسيا وتماسكها رغم هزات العقد الماضي، وقوة الهند الصاعدة، كل ذلك يجعل الامبراطوريات الجديدة المتطلعة لزيادة نفوذها تدرك أنه ليس بوسعها السيطرة على كيانات قوية بهذا الحجم.

أما الدول العربية فضعيفة في الغالب بسبب افتقادها للديمقراطية والعدالة وتزايد النزاعات الأهلية فيها بين الحكام والمحكومين أو بين القبائل والأحزاب. ومن هنا ينشأ ضعف بنيوي في كيانها

يجعلها فريسة سهلة للطامعين، وتؤدي هذه الصراعات التي تشق المجتمعات العربية إلى تنافس كبير بين قوى الحكم والمعارضة على نيل رضا العواصم الامبراطورية المؤثرة والاستعانة بها ضد الخصوم المحليين، ويمثل هذا السلوك الشائع في العالم العربي دعوة مغرية للقوى الدولية الكبرى للتدخل أكثر وأكثر في الشؤون الداخلية للدول العربية. وإذا استمر هذا السلوك فإن عودة الظاهرة الاستعمارية التي سيطرت على العالم العربي في بدايات القرن الميلادي الماضي تصبح احتمالاً واقعيًا وممكنًا.

هناك عامل آخر مهم: في العالم العربي، وفي



المنطقة بين العراق ومصر، مشى على وجه الأرض أشهر الأنبياء والرسل وأكثرهم تأثيرًا في تاريخ الإنسانية، إبراهيم عليه السلام، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام هم أبناء هذه المنطقة، وتعاليمهم تؤثر في أكثر من مليارى إنسان على وجه الأرض.

ومع أن الأديان كلها تدعو للسلام والمحبة والتقارب بين البشر، فإن الإيديولوجيات والحسابات السياسية المتضاربة يمكن أن تجعل من الأديان سببًا للصراع والحروب. وهناك الآن من المنظّرين السياسيين والدينيين من يبرر بعض الحروب الحالية أو المقبلة في الشرق الأوسط بتأويلات شاذة ومتطرفة للنصوص الدينية.

وفي خضم هذا الصراع أو هذا التنافس يبرز دور الإعلام من جديد، ويمكن أن نفهم بعض وجوه التركيز الإعلامي على العالم العربي.

وفي المحصلة: هل يجب على العرب أن يخشوا من هذه المبادرات الإعلامية التي تستهدفهم؟

ليس بالضرورة، حتى لو لم تكن النوايا الأصلية حسنة، فإن الإسلام يدعو العرب للتواصل مع شعوب العالم، والقرآن الكريم يبين أن الله تعالى خلق الناس شعوبًا وقبائل ليتعارفوا.

ومن الممكن للكفاءات العربية العاملة في هذه المبادرات الإعلامية، وللشخصيات الكثيرة التي تستضاف فيها، أن توظف القنوات والمنابر الجديدة الناطقة بالعربية من أجل فهم موضوعي أفضل للأمة العربية ولثقافتها ولتطلعات شعوبها، وأن تبرز أشواق الأغلبية الساحقة من العرب للسلام والاستقرار في كل ربوع العالم، ورغبتها في إنجاح فكرة القرية العالمية الواحدة التي يتنافس فيها الناس من أجل خدمة الصالح العام والرقي بالحضارة الإنسانية.

ومن الممكن للعرب أن يستفيدوا من باب المنافسة مع هذه المبادرات الغربية، بأن يؤسسوا قنوات فضائية ومنابر صحفية أخرى تتجه إلى الرأي العام الغربي وتخاطبه بمنطق وموضوعية وصراحة، من أجل بناء أسس قوية لصداقة حقيقية وعلاقات عادلة ومتكافئة بين الدول العربية والغرب.



كنا نود..

عندما وضعنا هذا الملف عن «الإعلام الغربي بالعربي» كان من أهم المحاور فيه أن نسمع رأي مجموعة من القائمين على وسائل الإعلام الغربية المعرّبة، حتى لا يتحول الملف إلى محاولات استبطان واختزال أهدافهم ورؤاهم وتصوراتهم للرسالة الإعلامية التي يودون بثها في الفضاء العربي، من خلال تفسيرات الغير فقط. بل أن تتاح الفرصة لهم أنفسهم كي يقولوا ما يفعلون!

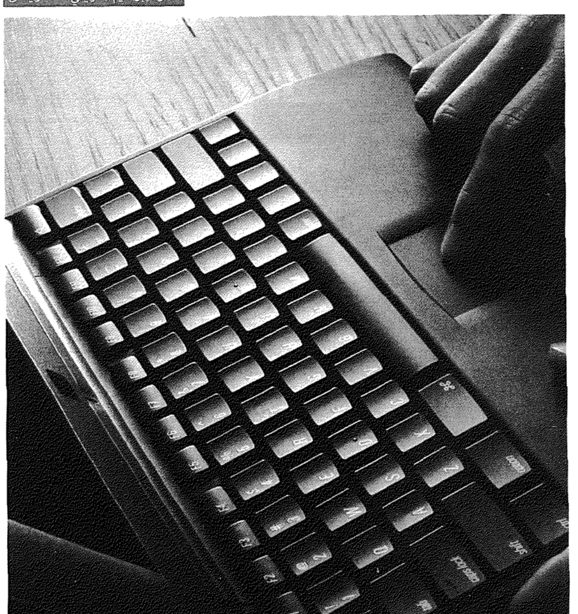
وقد خاطبنا القائمين على الموقع العربي لـ CNN والـBBC وقناة الحرة وإذاعة مونت كارلو ومجلة النيوزويك والقناة الألمانية DW ومجلة فوربز وغيرها من الوسائل الإعلامية الغربية الأخرى.

وللأسف لم نتلق سوى تجاوبين فقط من القناة الألمانية ومجلة فوربز، أما البقية فقد تعثر التجاوب منهم إما لضيق الوقت أو للانشغال بالعمل اليومي المزدحم. هناك بعض آخر لم يتعذر بأحد العذرين بل قال بصراحة إن الإدارة الرئيسية قد رفضت المشاركة في هذا الملف.. لا ندري لماذا؟ ربما تكون الرقابة الإعلامية داخل الأسرة الإعلامية! المعرفة

نموذج جامعي مقترح

دمج التعليم الإلكتروني بالتعليم التقليدي

سارة إبراهيم العريني*- الرياض



*مدير إدارة المواد التعليمية وتكنولوجيا التعليم - الجامعة العربية المفتوحة

تواجه مؤسسات التعليم العالي اليوم مطالب عدّة فرضتها عليها التطورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة، وأصبح على هذه المؤسسات -على الرغم من قلة الإمكانات والموارد المتاحة لها - أن تواجه الإقبال المتزايد على التعليم العالي والارتقاء بمستوى كفاءته وفعاليته وجودته ليتماشى مع متطلبات العصر، ويفي باحتياجات سوق العمل ويفعّل خطط التنمية؛ وذلك من خلال تطوير الكوادر البشرية. ولهذا يجب ألا يكون نظام التعليم الجامعي مقتصرًا على نمط التدريس التقليدي داخل قاعات الدراسة، بل لابد من توظيف التطورات الحديثة في تكنولوجيا الاتصالات واستخدامها لتوفير نمط من التعليم تصل مواده ومناهجه لطلبة الجامعة في أي وقت وفي أي مكان، وإخلاء مقاعدهم بالتدريج لطلبة جدد مما يزيد القدرة الاستيعابية للجامعات ويمكنها من منح القدرات والمهارات والمعارف الضرورية واللازمة لنجاح الأفراد في الحياة الاجتماعية والوظيفية في عصر ثورة المعارف.

ومن أجل تحقيق ومواجهة هذه المطالب والاحتياجات التعليمية، كان لابد من إحداث تغيرات جذرية في نظام التعليم وإيجاد نمط تعليمي يتسم بالمرونة والكفاءة والفاعلية: وذلك من خلال الدمج بين نمط التعليم التقليدي والتعليم الإلكتروني.

يسعى هذا البحث لتقديم نموذج للتعليم الجامعي يوظف تقنيات الحاسب الآلي والاتصالات ويمكّن من التفاعل بشكل إيجابي في ظل متطلبات الانفجار المعرفي: وذلك من خلال الدمج التدريجي لنظام التعليم الإلكتروني مع النظام التقليدي بالجامعات وفق آلية تضمن الانسيابية والتدرج في هذه العملية. ويسعى البحث (أيضًا) إلى شرح آلية الدمج وكذلك إيضاح نقاط القوة في هذا النموذج. حيث إن إعادة هيكلة نظام التعليم بات حاجة تفرضها متطلبات عصر ثورة المعلومات من حيث منح الجميع فرصة التعليم الجامعي، وتنمية قدرات التفكير العليا ومنح المهارات التكنولوجية المتطورة والقدرة على التعلم الذاتي لجيل المستقبل. ومن أجل تحقيق ومواجهة مثل هذه المطالب والاحتياجات التعليمية لابد من إيجاد نمط تعليمي يتسم بالمرونة والكفاءة والفاعلية ألا وهو الدمج بين التعليم عن بعد (التعليم الإلكتروني) والتعليم التقليدي ليوجد نمطًا تعليميًا جامعيًا جديدًا يغطي احتياجات عصر تكنولوجيا المعلومات.

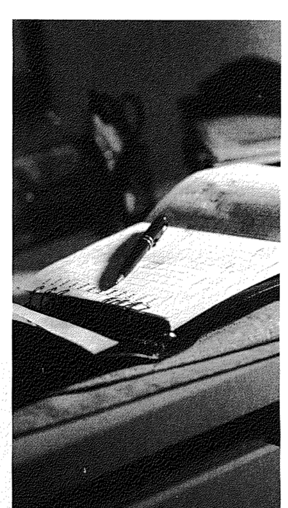
متطلبات تنفيذ الدمج

قد يعتقد بعضهم أن تكلفة التعلم الإلكتروني عبارة عن تكلفة الحاسبات وبعض البرمجيات المطلوبة وخدمة الإنترنت يضاف إليها تكلفة إنتاج المادة العلمية إلكترونيًا، ولكن التكلفة الفعلية للتعلم الإلكتروني تتمثل في تطوير البرامج الدراسية بوساطة فرق عمل متخصصة، وكذلك تدريب المعلمين على التعامل مع هذه التقنيات وعلى كيفية التدريس عن بعد والتفاعل في البيئة التعليمية

إلكترونيًا. وكذلك يتطلب التعليم الإلكتروني دعمًا للعملية من مشرفين ومساعدين؛ وذلك لتوفير بيئة متفاعلة بين المعلمين والمساعدين من جهة والمتعلمين من جهة أخرى.

الفصل الافتراضي

هو فصل بكل المكونات والعناصر المتعارف عليها، ففيه معلم وطلاب ومادة تعليمية ووسائل إيضاح وامتحانات وتقييم وتكلفة مالية وأنظمة ولوائح تحكم العملية التعليمية، قد لا يوجد فيه مكان واقعي، فهو عبارة عن موقع على الشبكة الدولية (الإنترنت) أو الشبكة المحلية (الإنترانت)، ويحتوي على صفحات من المعلومات وتوجد على تلك الصفحات العناصر التعليمية التي سبق ذكرها وترتبط جميعها من خلال الشبكة، وترتبط أيضًا من خلال الشبكة بجميع المواقع الأخرى، والتي



تحتوي بطبيعة الحال على فصول أخرى تخيلية أو أخرى حقيقية مرتبطة بالشبكة، بها أرقام ضخمة من الطلاب، ويتميز الفصل التخيلي بمميزات كثيرة نذكر منها:

- توفر مزيد من القاعات الدراسية للطلبة المستجدين.
- توفر الكثير من الأنماط التعليمية .
- توفر العدد الهائل من مصادر المعلومات.
- التركيز على تنمية مهارات التفكير العليا.
- توليد القدرة على البحث والاستقصاء للمعلومات لدى الطلاب.
- القدرة على التركيز مع المعلم دون الشعور بوجود الطلاب الآخرين (إلا إذا أراد ذلك).
- الحرية الكاملة في اختيار وقت الدراسة ومكانها مما يتيح للطالب القدرة على الاستيعاب الأكبر.
- القدرة على التواصل مع أساتذة المقررات والزملاء في أي وقت ومن أي مكان.
- الاستفادة من مستجدات التكنولوجيا والاتصالات وتوظيفها لخدمة العملية التعليمية.
- توفير الوقت والمجهود في حضور المحاضرات بالحرم الجامعي.

وتتكون الفصول الإلكترونية بالنموذج المقترح من:

هيئة التدريس

يتشكل فريق العمل الذي يشرف على تدريس المقرر بنظام الدمج من:

- أعضاء هيئة تدريس (حملة الدكتوراة).
- محاضرين (حملة الماجستير).
- معيدين (حملة البكالوريوس).

يقسم عدد الطلبة في شعب دراسية لكل مقرر دراسي لتحوي من ٢٥ إلى ٣٠ طالبًا، وتقسم تلك الشعب على عدد المحاضرين بواقع ٥ إلى ٧ شعب دراسية، ويقسم عدد المحاضرين ليكونوا تحت إشراف أساتذة المقرر.

يتولى أساتذة المقرر مسؤوليات تنظيمية لشعب المقرر وإشراف ومتابعة وتدقيق جودة التعليم من حيث تصحيح الواجبات والاختبارات الفصلية مدعمة بالتغذية الراجعة (Feed Back)، وكذلك

عملية التفاعل والتواصل مع الطلبة عبر الوسائط المختلفة للتعليم الإلكتروني. كما يتولى أعضاء هيئة التدريس إعداد جميع الاختبارات الفصلية والنهائية.

يتولى المحاضرون (والمعيدون) الإشراف التام على التعليم الذاتي المدعم بتواصل عبر قنوات التعليم الإلكتروني في أنماط عدة:

- اللقاء الأول مع الطلبة لشرح طبيعة المقرر، أهميته، أهدافه، خطة الدراسة الأسبوعية، الواجبات، الاختبارات، مواعيد اللقاءات النقاشية، آلية التواصل، ومواعيد الساعات المكتبية. وكذلك توزيع الطلبة في فرق عمل من أربعة أو ستة طلاب للمشاريع الجماعية.
- صياغة موضوع كل أسبوع على شكل مجموعة أسئلة نقاشية تثبت على صفحة المقرر بموقع الجامعة.
- يلتقي الطلبة إلكترونيًا في لقاء حواري متزامن لمدة ساعتين من كل أسبوع حسب جدول زمني موضح في خطة المقرر التي يزود بها الطلبة.
- يجيب على جميع الأسئلة والاستفسارات التي يرسلها الطلبة عن طريق البريد الإلكتروني.
- يحدد المشروعات الصغيرة والبحوث ويوزعها على المجموعات الطلابية بجميع الشعب.
- يقوم باستقبال الطلبة في ساعتين مكتبتين أسبوعيًا بالكلية لتقديم العون لمن يحتاج المساعدة.
- تصحيح الواجبات والبحوث والاختبارات الفصلية بشكل دقيق تبعًا لنماذج معدة من قبل أساتذة المقرر لضمان العدالة في التصحيح، كما يوضح كتابيًا الجواب الصحيح لكل إجابة غير صحيحة ويبين نقاط الضعف والقوة في كل إجابة.

التفاعل الدراسي

التفاعلات المنهجية تحث الطلاب على إثارة بعض التساؤلات والفرضيات وتدعوهم إلى المقارنة، والتحليل، وإصدار أحكام حول المناقشات المطروحة، وفحص الفرضيات، والبحث في المراجع والتأكد من الشواهد ودقتها، واختيار الأسباب المناسبة والمؤيدة لحل المشكلة.

والتعليم الإلكتروني يملك الآلية لصنع بيئة تعليمية جيدة يتم من خلالها التفاعل فيما بين الطلبة بقدر تفاعلهم مع أستاذ المقرر للتعرف على المعلومات والوقوف على وجهات النظر المتباينة، والبحث عن المبررات الأساسية، والتعرف على الخيارات المختلفة والحلول الممكنة.

> التعليم الإلكتروني يحقق اعتماد المتعلم على نفسه لكونه يتم بعيدًا عن المعلم أو المؤسسة التربوية، ويتم طبقًا لاحتياجات المتعلم الحقيقية وبمبادرة منه وبالنمط الذي يتماشى وقدراته الفردية، الأمر الذي جعل هذا النوع من التعليم أكثر فعالية

ويتعلم الطالب من خلال التفاعل الصفي المنظم أن يحلل ويدقق ويقارن مما يعطي المعلومات التي اكتسبها من مصادرها المختلفة معاني جديدة أكثر عمقًا. وتشجع هذه التفاعلات الأكاديمية على ألا يقتصر الطالب على حفظ وتذكر المفاهيم والمعاني التي تمثل فكر ورأي كاتب الكتاب. حيث إن بناء عملية التدريس حول الأسئلة المثيرة يتيح الفرصة للطالب لفحص عدد من المواضيع بعمق، والتفاعل المستمر مع محتوى ومجالات حقيقية، وتفاعل ذهني فعال مع المادة الدراسية؛ مما يساعد على تطوير مستويات التفكير العليا.

الاختبارات

حسب المتطلبات المختلفة للمقررات الدراسية، يقوم الكادر التدريسي بعمل اختبارات فصلية وتكون بأنماط مختلفة منها:

- اختبارات في الحرم الجامعي مثل اختبارات تحديد المستوى أو الاختبارات النهائية حيث يمكن تنظيمها للأعداد الضخمة من الطلبة خلال أيام الخميس أو الفترات المسائية.
- اختبارات فصلية على الإنترنت تكون مؤقتة إلكترونيًا بشكل يفرض الجواب السريع الفوري.

أعمال الفصل

تشكل الأعمال الفصلية ٥٠٪ من الدرجة النهائية لكل مقرر دراسي وتكون بأنماط مختلفة منها:

- الواجبات ذات الأسئلة المرتبطة المتعلقة بمحتوى المقرر.
- المشروعات الفردية أو الجماعية. (كل طالب ينتمي لمجموعة دراسية من أربعة إلى ستة طلبة)
- البحوث على أنها أوراق عمل بشكل فردي أو على مستوى مجموعات العمل الطلابية.
- النقاشات الأسبوعية على شكل أسئلة مفتوحة، فرضيات، مشكلات، تطرح للنقاش وتعزيز الإجابة أو الرأي بالبراهين.

الخدمات المساندة

هذا النمط التعليمي يستلزم وجود خدمات مساندة لمساعدة الطلبة في مواجهة أي صعوبة وخاصة في بدايات البرنامج. وهناك أنماط عدة من الخدمات المساندة منها:

- الإرشاد الأكاديمي: يتمثل في الساعات المكتبية الأسبوعية لأعضاء هيئة التدريس والموضحة في الخطط الدراسية للمقررات، وكذلك الإرشاد الأكاديمي على الصفحة الإلكترونية للمقرر، كما أن تحديد مرشد أكاديمي لكل طالب فور التحاقه بالبرنامج وإتاحة فرص اللقاء والتشاور معه وجهًا لوجه، وإلكترونيًا على مدار العام الدراسي يعد عنصرًا مهمًا، وأيضًا إضافة خدمة تلفونية للإجابة عن الأسئلة والاستفسارات العامة المتكررة.
- مراكز مصادر التعلم: وهي عبارة عن مكان بالكلية يحتوي على المواد التعليمية والمواد الخارجية المساندة بجميع أنماطها (مطبوعة، إلكترونية، صوتية، مرئية وحاسوبية)، وكذلك الكتب والمراجع ليصنع منها (بقدر الإمكان) بيئة تعليمية غنية بكل الاحتياجات الدراسية المعينة للطلبة، مقسمة إلى أقسام للدراسة الفردية والجماعية، وقسم للفيديو وآخر سمعي، كما يتوفر بها معمل حاسبات آلية مربوطة بشبكة الإنترنت وموصولة بخدمات قواعد البيانات.
- المكتبة الافتراضية: مكتبة على موقع الجامعة تحوي المواد الأكاديمية للمقررات الدراسية بمختلف أنماطها (إلكترونية، صوتية، مرئية، برمجية) وتكون مرتبطة بآليات البحث وبقواعد البيانات العالمية والمنتديات الطلابية.

متطلبات النجاح في المقرر

متطلبات النجاح في أي مقرر هي الحصول على علامة النجاح من واقع ٥٠٪ للاختبار النهائي، و ٥٠ ٪ لأعمال الفصل، حيث يكون المجموع النهائي للعلامة ٦٠٪ على أن الحد الأدنى كالآتي:

- النجاح في الاختبار النهائي.
- مجموع درجات أعمال الفصل الدراسي.

آلية التنفيذ لنموذج الدمج

- العام الدراسي الأول: (التعليم وجها لوجه ٩٠٪ - التعليم الإلكتروني ١٠٪)

يركز في العام الدراسي الأول على بناء القاعدة الأساسية لهذا النمط المتمثل في أربعة محاور:

- تغطية المتطلبات الجامعية العامة للعام الدراسي الأول.
- التعريف والتدريب على مهارات التعلم الذاتي، تدريس ما يجعل الطالب يفكر حول طرق تعلمه الخاصة وما يساعده على تنظيم كيفية دراسته للمقررات واستيعابه للمعارف وتوجهه لتنمية مهارات التفكير العليا.
- التدريب على مهارات الحاسب وتكنولوجيا الاتصالات المطلوبة وذلك من استخدام الحاسب والإنترنت بما فيها من بريد إلكتروني ومنتديات حوار وآليات بحث ومواقع تعليمية.
- التعريف والتدريب على مهارات التعليم الإلكتروني بشكل مبسط ومقترن بالتطبيق العملي المباشر، مزودًا بالأدلة التعريفية التي توضح خطوات العمل وتفعّلها بالتمارين.

وبذلك يتمكن الطالب من أخذ المادة التطبيقية للتعليم الإلكتروني في الفصل الدراسي الثاني، حيث يبدأ بالعمل من خلال معامل الجامعة تحت إشراف محاضري ومعيدي المقرر، وبمساعدة مختصي

المعمل المدربين لهذه المهمة وبالتدريج حتى تتم العملية التعليمية للمقرر كاملة خارج أسوار الجامعة في آخر العام الدراسي.

- العام الثاني: (التعليم وجها لوجه ٦٠٪ - التعليم الإلكتروني ٤٠٪)

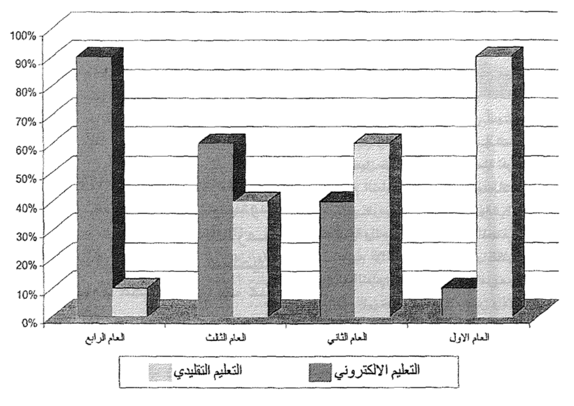
بنهاية العام الدراسي الأول يكون الطلبة قد تزودوا بأساسيات المهارات المطلوبة للتعليم الإلكتروني (قدرات التعلم الذاتي، مهارات استخدام الحاسب، مهارات استخدام آليات الإنترنت والاتصالات الإلكترونية، آلية الإشراف والمتابعة الأكاديمية). يبدأ العام الثاني بالتقاء أعضاء هيئة التدريس والطاقم التدريسي (محاضرون، معيدون، مختصو المعمل، مشرفون أكاديميون) الطلبة بوصفه لقاء أوليًا مباشرًا لكل مقرر دراسي، تُشرح من خلاله: خطة المقرر، الحقيبة الطلابية، المواد المساندة، الواجبات، الاختبارات، التعريف بأساتذة الشعب، تحديد الساعات المكتبية، وكذلك تقسيم الشعب لمجموعات أصغر للمشروعات الجماعية والمساندة الأكاديمية. وقد يتخلل العام الدراسي لقاء أو أكثر لكل شعبة حسب ما يحدده أساتذة المقرر بناء على حاجة الطلبة وطبيعة المقرر، كما يشرف أساتذة المقرر على سير الدراسة، وتقييم المستوى الدراسي للطلبة بشكل مستمر.

- العام الثالث: (التعليم وجهًا لوجه ٤٠٪ - التعليم الإلكتروني ٦٠٪)

يكون الطلبة قد قطعوا نصف المرحلة الدراسية من برنامجهم الجامعي ومروا بتجربة نمط التعليم الإلكتروني وتهيأ للطلبة والأساتذة على حد سواء الاستفادة من إيجابيات التجربة، وتحديد السلبيات. وتم تطوير آليات لتتغلب على السلبيات التي واجهها الطلبة خلال دراستهم .

- العام الرابع: (التعليم وجهًا لوجه ١٠٪ - التعليم الإلكتروني ٩٠٪)

في العام الدراسي الأخير بات التعليم الإلكتروني النمط الدراسي الأساسي يضاف إليه نسبة ١٠٪ لقاءات صفية لأحد المقررات، يستفيد منها



نموذج الدمج للتعليم الجامعي

الطالب أيضًا في التواصل مع الأساتذة والمشرفين الأكاديميين ومراجعة خطة التخرج وزيارة المكتبة ومركز المصادر.

الحقيبة الطلابية

تتكون الحقيبة الطلابية من جميع المتطلبات الدراسية للمقرر والتي تبنى بنمط التعلم الذاتي، ويراعى فيها أيضًا فروق التعلم الفردية حيث تكون كمًا متكاملاً لا يحتاج معه الطالب إلى معلومات إضافية، ولذلك يراعى أن تحتوي الحقيبة الطلابية على الآتي:

- الكتاب الدراسي المقرر والمبني بنمط التعلم الذاتي.
- دليل الطالب للمقرر.
- خطة المقرر الأكاديمية للفصل الدراسي Course «Calendar».
- نماذج الواجبات (المعلومات المطلوبة والشرح التوضيحي والنماذج الرسمية)
- المواد المساندة: مادة مطبوعة كالمقالات والأبواب المنتخبة من الكتب. مادة مسموعة على أشرطة كاسيت، مادة مصورة أو برامج علمية أو محاضرات أو حلقات نقاش مسجلة على أشرطة فيديو، برامج حاسوبية، أرشيف مضغوط على الأقراص المغنطة (CD)، كما يحصل معلم المقرر على الحقيبة نفسها مضافًا إليها دليل المعلم.

من معوقات التعليم الإلكتروني: شح المعلمين الذين يجيدون المهارات التكنولوجية اللازمة للتعليم الإلكتروني، وشح المعلمين الذين يجيدون مهارة التدريس عن بعد

إيجابيات الدمج

- يحقق مبدأ ديمقراطية التعليم، والتي تنطلق من ضرورة توفير فرص التعليم لكل راغب فيه بغض النظر عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والصحية والجغرافية. فالتعليم حق لكل إنسان.
- يضاعف من القدرة الاستيعابية للجامعات وذلك من خلال التفريغ التدريجي للقاعات الدراسية للطلبة المستجدين، ويمنح الفرصة للاستفادة المثلى من جميع مصادر الجامعة.
- يمكن المتعلم من التعلم بمفرده تعلمًا ذاتيًا: لأن الاعتماد التام على المعلم في التعلم يقلل من أهمية دور المتعلم في العملية التعليمية. وقد أثبتت الدراسات أن التعلم يتفوق على التعليم في أمور أساسية منها الدوام والاستمرارية، حيث إن ما يتعلمه الطالب من تلقاء نفسه أعمق وأبقى مما يتلقاه بتلقين من المعلم، إضافة إلى ملاءمته للظروف التي يتم من خلالها التعلم كون عملية التعلم تكون من اختيار المتعلم وليس بالضرورة أن يحدث في أوقات وأماكن محددة. فالتعليم الإلكتروني يحقق اعتماد المتعلم على نفسه لكونه يتم بعيدًا عن المعلم أو المؤسسة التربوية، ويتم طبقًا لاحتياجات المتعلم الحقيقية وبمبادرة منه وبالنمط الذي يتماشى وقدراته الفردية، الأمر الذي جعل هذا النوع من التعليم أكثر فعالية.
- يستفيد هذا النمط من التعليم من التقنيات المتطورة ويوظفها ويوجه التعليم الجامعي نحو التكنولوجيات الحديثة التي هي آليات العصر ومتطلب الحياة والعمل، مما يساهم في تنمية الكوادر البشرية لتفعيل خطط التنمية الشاملة للوطن.
- يقدم التعليم الإلكتروني الخدمات التعليمية لمن فاتتهم فرص التعليم، للظروف الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية من فئات المجتمع المختلفة، ويعيد التعليم الإلكتروني الأمل لدى الكثيرين ممن يرغبون في التعلم، نظرًا لما يتمتع به من مرونة تسمح لهم بالتعلم إلى جانب قيامهم بالمهن والأعمال التي يمارسونها.
- مراعاة ظروف الدارسين التعليمية، ففي التعليم الإلكتروني أماكن لكل الفئات، العمال والموظفين وربات البيوت وأصحاب المهن الحرة وغيرهم، وذلك لما يوفره من إمكانات كبيرة لمراعاة



ظروف المتعلمين، فيصبح وسيلة لتوحيد المعرفة والثقافة تشجع الراغبين في التعليم كافة على الالتحاق به، ومن ثم تحقق طموحاتهم في تطوير معارفهم وثقافتهم.

- مواكبة التطورات المعرفية والتكنولوجية، إننا نشهد حاليًا تفجر المعرفة والتوسع الهائل في التقدم العلمي والتكنولوجي، وأصبح بذلك من الصعوبة ملاحقة هذه التطورات بالأساليب التقليدية في التعليم، ولهذا فإن التعليم الإلكتروني لا يعرف حدودًا للمعرفة كما هو الحال في التعليم التقليدي، بل يجعل المتعلم ينطلق إلى آفاق رحبة ومتجددة ويصبح بالإمكان التعلم من المصادر كافة بلا حدود.

- الإسهام في رفع المستوى التعليمي بالمجتمع، فمن أهم الأسباب التي تعيق التحاق الكثيرين بالتعليم استخدام الأنماط التقليدية في التعليم المبنية على التعليم المباشر. وباستخدام أسلوب التعليم الإلكتروني يمكن التغلب على هذه المعوقات ولاسيما النساء اللاتي تمنعهن مسؤولياتهن الأسرية من الخروج من البيت والالتحاق بالصفوف الدراسية التقليدية.

اقتصادية التعليم الإلكتروني

يدعم التعليم عن بعد التوجه التعليمي الجديد الذي يتم تحت إطار فلسفة «تعليم غير محدود بالزمان والمكان»، ومن ثمّ بتيسير سبله للجميع، وضمان استمراريته كذلك يؤدي هذا النوع من التعليم إلى اختصار التكاليف، ففي نظم التعليم عن بعد تنخفض كلفة الطالب بزيادة أعداد الطلبة، وفي دراسته للجامعة اليابانية المفتوحة «موتا» وجد «واقنر» أن تكلفة الطالب الجامعي في هذه الجامعة حوالي ربع التكلفة في الجامعات الوطنية اليابانية. كما وضح «واقنر» أن الكلفة المتكررة بالنسبة للطالب في الجامعة المفتوحة في بريطانيا كانت حوالي نصف كلفة الطالب في الجامعات التقليدية. أما بالنسبة للتعليم عن بعد باستخدام الإنترنت فقد وجد في دراسة لمنظمة اليونسكو أن التعليم باستخدام الإنترنت يقلل تكاليف الدراسة بنسبة الثلثين.

معوقات أمام التعليم الإلكتروني

على الرغم من حماس كثير من التربويين للتعليم الإلكتروني، فإن هذا النوع من التعليم لا يسلم من المعوقات الرئيسة، ومنها:

- المعوقات المادية: توفر أجهزة الحاسب وتحديثها وخدمة الإنترنت وسرعتها.

- المعوقات البشرية: شح المعلمين الذين يجيدون المهارات التكنولوجية اللازمة للتعليم الإلكتروني، وشح المعلمين الذين يجيدون مهارة التدريس عن بعد.

- إنتاج المواد التعليمية: ارتفاع تكلفة إعداد البرامج الجيدة بنمط التعليم الإلكتروني، وندرة وجود المتخصصين في تصميم المواد التعليمية بنمط التعليم الذاتي المساند بالوسائط التكنولوجية المتعددة القابلة للتعليم إلكترونيًا.■

المراجع العربية

-إبراهيم بن عبدالله المحيسن: التعليم الإلكتروني – ترف أم ضرورة؟، ورقة عمل مقدمة لندوة مدرسة المستقبل (جامعة الملك سعود). ١٤٢٣هـ.
- إبراهيم عبدالوكيل الفار: استخدام الحاسوب في التعليم. دار الفكر، ٢٠٠٢.
- إبراهيم محمد عبدالمنعم: بحث عن التعليم الإلكتروني في الدول النامية الآمال والتحديات ضمن أعمال الندوة الإقليمية التي نظمها الاتحاد الدولي للاتصالات حول توظيف تقنيات المعلومات والاتصالات في التعليم، ٢٠٠٣.
- أحمد حامد منصور: تكنولوجيا التعليم وتنمية القدرة على التفكير الابتكاري، دار الوفاء للطباعة، القاهرة ١٩٨٩.
- الغريب زاهر: إقبال بهيهاني: تكنولوجيا التعليم (نظرة مستقبلية)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ١٩٩٩.
- إيمان محمد غراب: التعليم الإلكتروني مدخل إلى التدريب غير التقليدي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية (بحوث ودراسات)، ٢٠٠٣.
- تيسير الكيلاني: نظام التعليم المفتوح والتعليم عن بعد وجودته النوعية، القاهرة، ٢٠٠١.
- ثناء يوسف الضبع، منال عبدالخالق: ورقة عمل عن المدرسة العصرية بين أصالة الماضي واستشراف المستقبل، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
- جون بينون، هيوماكي: التطور التكنولوجي والمنهج، ترجمة محسوب عبدالصادق، ماهر إسماعيل صبري، المكتبة الأكاديمية القاهرة، ١٩٩٩.
- زينب محمد أمين: إشكاليات حول تكنولوجيا التعليم، دار الهدي للنشر: القاهرة ٢٠٠٠.
- عاطف السيد: تكنولوجيا التعليم والمعلومات واستخدام الكمبيوتر والفيديو في التعليم والتعلم، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
- عبدالحافظ محمد سلامة: الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار البازوري – عمان ٢٠٠١.
- علي أحمد مدكور: التربية وثقافة التكنولوجيا، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٣.
- فتح الباب عبدالحليم: الاتجاهات الحديثة في الوسائل التعليمية، صحيفة التربية، ١٩٧٣.
- فتح الباب عبدالحليم: توظيف تكنولوجيا التعليم، الجمعية المصرية لتكنولوجيا التعليم، القاهرة ١٩٩٧.
- كمال عبدالحميد زيتون: تكنولوجيا التعليم في عصر المعلومات والاتصالات، عالم الكتب، ٢٠٠٢.
- مجدي عزيز إبراهيم: تطوير التعليم في عصر العولمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠.
- محمد رضا البغدادي: تكنولوجيا التعليم والتعلم، دار الفكر العربي القاهرة، ١٩٩٨.
- محمد محمود الحيلة: التكنولوجيا التعليمية والمعلوماتية، دار الشروق، ١٩٩٧.
- محمد علي السيد: الوسائل التعليمية والمعلوماتية، دار الكتاب الجامعي، الإمارات ٢٠٠١.
- مصطفى عبدالسميع وآخرون: الاتصال والوسائل التعليمية (قراءات أساسية للطالب والمعلم)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠١.
- مصطفى عبدالسميع: تكنولوجيا التعليم، دراسات عربية، مركز الكتاب للنشر ١٩٩٩.
- فايز محمد علي الحاج: البيئة التعليمية لمدرسة المستقبل، ورقة عمل مقدمة لندوة مدرسة المستقبل (جامعة الملك سعود)، ١٤٢٣ هـ.
- فايز محمد علي الحاج: (١٤٢٢هـ) العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي – تصور مقترح لعملية التفاعل بين المعلم والمتعلم في البيئة التعليمية، وزارة المعارف – إدارة الثقافة والمكتبات.

المراجع الأجنبية

- Al-Erieni, Sara. (1994). Distance education through computer-mediated communication as a solution for the overcrowded system of female higher education in Saudi Arabia. Unpublished study, George Mason University, Fairfax, VA
.
- Barker, B. 0. (1996, July). Strategies to ensure interaction in telecommunicated distance learning. Paper presented at Pennsylvania State University for the 3rd .Distance Education Symposium, Philadelphia, PA

- Barker, B. 0., Frisbie, A. G., & Patrick, K. R. (1993). Broadening the definition of distance education models in the light of the new telecommunications technologies. .The American journal of Distance Education, 4 (2), 52-58

- Barry K. Beyer: (1989) : Practical strategies for Thinking of Thinking. Boston: .Allyn and Bacon 1989

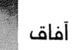
- Beaudoin, M. (1993). The instructors changing role in distance education. The .American Journal of Distance Education, 4 (2),21-29

- Black, M. (1995). The definition of quality in post-for distance approach to distance education. In D. Stewart (Ed.), Proceedings of the 17th World Conference of the International Council for Distance Education: vol. 2. One world many voices (pp. .37-39). Birmingham, UK: University of Birmingham press
- Chanace, P. (1986) Thinking in the classroom: A survey of programs New York: .Columbia University 1986

-Collis, B. (1996). Tele-learning in a digital world: The future of distance education. .London, England: International Thomson Publishing Company
- Dede, C. J. (1991). Emerging technologies: Impacts on distance education. The .Annals of the American Academy, 514,146-158

- Dede, C. J. (1993). The future of higher education. Paper presented at annual 35 meeting of the American Educational Research Association. Montreal, Canada. (ERIC .(Document Reproduction Service No. ED 230 159
- Keefe, J.W and Wilbert, H, J: (1992) Teaching for Thinking Edited. National .Association of secondary school principals, Virginia U.S.A. 1992
- Letteri, C.A. (1992) " Cognitive Profile, Academic Achievement" In Cognitive :Science
- Contribution to Educational Practice edited by Marlin Languis. Philadelphia, Gordon .(and Breach Publishers (1992
- Newmann, F.M. : (1990) "Higher order Thinking and prospects for classroom Thoughtfulness" In student Engagement and Achievement in American Schools, .edited by F. Newman. New York: College Press, in Press
- Preseason, B.Z. (1990) "Thinking skills Throughout the curriculum: A conceptual .Design. Bloomington, : International Thomson Publishing Company
- Reich, Robert : (1991) : The work of Nation : Preserving ourselves for the 21st .(century New York. (1991

- Olcott, D. J. (1993). Access to teaching: Integrating telecommunication instruction in university extended degree programs. Journal o Continuing Education,_ (1), 16-24



التعلم الإلكتروني.. تعلم بمعنى الخبرة

أحمد عصام الصفدي - الرياض

* أستاذ مشارك (سابقًا) بجامعة الملك سعود. استشاري تقنية التعليم والتصميم التعليمي.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز في سورة الإسراء آية ٦٣: ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسئولا﴾. فَهْمنا لهذه الملكات هو ما فهمه عدد من المفسرين المعاصرين ومنهم الشيخ المودودي رحمه الله.

- السمع هو تلقي المعلومة، والمعرفة والعلم، والتقنية. وهذا ديدن الأمم المستهلكة.

- البصر هو تصنيف المعلومة إلى نافع وضار، ومفيد وغير مفيد، وصالح وطالح. فيكون الأخذ بالنافع وطرح الضار، والاستفادة من المفيد وتجاوز غير المفيد، واستخدام الصالح والاستغناء عن الطالح. هذه المرحلة الثانية من خطوات البحث العلمي هي فرز المعلومة ذات العلاقة عن تلك التي لا علاقة لها بالموضوع.

- الفؤاد هو إنتاج المعلومة، أو المعرفة والعلم، أو التقنية. ويقول – رحمه الله – إن من جاز المراحل الثلاث وجبت له قيادة الأمم. من بداهة القول إن كل هذه الملكات أساسها العقل. فبدون التفكير لا يمكن حتى تجاوز مرحلة السمع. ويرتقي التفكير فيما بعد إلى المستوى الأعلى بحسب استخدامه في المرحلة.

لعل هذه الدراسة الأولية تضع يدها على الآلية – طريقة ووسيلة – التي تدفع إلى تحقق تخريج مفكرين منتجين. الوسائل عديدة وفعالة جربتها الأمة في مدارسها ومعاهدها وكلياتها وجامعاتها. فنظريات التعلم عديدة ومتنوعة بعضها جُرِّب ونجحت التجربة وبعضها ما زال في بطون الكتب أو على رفوف مراكز البحوث التربوية. فقد ذكر – على سبيل المثال – هيلجرد وباور Bower and Hilgard (١٩٧٥م) ما لا يقل عن ١٢ نظرية للتعلم. قبل الخوض في محور البحث لعلنا نقف قليلاً لنشرح بإيجاز مفهومنا عن التعلم. فما هو التعلم؟

ما هو التعلم؟

أحد مفاهيم التعلم أنه تحصيل للمعرفة والمهارات والخبرات ومعاني الخبرات. طرق اكتساب المعرفة لدى الإنسان عديدة ونظرياتها كثيرة تبحر فيها المفكرون وبحثها علماء النفس المحدثون بحثًا مستفيضًا. نذكر من أشكال التعلم: التعلم الترابطي، التعلم الكامن أو المستتر، التعلم الحيِّزي أو الفضائي، التعلم المهاري، التعلم الاستقرائي والاستقصائي، التعلم الاستدلالي والاستنتاجي، التعلم بالتقليد، والتعلم بمساعدة الحاسوب والتعلم الإلكتروني. فما هو التعلم الإلكتروني؟

جرت محاولات عديدة للسير بالتعلم على قاعدة إحراز الفهم والاستيعاب عند المتعلم، فنجح بعضها وتحول بذلك محور عملية التعلم والتعليم إلى الطالب وليس المعلم والمادة أي المحتوى. فكان منطقيًا بعد ذلك أن ينظر إلى التعلم على أنه اكتساب الخبرة عن طريق التجربة الحية.

التعلم بالخبرة

يتأثر الإنسان بما يحيط به ويؤثر فيه. وهو يكتسب خبرة عندما يربط بين «التأثر والتأثير أو بين ما عمله وما حدث له، أو بين الأسباب والنتائج». (سرحان، ١٩٨١م) قامت مدارس تجريبية عديدة تدعو إلى التعلم باكتساب الخبرة، تحولت بعضها بعد نجاح التجربة إلى مدارس الخبرة. لم تكن النقلة بين القديم (التعلم بالحفظ والتسميع والتدريس بالتلقين) وبين الجديد (التعلم بالخبرة والتدريس بالتجريب) مباشرة بل توسطت عدة محاولات لتأسيس مدارس أساس بعضها فكر فلسفي تربوي كما عند الفيلسوف التربوي الأمريكي ديوي Dewey، وبعضها أساسه

مفاهيم من علم النفس كما عند بياجيه وسكنر Piaget and Skinner، وغيرها كما في تجربة مونتيسوري في اللعب.

يواجه الإنسان الموقف الجديد الذي يطرأ عليه بكل كيانه. تتوقف المواجهة العقلية للموقف الجديد على رصيد الخبرة السابقة لديه. توضح المعادلة التالية الخبرة أو التجربة الحية:

الخبرة (التجربة الحية) = المعرفة + العمل

أي المعرفة والعمل والتجريب. وقد ورد في الأثر أن العلم لا ينفك عن العمل. وللإمام الجرجاني (المتوفى سنة ٨١٦ هـ) إشارة إلى هذا المعنى بقوله في كتاب التعريفات: إن المعرفة هو ما يستلزم تصوره اكتساب الشيء بكنهه أو بامتيازه عن كل ما عداه، والعلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع. حمل الصفدي(١٩٨٧) مفهوم المطابقة لحصول العلم هذا، لا ليشمل تحصيل المعرفة والمهارات والخبرات فحسب، بل ومعنى الخبرة (ص ١٦٨).

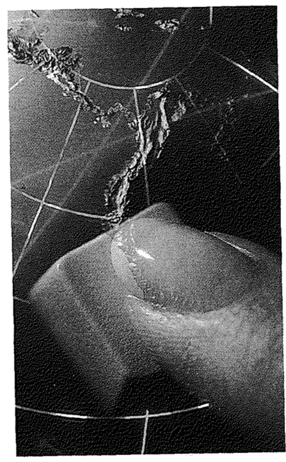
التعلم بمعنى الخبرة

لا يكفي في هذا المفهوم من التعلم تحصيل المعرفة والعمل بها لاكتساب الخبرة، بل يجب أن يعرف المتعلم معنى هذه الخبرة. (نوفاك، Novak، ١٩٧٤م) على سبيل المثال، يعرف طالب في علم الكيمياء أن الحمض مادة حارقة لذلك فهو يكوّن خبرة أن غطاء وعاء الحمض لا يوضع على طاولة المختبر، لذلك فهو يضع الغطاء بين إصبعيه السبابة والوسطى. في التعلم بمعنى الخبرة يتعلم الطالب أن وضع غطاء الحمض على الطاولة سيتسبب بضرر للطاولة. وكذلك يدرك المهندس الميكانيكي النظرية العلمية للآلة التي أتى بها العلم البحت إلى جانب خبرته العملية مع منظومة الآلة. أشرنا إلى تعبير التقنية الصلبة بالآلة.

التعلم هو إحراز معنى الخبرة. هذا هو مفهومنا عن التعلم. فلا يكفي أن يكون التعلم الحفظ والتسميع والتدريس بالتلقين. إلا أنه رغم محاولات التطوير التي شاهدناها أخيرًا فلا زال تقليد الحفظ والتسميع والتلقين يطبق في غالبية مدارس عالمنا العربي. بهذا المفهوم إذا أجاب الطالب على سؤال الاختبار بما هو منصوص في محتوى المادة الدراسية فقد تعلم. بمعنى آخر معنى التعلم، إذًا، هو: تحصيل المعرفة عن طريق الحفظ والتسميع. إن محور التعلم - وهو الأساس - لم يتمكن منه الطالب ولم يفهمه إلا على أنه إجادة ترديد المحتوى. اعتقد الكثيرون أننا تجاوزنا هذه المرحلة وتحول المحور من المدرس والمحتوى إلى الطالب والفهم. لا نرى تحولاً كبيرًا، بل إن تقليد الحفظ والتسميع جذوره راسخة وممتدة ليس من السهل التحول عنه. إن الأسباب عديدة لعل من أهمها ارتياح المدرسين والقيادة التعليمية إلى الوضع القائم.

جرت محاولات عديدة للسير بالتعلم على قاعدة إحراز الفهم والاستيعاب عند المتعلم نجحت بعضها. تحول بذلك محور عملية التعلم والتعليم إلى الطالب وليس المعلم والمادة أي المحتوى. فكان منطقيًا بعد ذلك أن ينظر إلى التعلم على أنه اكتساب الخبرة عن طريق التجربة الحية. تطوّر ذلك فيما بعد إلى مفهوم التعلم بمعنى الخبرة.

فالمتعلم يسير بخطوات التعلم باكتساب المعرفة وتطبيقها وإدراك خلفية الخبرة ومعناها. خير ما يساعد على هذا التعلم المستمر أن يصل المتعلم إلى المصدر واستقاء المعلومة مباشرة دون وسيط



كالمدرس. وهذا ما يوفره الإلكتروني حين يجلس الطالب أمام شاشة الحاسوب ويسبح في محيط المعلومات الزاخر عن طريق الشبكة العنكبوتية.

التعلم الإلكتروني

التعلم الإلكتروني موجود حولنا في المدارس، الكليات، الجامعات، المراكز الاجتماعية، في مكان العمل، وفي المنزل. إذا تعلم شخص ما بطريقة استخدام المعلومات والاتصال فإنه يستخدم التعلم الإلكتروني.فالتعلم الإلكتروني، إذًا، هو طريقة استخدام الإنسان لتقنية المعلومات والاتصال. قد يكون هذا الشخص طفلاً في مرحلة الروضة يلعب لعبة تفاعلية، وقد يكونون مجموعة طلاب يتعاونون في مشروع مع طلاب من بلد آخر عبر الإنترنت، أو مجموعة طلاب يشاهدون رسمًا متحركًا لثورة بركان حمّله مدرسهم للتو في الحاسوب (الكومبيوتر) - كل ما سبق من التعلم الإلكتروني.

بهذا المفهوم البسيط والعميق قامت وثيقة التشاور التي أصدرتها إدارة التعليم والمهارات في المملكة المتحدة Department for Education and Skills in UK " Towards a Unified e-Learning Strategy" - Consultation Document 2003.

ببحث مفهوم التعلم الإلكتروني. وهي بحق وثيقة دقيقة وموثقة علميًا وتربويًا. حاولنا قدر الإمكان فهمها وترجمة محتوياتها إلى اللغة العربية مع التصرف مراعين إيراد أهم نقاطها ومعالجاتها نظرًا لطولها وضيق مساحة البحث العربي. قد يكون هذا الإجراء فوّت بعض النقاط الهامة خاصة في الأمثلة والتجارب مما يدفعنا للاعتذار عن أي تقصير. بدأت الوثيقة بالمفهوم العميق السابق إلا أنها أوضحت أن التعلم الإلكتروني ليس من نوع تطوير التقدم الذاتي (وإن كان ممكنًا) الذي تستطيع القيام به المنظمات والأفراد فرديًا، لذا يتكرر كثيرًا في الوثيقة الحض على التعاون. وبررت تصميمها الاستراتيجي بقولها: «لما لم يكن التعلم الإلكتروني الذي يمس حياة كل فرد متعلم مرسخ في تدريسنا وتعلّمنا على جميع المستويات فقد دعت الحاجة إلى تصميم استراتيجية تعين على تشكيل رؤية تعلم مستقبلية وتقترح كيفية تحقيق الرؤية».

مضت الوثيقة بعد إقرار هذا المبدأ العام إلى تفصيل الموضوعين الرئيسين: التعلم الإلكتروني والاستراتيجية. شرحت في الفصل الأول ماهية التعلم الإلكتروني وأهميته وقيمته وفوائده. ثم بينت في الفصل الثاني الحاجة إلى استراتيجية للتعلم الإلكتروني. أما الفصل الثالث فيشرح بالتفصيل صفة الرؤية المستقبلية، ومبادئ الاستراتيجية، وكيفية تحقيق التطلع. ناقشت الفصول السبعة التالية مجالات العمل لتطبيق التعلم الإلكتروني والابتكار مع ذكر تجربة تطبيقية جارية لكل مجال. انتهت الوثيقة إلى بيان سبيل إدراك الهدف باستراتيجية ديناميكية- كيفية تطبيقها، دعم الاستراتيجيات الأخرى لتطوير تقنية المعلومات والاتصال، الجدول الزمني للتنفيذ، التمويل، وتقييم الاستراتيجية. وأرفقت بالوثيقة ستة ملحقات تناولت مواضيع شتى لها علاقة وثيقة بالمحتوى. ختمنا نحن الملخص العربي لوثيقة التشاور هذه بطرح توصيات لكيفية إسقاط هذه التجربة الفريدة على مجال التعلم في دول الخليج والدول العربية.

أهمية التعلم الإلكتروني

يساعد التعلم الإلكتروني على إتقان مهارة ما، وسهولة الدراسة، وطبعًا التمتع بالتعلم. كما تأتي أهميته من أنه يساهم في جميع المشاريع الحكومية في التربية من مثل: تحسين المستويات، تحسُّن الجودة، إزالة معوقات التعلم والمساهمة في التعلم، الإعداد للتوظف، زيادة المهارة في مكان العمل، وضمان أن يحرز المتعلم كامل إمكانياته. إلا أن التعلم الإلكتروني ليس مرسخًا في تدريسنا وتعليمنا على كل مستوى. نحن بحاجة إلى استراتيجية التعلم الإلكتروني الذي يمس حياة كل فرد متعلم.

فيما يلي بعض من الأسباب التي ترى الوثيقة أنها تبرز أهمية التعلم الإلكتروني:

- التعلم الإلكتروني هو طريقتنا في التدريس والتعلم، إلا أنه لا يحل بأي حال من الأحوال محل المدرس والمحاضر، ولكنه إلى جانب الطرق القائمة يعزز الجودة ويقلل النفقات الإدارية. كما أن هذا النوع من التعليم يُمكِّن المتعلم من بلوغ طاقته الكامنة، ويساعد في بناء قوى تعليمية عاملة مؤهلة للتغيير.

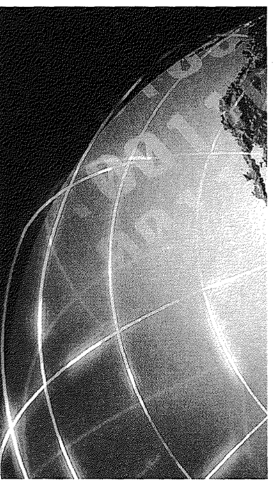
- التعلم الإلكتروني هو تحسين الجودة التعليمية باستخدام الحاسوب المتفاعل، والاتصال مباشرة عبر الإنترنت، ونظام معلومات، بطرق لا تماثله فيها طرق التدريس الأخرى. لذلك فهو مناسب لجميع المقررات والمتعلمين في كل مرحلة من مراحل التعلم والتدريب.
- يستطيع التعلم الإلكتروني الإسهام في بعض أكثر الأهداف تحديًا لما تضمنته الاستراتيجية، من هذه الإسهامات:
- رفع المستوى وتحسين الإدراك.
- زيادة الاحتفاظ (الاستبقاء) retention وتحسين الناتج.
- توسيع الخيارات.
- توفير المساعدة للطلاب الذين هم في مرحلة الخطر (أي معدلاتهم ضعيفة).
- زيادة وصول المجتمعات المتخلفة إلى التعلم باستخدام أدوات ومساعدات ذكية تجعل الإنترنت شخصيًا، وتربط المتعلم بمتعلمين آخرين، وتقلل الانعزالية.
- إزالة معوقات الإنجاز بتوفير طرق جديدة مبتكرة لتحفيز وإشراك جميع قدرات المتعلمين. وتُمكن، بذلك، وتُلهم كل واحد منهم على إحراز طاقته الكامنة.
- تقليل أعداد الكبار الذين ليس لديهم مؤهل المرحلة الثانية (المتوسطة).
- التأكيد على مساهمة أكبر، وعلى وصول أكثر عدلاً للدراسات العليا.

قيمة التعلم الإلكتروني

للتعلم الإلكتروني قيمة عظيمة لخصتها الوثيقة في النقاط التالية:
- يساعد التعلم الإلكتروني في تحسين المعايير وإحرازها.
- أصبح المتعلمون أكثر حنكة في توقعاتهم عما يحققه التعلم الإلكتروني. كما أن هناك زيادة ملموسة في اختراق تقنية المعلومة والاتصال الحياة الجامعية.
- يوجد طلب متزايد من المتعلمين الذين يرغبون في أشكال مرنة من الدراسة وبرامج التعلم تلبي حاجاتهم.
- هناك إدراك واسع الانتشار من أن التعلم الإلكتروني مهم للتعليم.
- تُطوّر العديد من المنظمات استراتيجية التعلم الإلكتروني إلى جانب تطوير استراتيجيات التوصيل الإلكتروني في الدوائر الحكومية.

فوائد التعلم الإلكتروني

لعل أهم نفع للتعلم الإلكتروني هو تمكين المتعلمين والمدرسين. ومن الفوائد الأخرى:
- ارتباط الموقع الاستراتيجي في الشبكة العنكبوتية بالعديد من الدراسات المهمة التي تقوم بها الحكومة ومجموعات البحث بالجامعة.
- ارتباط فوائد التعلم الإلكتروني بعالم العمل المتغير إذ أصبح الاتصال مباشرة عبر الإنترنت on-line وبشكل متزايد جزءًا من الحياة اليومية. لذلك كان على التربية إظهار صورة التغيير هذه وبناء المهارات اللازمة للتوظف والتنافس الدولي إلى جانب الجودة في الحياة والمواطنة.
- يُحسّن التعلم الإلكتروني الجودة التعليمية ويزيد في خبرة المتعلم وتمتد هذه الجودة لتصل لكل مدرس ومحاضر، من ذلك:
خبرة التعلم الذاتية (الفردية)؛ التعلم التعاوني؛ عالم التعلم الواقعي؛ التعلم المرن الذي يوفره التعلم الإلكتروني عند الطلب في أي زمان ومكان. ويمزج هذا التعلم بين الطرق التقليدية والمبتكرة بحيث تفي بحاجات المتعلمين.
- ممارسة اجتماعية مباشرة حين يجمع الإنترنت المتعلمين، والمدرسين، والخبراء والاجتماعيين الخاصين، والممارسين (الأطباء والمحامين)، ومجموعات الإنترنت للاشتراك بآرائهم وممارساتهم الجيدة وذلك للمساهمة في معلومات وتعلم جديدين.
- الجودة في المقياس النسبي عندما يُنتج التعلم الإلكتروني اقتصادًا في الميزان النسبي عن طريق وصول عريض للمصادر الرقمية مع جودة في الأدوات والمصادر المشتركة، ومعايير عامة في التصميم والفاعلية.
- استغلال كل هذه القدرات إذا استطعنا معرفة كيفية إحراز الغاية من استراتيجية تعلم إلكتروني موحد. إحراز كامن جميع المتعلمين، وقوى تغيير تعليمية مكينة.



الضعف والعوائق

هناك العديد من الأمثلة لنجاح التعلم الإلكتروني في مدارسنا، كلياتنا، وجامعاتنا، ولكنها نجاحات ليست عالمية. فنحن نقدر أن ١٥٪ فقط من المدارس (في المملكة المتحدة) تحصد المنافع بطريقة شمولية. كما أن وصول المدرسين إلى التقنية محدود، إلا أن الوثيقة بينت أن الوصول الشخصي - أي قيام المدرس بجهد ذاتي - له أثر كبير على جودة تدريس تقنية المعلومات والاتصال.

يوجد ضعف نظامي تجب معالجته هذه بعض ملامحه:

- لا يزال القياديون التربويون غير منهمكين انهماكًا كاملاً في استغلال التعلم الإلكتروني في مؤسساتهم، فهم بحاجة إلى دعم إضافي يستطيعون به قيادة وإدارة متحديات التغيير التي تتضمنها العملية.

- تقود التقنية التغيير بخطوات سريعة. نتيجة لذلك يتدنى الاهتمام باستكشاف أشكال جديدة من أصول التدريس التي يوفرها التعلم الإلكتروني - فالمدرسون والباحثون بحاجة إلى دعم أكبر إذا كانوا سيواكبون سير تقنية التغيير السريع.

- لا يزال زمن التدريب قصير والمكافأة ضئيلة للمدرسين والمحاضرين الذين يرغبون في تبني التعلم الإلكتروني.

- التعاون بين القطاعات (العامة والخاصة) في دعم المتعلمين وهم يتحركون خلال النظام التعليمي.

- لدينا سوق مصادر تدريس وتعلم رقمي متخلف حاليًا.

- يمثل التعلم الإلكتروني للتربويين أنواعًا جديدة من مشاكل المعايير الفنية والجودة - نحن بحاجة إلى معايير مشتركة لتأكيد أن تقنية التعلم الإلكتروني البرمجية متوفرة وقابلة للاشتراك بها.

الموقف العربي في التعلم الإلكتروني

انتهى بذلك التلخيص الموجز لوثيقة التشاور لإدارة التربية والمهارات مع التصرف من الباحث. ونورد فيما يلي رأينا في الخطوات اللازمة للتخطيط وتنفيذ استراتيجية تعلم إلكتروني في دول الخليج وخاصة المملكة العربية السعودية.. توجد محاولات جادة في العديد من الدول العربية لتطبيق التعلم الإلكتروني إلا أن معظمها محصور في المؤسسات والمدارس الخاصة. فكثير من التعلم الإلكتروني الجاري الآن ليس من نوع تطور التقدم الذاتي. يشبه ذلك أن تكون الوحيد الذي يمتلك هاتفًا جوالاً، إلا أنك لا تستطيع إحراز كامنه حتى يستخدمه أغلب الناس. لذلك لم يكن التعلم الإلكتروني مرسخًا في تدريسنا وتعلمنا.

التطلع إلى مستقبل للتعلم الإلكتروني

تصور ما يستطيعه نظامنا التعليمي في دول الخليج القيام به إذا كان وقوده التعلم الإلكتروني. فنحن نتطلع إلى نظام تعليم نهدف إليه فيما بعد العقد القادم، وقدرات يؤججها التعلم الإلكتروني. لذلك فإن الهدفين الأساسيين اللذين نطمح إلى الإعداد لهما من خلال استراتيجية في التعلم الإلكتروني هما: إحراز كافة المتعلمين لطاقتهم الكامنة، وقوى تعليمية عاملة متمكنة من أجل التغيير. استراتيجية التعلم الإلكتروني استراتيجية تتطلع إلى سنوات ما بعد العقد القادم. قد تطول وتقصر فسحة العقدين. يتوقف الأمر على مدى الجدية في تبني التعلم الإلكتروني. الخطر القادم ملامحه واضحة ألا

وهو التطور السريع لتقنية المعلومات والاتصال. لذلك فما لم يكن البدء وترسيخ التعلم الإلكتروني سريعًا وفورًا فلن ننجح في مواكبة عالم دائم التغير.

تحقيق التطلع

تدعو الحاجة لتحقيق التطلع إلى ملاحظة جوانب عديدة، أهمها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: عقد العزم على البدء - يتم تحقيق أي حلم بالخطوة الأولى من عقد العزم وبذل الجهد.

ثانيًا: تطوير تقنية المعلومات والاتصال - أصبح الحاسب الآلي والجوال وتقنيات المعلومات والاتصال الأخرى، وبرمجيات ومواد تكنولوجيا التعليم، من صلب حياتنا اليومية والتعلمية والتدريسية، يتعامل كثير من الناس في عالمنا اليوم مع الحاسب الآلي، والإنترنت، والهاتف الجوال: كما يتعامل المختصون مع الليزر؛ إلا أن هذا التعامل يعتبر تعاملاً متدنيًا إذا قورن بتعامل الشعوب الأخرى المتقدمة والمكتشفات الحديثة في تقنية المعلومات والاتصال. لذلك، فنحن بحاجة إلى تطوير تقنيات هذه الوسائل والخدمات إن أردنا أن نستخدمها في التعلم الإلكتروني.- حتى لا نكون مستقبلي معلومات ومستهلكي تقان ونبقى في مرحلة السمع.

ثانيًا: تغيير جذري في فهمنا للتقنية وتعاملنا معها، ومن ثم إنتاجها- يأتي هذا التطلع والتأمل من فهمنا للآية الكريمة في القرآن العظيم على أن السمع والبصر والفؤاد المسؤول عنه الإنسان هو: السمع: تقبل المعلومات وسماعها، والبصر: فرز المعلومات لصالح وطالح ومفيد وغير مفيد وأخذ الأول وطرح الآخر، والفؤاد هو إنتاج الفكر أو المعلومات وإنتاج التقنية.

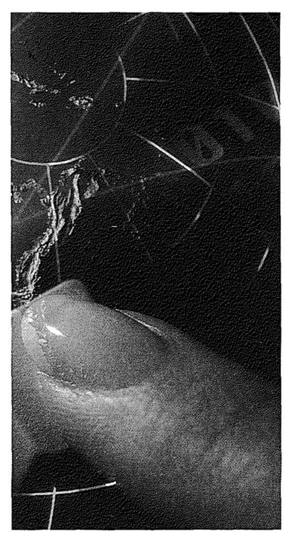
وفيما يلي مقترحات لقيام التعلم الإلكتروني المرغوب وتقنينه على البيئة الخليجية والعربية عامة:

التعلم الإلكتروني

نعتقد أننا لدعم الخطوة الأولى بحاجة إلى البدء الجاد بوضع استراتيجية مقننة على دول الخليج والدول العربية لنشر التعلم الإلكتروني وتشجيعه وممارسته.

المتعلمون المتمكنون

يستطيع الناس المتعلمون من جميع الأعمار



تحمل مسؤولياتهم للطريقة والكيفية التي يتعلمون بها محرزين غاياتهم الخاصة وتعليم حياة مستمر.

الابتكار والتجديد

يجب أن يكون التدريس أكثر ابتكارًا مطوِّرًا طرق تدريس وتعلم جديدة لمجتمع القرن ٢١ العالمي.

المرونة

يجب أن يتكيف نظام التعليم مع احتياجات جميع المتعلمين كيفما احتاجوا وحيثما وجدوا في الحرم المدرسي، في المنزل، أو في مكان العمل.

القيمة

يجب إحراز قيم أفضل تُطوِّر القيادات التعليمية طرقًا مبتكرة لنشر مصادرهم، واستغلال التعلم الإلكتروني إلى جانب طرق تدريس أخرى لإحراز مقياس جودة واقتصاد نسبي.

القوى التعليمية العاملة

توليد قوى عاملة مهنية ومواطن منجز.

البرامج الأولية

جميع المواد الدراسية مؤهلة لأن تُعلّم بالتعلم الإلكتروني. إلا أنه يُقترح البدء ببرنامج في الرياضيات والعلوم، والتربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة. اختيار المواد في هذه المجالات المختلفة والمرحلة الدراسية يضفي على التجربة التنوع وإمكانية الشمولية في استخدام تقنية المعلومات والاتصال والتوسط في السلم التعليمي..

الخبرات المحلية والعالمية

اكتسبت بعض الشركات المحلية والخليجية، ومؤسسات عالمية، خبرات واسعة في تقنيات المعلومات والاتصال والتعلم الإلكتروني إلى جانب أنها تمتلك برمجيات ومواد تعليمية واستراتيجيات. الاستعانة بهذه الشركات سيوفر جهد التخطيط والمواصفات. ويجنب الوقوع في أخطاء ردود الفعل العكسية.

البحوث والتطوير

وذلك لابتكار ما هو جديد ليخدم احتياجات الميدان، وتوجيه العاملين في الميدان لاستخدام الطرق والتقنيات الجديدة في التعليم. ويقتضي ذلك حتمًا التعاون مع أعضاء هيئة التدريس والمراكز العلمية في الجامعات والمؤسسات العلمية الأخرى.

وبعد، لعلنا بهذا التطلع نحقق حلم النهضة التعليمية ونقدم لمتعلمينا آلية العيش في القرن الحادي والعشرين.■

المراجع العربية

- البوطي، محمد سعيد. كبرى اليقينيات الكونية..ط ٢. (١٣٨٩ هـ). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف. (٧٤٠-٨١٦ هـ). التعريفات. بيروت: مكتبة لبنان. ١٩٦٩.
- سرحان، الدمرداش عبدالمجيد. (١٩٨١م). المناهج المعاصرة. الكويت: مكتبة الفلاح.
- الصفدي، أحمد عصام. (١٤١١هـ - ١٩٩١م). تصنيف المعرفة والعلوم في ضوء خصائص الأمة الإسلامية. الرياض: المطابع الأمنية وجامعة الملك سعود.
- الصفدي، أحمد عصام. (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م). «التعلم العقلي وأثره في بناء الشخصية». الرياض: مجلة جامعة الملك سعود م ٢. العلوم التربوية (١). ص ٣٢٥-٣٥٣.
- الصفدي، أحمد عصام. (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م). «العيش في القرن ٢١: تطبيق استراتيجية تعلم إلكتروني موحد». عرض في المؤتمر الرابع لتطبيقات التعلم الإلكتروني. القاهرة: الجامعة الأمريكية في القاهرة.
- فلاتة، مصطفى بن محمد عيسى. (١٩٨٨). المدخل إلى التقنيات الحديثة في الاتصال والتعليم. الرياض: جامعة الملك سعود.
- المغبرة، عبدالله بن عثمان. (١٩٨٩). طريق تدريس الرياضيات. الرياض: جامعة الملك سعود.
- المودودي، أبو الأعلى. (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م). المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم، جمعه وقدّم له وعلّق عليه محمد مهدي الاستانبولي. بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي.
- نوفاك، ج. وبوب جوين (١٩٩٥). تعلم كيف تتعلم. ترجمة أحمد عصام الصفدي وإبراهيم محمد الشافعي. الرياض: جامعة الملك سعود.

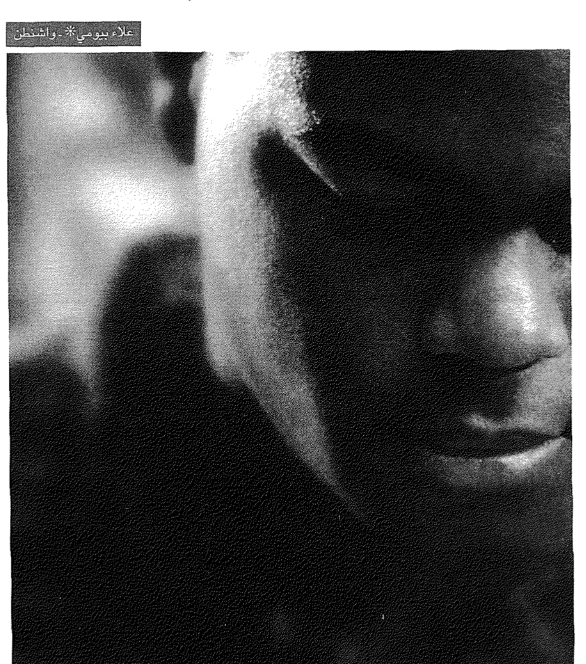
المصادر والمراجع الأجنبية

- Brown, A. L., and J. C. Campione (1990). Communities of learning and thinking, or a context by other name. In D. Kuhn, Ed., Development Perspectives on Teaching and Learning Thinking Skills, Basel: Karger, pp. 108126-.
- Dunbar, K., (1995). How scientists really reason: scierntific reasoning in real-world laboratories. In R. J. Stermberg and J. E. Davidson, Eds., The Nature of Insight. Cambridge,MA: MIT press, pp. 365395-.
- Ericsson K. A. and A. C. Lehmann (1996). Experts and exceptional performance: evidence on maximum adaptation on task constraints. Annual Review of Psychology 47: 273305-.
- Gelman, R. (1993). A rational-constructivist account of early learning about numbers and objects. In D. Medin, Ed., Learning and motivation. New York: Academic Press.
- Hilgard, E. and G. H. Bower, (1975). Theories of Learning, 4th. ed.. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
- Nasr,Syed Hossein, (1968). Science and Civilization in Islam. Cambridge,MA: Harvard University Press.

في الولايات المتحدة الأمريكية

٪٤٣ يؤيدون التعليم المنزلي

علاء بيومي* - واشنطن



* مدير الشؤون العربية في منظمة كير العالمية .

الانتشار السريع لظاهرة التعليم المنزلي في أكبر الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة - محور تركيز هذا المقال - خلال العقدين الماضيين يصعب إهماله من قبل الباحثين المتابعين للتطورات الثقافية والاجتماعية التي تمر بها المجتمعات الغربية خلال الفترة الحالية لما للظاهرة من معان متعددة ومترابطة مع التحديات الثقافية والاجتماعية التي تواجهها تلك المجتمعات في أوائل القرن الحادي والعشرين.

من لا يدرك حجم نفوذ وانتشار حركة التعليم المنزلي بأمريكا فيمكن توعيته بأن عدد تلاميذ المنازل في أمريكا يتراوح حاليًا بين مليون ونصف ومليوني طالب، وهو ما يعادل ٣ إلى ٤ ٪ من إجمالي عدد تلاميذ المدارس بأمريكا، و١٥٪ من عدد التلاميذ الأمريكيين الذين لا يدرسون بالمدارس العامة، ونسبة لا يستهان بها يقدرها البعض بربع الأسر الأمريكية التي لديها أبناء والتي لا تعمل فيها الأم خارج المنزل.[١]

أكثر من ذلك تشير الدراسات المعنية بهذه الظاهرة إلى أن حركة التعليم المنزلي تنمو بسرعة كبيرة، إذ يرى البعض أن عدد طلاب المنازل في أمريكا لم يتعد ١٠ آلاف طالب في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن العشرين، كما أنها لم تتعد ٥٠ ألف طالب في عام ١٩٨٥م، ولكن مع مدخل عقد التسعينيات قفز العدد ليتراوح بين ٢٥٠ إلى ٢٥٥ ألف تلميذ، وخلال الفترة من عام ١٩٩٠م وحتى عام ١٩٩٦م تضاعف عدد تلاميذ المنازل ليصل إلى ٧٠٠ ألف تلميذ، وهو ما يعني أن الظاهرة تنمو بمعدل سنوي سريع يصل إلى ١٥٪ سنويًا.[٢]

ناهيك عن نمو تأييد الرأي العام الأمريكي للظاهرة، إذ تشير استطلاعات الرأي العام الأمريكي إلى أن نسبة تأييد الأمريكيين للتعليم المنزلي في منتصف الثمانينيات لم تتعد ١٦٪، في مقابل نسبة معارضة تصل إلى ٧٣٪ من الأمريكيين مما يعبر عن الضغط النفسي والثقافي الكبير الذي كان يتعرض له الآباء الذين يريدون تعليم أبنائهم بالمنازل خلال تلك الفترة التاريخية غير البعيدة.[٣]

ولكن نسبة التأييد سرعان ما ارتفعت لتصل إلى ٢٨٪ في أواخر الثمانينيات، وإلى ٣٦٪ في عام ١٩٩٧م، في حين انخفضت نسبة المعارضة لتصل إلى نسبة ٥٧٪ في عام ١٩٩٧م، وهو ما يشير إلى أن الرأي العام الأمريكي يسير في طريق المزيد من القبول بظاهرة التعليم المنزلي خاصة منذ النصف الأخير من الثمانينيات والذي شهد قفزة في أعداد الأسر الأمريكية الراغبة في تعليم أبنائها بالمنازل، وهي الفترة التي شهدت – كما سنشرح بالتفصيل فيما بعد – زيادة اهتمام الجماعات الأمريكية المسيحية المتدينة بتعليم أبنائها بالمنازل مما أعطى الحركة قوة دفع كبيرة.

هذا إضافة إلى قيام حوالي ٢٠ ألف أسرة كندية بتعليم أبنائها بالمنازل، إضافة إلى انتشار الظاهرة في اليابان وفي دول أوربية وغربية أخرى عديدة.[٤]

بداية عودة التعليم المنزلي في أمريكا

تشير الدراسات المعنية إلى أن عقد الخمسينيات من القرن الماضي هي فترة عودة ظاهرة التعليم

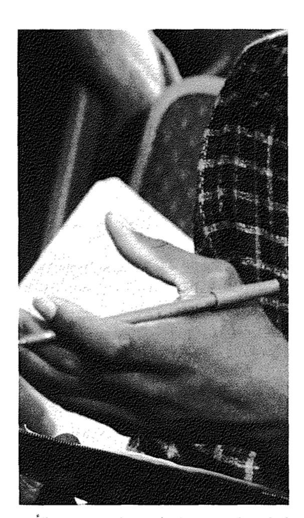
المنزلي للانتشار في أمريكا، وهنا تؤكد الدراسات المختلفة أن التعليم المنزلي ليس ظاهرة جديدة، فهو ظاهرة قديمة قدم الحضارة البشرية وذات تاريخ حضاري أطول بكثير من تاريخ نظام التعليم المدرسي العام الإجباري الذي يسيطر على النظم التعليمية حاليًا في مختلف دول العالم والذي لم ينتشر إلا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وهي فترة قصيرة جدًا مقارنة بعمر ظاهرة التعليم المنزلي التي كانت البديل الرئيس للتعليم عبر العالم على مدى قرون، والتي استطاعت إنتاج فلاسفة وعلماء وأدباء عظام يصعب على العالم إعادة إنتاجهم اليوم.

الطريف هنا أن عودة ظاهرة التعليم المنزلي في أمريكا ارتبطت بالثورة الثقافية الأمريكية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وهي ثورة رفضت المؤسسات والتقاليد الثقافية والاجتماعية القائمة، مما دفع بعض الأسر الأمريكية – يقدر عددهم بحوالي ١٠ آلاف أسرة – إلى التوقف عن إرسال أبنائهم إلى المدارس العامة أو الخاصة والسعي لتعليمهم في المنازل سعيًا إلى غرس القيم الليبرالية فيهم والتي تفتقدها المدارس العامة كما رأت هذه الأسر.(٥)

ولكن مع انتشار القيم الليبرالية الجديدة في المجتمع الأمريكي خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات، وانتشار الحركات المسيحية المتدينة كرد فعل على انتشار قيم اليسار الأمريكي الجديد، بدأت أعداد متزايدة من الأسر الأمريكية المتدينة في الانضمام إلى حركة تعليم الأطفال بالمنازل.

وفي عقد التسعينيات دخلت المعادلة مجموعة جديدة من الأسر الأمريكية وهي الأسر التي يمكن تسميتها بالجيل الجديد من الأقليات والتي رأت أن التعليم العام لا يتمتع بقدر كاف من التعددية الثقافية والدينية، ونظرًا لتمتع نسبة جديدة من أبناء هذه الأقليات بمستويات تعليمية واقتصادية مرتفعة نسبية رفضت هذه الأسر إرسال أبنائها إلى المدارس العامة أو الخاصة وفضلت تعليم أبنائها منزليًا، ويعد المسلمون الأمريكيون جزءًا من هذا الجيل الجديد.(٦)

هذا إضافة إلى مجموعة رابعة من المجموعات



الرئيسة المكونة لحركة التعليم المنزلي، وهي الأسر التي رفضت إرسال أبنائها للمدارس لا لأسباب أيديولوجية أو ثقافية أو اجتماعية رئيسة ولكن لاعتقاد هذه الأسر أن نظام التعليم العام والخاص ليسا جيدين بالشكل الكافي لمساعدة أبنائهم على التحصيل العلمي الجاد خاصة في حالة كون هؤلاء الأبناء من المبدعين أصحاب القدرات العلمية الخاصة.

وتشير إحدى الدراسات إلى أن إحصاء أجرته إدارة التعليم بولاية فلوريدا – للوقوف على الأسباب التي تدفع الأسر التي تعلم أبناءها بالمنازل بولاية فلوريدا إلى اتباع هذا الأسلوب التعليمي – توصل إلى أن ٤٢٪ من هذه الأسر لم تكن راضية عن بيئة المدارس العامة لانتشار العنف والمخدرات والضغوط الاجتماعية بتلك البيئة، في حين ذكرت ٢٧٪ من الأسر أنها فضلت تعليم أبنائها بالمنازل لأسباب دينية، وعبرت ١٦٪ من الأسر عن عدم رضاها عن أسلوب التعليم بالمدارس العامة.(٧)

لذا يرى البعض أن عدم الرضا عن نظام التعليم بالمدارس العامة لأسباب مختلفة أصبح يمثل السبب الرئيس المشترك وراء نمو وانتشار ظاهرة التعليم المنزلي.

دوافع التعليم المنزلي

يقسم عدد كبير من الدراسات المتنوعة عن دوافع الأسر الأمريكية تعليم أبنائها بالمنازل هذه الدوافع والأسباب إلى نوعين أساسيين: أولهما دافع أيديولوجي يرتبط برفض بعض الأسر إرسال أبنائها للمدارس العامة أو الخاصة لأسباب تتعلق برفض هذه الأسر للقيم التي تزرعها المدارس في أبنائها، أما الدافع الرئيس الثاني فهو تعليمي يرتبط بعدم رضا الأسر عن الخدمات التعليمية التي تقدمها المدارس العامة والخاصة على حد سواء.

وتشير دراسة أجريت عن أسباب انتشار التعليم المنزلي في كندا إلى تشارك المؤمنين بالأسباب الأيدلوجية وأنصار الدوافع التعليمية في عدد من الدوافع المشتركة، أولها شعور الفريقين بأن تعليم الأبناء في المنازل يقوي الروابط الأسرية لأنه يسمح للأسر معرفة المزيد عن أبنائها.(٨)

السبب الثاني هو مواجهة الثقافة المادية الاستهلاكية المنتشرة في المجتمع بما في ذلك بيئة التعليم العام والخاص بأمريكا وكندا.

السبب الثالث هو تجنب الخبرات التعليمية والنفسية السلبية التي قد يتعرض لها الطلاب بالمدارس، فعلى سبيل المثال في حالة تعرض طالب ما للتمييز على يد أحد مدرسيه بالمدرسة، فإنه يتحتم على هذا الطالب معاملة أستاذه المسيء على مدى عام كامل، في المقابل تتعامل الأسر مع أبنائها بشكل أكثر مراعاة لأحاسيسهم ولصحتهم النفسية.

السبب الرابع هو إيمان الأسر بأن تعليم أبنائها هو مسؤولية الأسرة وليس مسؤولية الدولة، ورفض تدخل الدولة في تربية الأولاد باعتباره أمرًا بعيدًا عن سلطة الدولة.

أضف إلى ذلك عددًا من الدوافع الأخرى المتنوعة مثل ازدحام الفصول الدراسية مما يضعف من قدرة المدرسين على الاستجابة لحاجات الأطفال التعليمية المتنوعة، والخوف من انتشار العنف

أما الأسر التي تنوي تعليم أبنائها في المنزل من الصغر وقبل إرسالهم إلى النظام المدرسي فهي في العادة أسر تمتلك قناعات فكرية قوية لأسباب دينية أو تعليمية أو أيدلوجية، أو بسبب معرفتها مبكرًا بنظام التعليم المنزلي وارتباطها ببعض الأسر التي تقوم بالفعل بتعليم أبنائها بالمنزل

والأخلاق السيئة بالمدارس، وتركيز التعليم المدرسي على الحفاظ والحصول على الدرجات بدلاً من تنمية حب الطلاب للفهم وطلب العمل كقيمة في حد ذاتها.

هذا إضافة إلى أن نمو تيار التعليم المنزلي وتطوره وزيادة الاعتراف به جعله بمثابة بديل متميز للتعليم المدرسي وليس مجرد رد فعل لرفض الآباء تعليم أبنائهم بالمدارس.

الحجج والحجج المضادة

هذا لا يعني أن نظام التعليم المنزلي لا يواجه انتقادات، فالواضح أن قرار التعليم بالمنزل هو قرار مازال صعبًا على الآباء، كما تنتشر بعض الحجج العامة الناقدة لصلاحية هذا البديل التعليمي، لذا رأينا أن نستعرض في هذا الجزء من المقال بعض الحجج المساندة والحجج المضادة لنظام التعليم المنزلي.(٩)

بالنسبة للحجج المساندة، يرى مناصرو التعليم المنزلي أنه نظام يتمتع بخصائص إيجابية عديدة على رأسها تقوية دور الأسرة الطبيعي في رعاية أبنائها، وتقوية عرى الروابط الأسرية والعائلية، كما أنه يؤكد أنماط التفاعل الاجتماعي الإيجابي، وهنا يميز مساندو نظام التعليم المنزلي بين أنماط التفاعل الاجتماعي السلبي والتفاعل الاجتماعي الإيجابي، ويردون على من يقولون بأن التعليم المنزلي يضعف قدرات الأبناء الاجتماعية بالقول

بأنه ليس كل أشكال التفاعل الاجتماعي هي أشكال مقبولة، فهدف التعليم المنزلي هو تقوية قدرات التفاعل الاجتماعي الإيجابي لدى الأبناء من خلال النشاط الدائم في عدد كبير من الفعاليات والأنشطة الاجتماعية الإيجابية والمفيدة والبعد عن التفاعلات الاجتماعية السلبية التي تمتلئ بها المدارس الأمريكية.

كما يقول مناصرو هذا التيار إن نشاط الأبناء في بيئة اجتماعية إيجابية يضمن لهم تكوين صور إيجابية عن الذات وعن الحياة الاجتماعية بما يضمن نموهم نموًا نفسيًا واجتماعيًا سليمًا.

الحجة الإيجابية الثالثة هي تركيز التعليم المنزلي على بناء شخصية الطفل وليس على التحصيل العلمي فقط، إذ يرى مناصرو هذا التيار أن التعليم المنزلي يسمح لهم بالتركيز على بناء شخصيات أطفالهم من خلال إنفاق قدر مناسب من الوقت والعملية التعليمية في غرس القيم الإيجابية في نفوس أبنائهم.

الحجة الرابعة تقول إن التعليم المنزلي يمكن المعلم (وهو أحد الأبوين وفي أغلب الأحيان الأم) من التركيز بشكل كاف على الاستجابة لحاجات أطفالهم التعليمية المتنوعة، فارتفاع عدد الطلاب بالمدارس يضعف من قدرة المدرسين على التكيف لاحتياجات الطلاب التعليمية المتنوعة، في حين أن التعليم المنزلي يسمح للمعلم بتصميم العملية التعليمية كلية بشكل يستجيب لحاجات الطالب التعليمية.

في المقابل يرى منتقدو نظام التعليم المنزلي أن هذا النظام يضعف من قدرة الأبناء على الاستعداد للحياة الواقعية المليئة بالمواقف المتنوعة بين الإيجابي والسلبي، فتفاعل الأبناء الخاضعين للتعليم المنزلي يقتصر في غالب الأحيان على جماعات معينة تتشابه في قيمها وأسلوب حياتها معها، وهو أمر لا يعد الأبناء بشكل كاف للتفاعل مع الحياة الواقعية المعقدة.

كما يرى أصحاب هذا التيار أن افتقار طلاب التعليم المنزلي لمناخ الفصل الدراسي يحرم الطلاب من الاستفادة من الكم الكبير من التعليقات والأفكار والتوجهات التي يطرحها زملاؤهم بالفصل والتي قد تساعد التلاميذ على التفكير بأسلوب مختلف في القضايا المطروحة أمامهم.

العائق الثالث هو افتقار التعليم المنزلي للموارد التي تتمتع بها المدارس مثل المنشآت الرياضية والرحلات والأجهزة والخبراء المدربين في نواح تعليمية مختلفة.

أضف إلى ذلك عامل رابع وهو الحرية الزائدة التي تتمتع بها أسر التعليم المنزلي والتي قد تؤثر على سير العملية التعليمية في حالة عدم تمتع تلك الأسر بالالتزام والكفاءة التعليمية المناسبتين، كما أنه قد يؤدي أيضًا إلى إضعاف قدرة التلاميذ على العمل تحت ضغط، فالتلميذ الذي يتعلم بالمنزل يتعود على بيئة متكيفة لحاجاته في حين أن الواقع مليئ بالمواقف الصعبة التي توجب على الإنسان التكيف مع احتياجات الآخرين والاستجابة للظروف الصعبة.

وفي نهاية هذه الجزء ينبغي علينا أن نذكر القارئ بأن لكل أسلوب تعليمي مزاياه وعيوبه.

في نهاية العام الدراسي يمر الأبناء باختبارات معينة تضعها الإدارات التعليمية بالولايات لتحديد مستواهم العلمي، وفي الغالب ينجح طلاب التعليم المنزلي في هذه الاختبارات بنسب نجاح تفوق الطلاب الآخرين

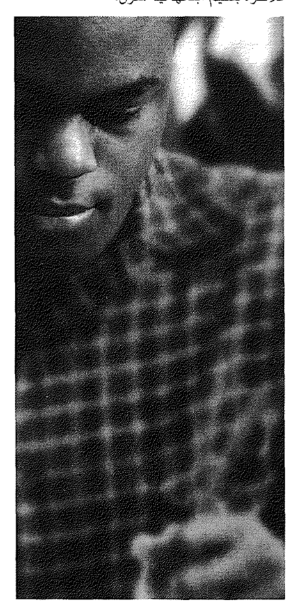
خصائص أسر التعليم المنزلي

من الصعب تحديد الخصائص المثالية الفريدة للأسر التي تعلم أولادها في المنازل، فالواضح – كما تشير الدراسات – أن هناك تنوعًا كبيرًا داخل حركة التعليم المنزلي.

وتؤكد إحدى هذه الدراسات أن قدرة أسرة ما على تعليم أولادها بالمنزل تتوقف على عدد كبير من

العوامل مثل وضع الأسرة المادي، ومستواها الطبقي والتعليمي، والمنطقة الجغرافية التي تعيش بها، وأسباب أخرى متعددة.(١٠)

ولكن هناك حد أدنى من الشروط التي يجب توافرها في تلك الأسر، ومن بينها تمتع الأسرة بمستوى دخل مناسب يمكنها من إبقاء أحد الأبوين في المنزل – غالبًا الأم – لتحمل مسؤولية تعليم الأبناء، كما يجب أن تتمتع الأم في هذه الحالة بمستوى مناسب من التعليم يساعدها على تعليم أولادها خاصة وأن بعض قوانين الولايات تحدد مستويات تعليمية معينة يجب توافرها في عضو الأسرة القائم على تعليم الأبناء حتى يسمح القانون للأسرة بتعليم أبنائها في المنزل.



٤٣٪ يؤيدون التعليم المنزلي

كما يساعد دخل الأسرة على توفير متطلبات العملية التعليمية المرتفعة نسبيًا وخاصة مقارنة بتكاليف تعليم الأبناء بالمدارس العامة، إذ تتحمل أسر التعليم المنزلي نفقات شراء المناهج ومتطلبات تنفيذها وتوفير فرص ممارسة النشاط الاجتماعي والعلمي والرياضي المختلفة للأبناء، وهي فرص يحصل عليها طلاب المدارس العامة بالمجان، وينبغي على أسر التعليم المنزلي تحمل نفقاتها.

هناك عامل أخر يتعلق بعدد الأسر التي تقوم بتعليم أبنائها بالمنزل والموجودة في منطقة جغرافية بعينها، فالواضح أن أسر التعليم المنزلي تقوم في العادة ببناء شبكة علاقات بعضها مع بعض كمصدر للدعم والتعاون وتبادل الخبرات.

هناك أيضًا دور إيجابي للتكنولوجيا في مسيرة حركة التعليم المنزلي، فالواضح أن انتشار الإنترنت وأدوات الاتصال الحديثة ساعد أسر التعليم المنزلي على الحصول على عدد كبير من مصادر المعرفة المفيدة لاستخدامها في تعليم أبنائها.(١١)

ويعني هذا الأمر أن أسر التعليم المنزلي تتمتع في العادة بقدرة على استخدام أدوات التكنولوجيا الحديثة في مجال الاتصالات وعلى رأسها الإنترنت.

كما ينبغي أن تتميز الأسرة بقدر مناسب من الانضباط والنشاط الذي يسمح لها بالحفاظ على مسيرة العملية التعليمية كما يساعدها للمشاركة في عدد كبير من الأنشطة الاجتماعية والتعليمية خارج المنزل لتعويض أبنائها عن فرص التفاعل الاجتماعي الموجودة بالنظام المدرسي.

هذا وتشير دراسات مختلفة إلى أن توافر جميع الشروط السابقة في أسرة ما لا يعد ضمانة لأن تقوم هذه الأسرة بتعليم أبنائها بالمنزل، حيث تؤكد مختلف الدراسات أن قرار أسرة ما بتعليم أبنائها بالمنزل ليس قرارًا سهلاً . كما أن بعض الأسر تضطر لاتخاذ هذا القرار بسبب المشاكل التي يواجهها أبناؤها فعليًا بالمدارس العامة أو الخاصة، أما الأسر التي تنوي تعليم أبنائها في المنزل من الصغر وقبل إرسالهم إلى النظام المدرسي فهي في العادة أسر تمتلك قناعات فكرية قوية لأسباب دينية أو تعليمية أو أيدلوجية، أو بسبب معرفتها مبكرًا بنظام التعليم المنزلي وارتباطها ببعض الأسر التي تقوم بالفعل

بتعليم أبنائها بالمنزل.

يوم دراسي منزلي نموذجي

ولو حاولنا رسم صورة كاريكاتورية لأسرة تقوم بتعليم أطفالها بالمنزل معتمدين على الشروط والظروف السابق الإشارة إليها، لقلنا إن الأسرة عادة ما تبدأ يومها ببرنامج واضح وبنشاط، حيث يبدأ الأطفال يومهم مبكرًا وبنظام وبتناول مواد دراسية صعبة أو هامة تحرص الأسرة على تعليمها للأبناء في أول النهار.

وقد تتقيد الأسرة بساعات معينة للحصص الدراسية أو قد لا تتقيد بذلك، وفي العادة تضمن الأسر في يومها الدراسي عددًا من الأنشطة خارج المنزل، مثل المشاركة في نشاط اجتماعي أو ثقافي أو مدني يدور في الحي أو الذهاب إلى المتاحف والرحلات التعليمية أو المشاركة لساعات قليلة في حصص دراسية تتجمع فيها أسر التعليم المنزلي لتدريس أبنائها مواد ذات اهتمام مشترك.

ويتميز فصل التعليم المنزلي بالتنوع العمري بين الطلاب، فمن الممكن أن يجلس أطفال ذوو أعمار مختلفة بعضهم بجوار بعض لدراسات مواد مشتركة ما دام الأطفال الأصغر سنا قادرين على فهم هذه المواد والتحصيل العلمي.

كما تحرص هذه الأسر على توفير حصص دراسية كافية لتعليم الأبناء المواد التي تساعدهم على بناء قيمهم وشخصياتهم كالمواد الدينية على سبيل المثال.

كما تتميز هذه الأسر بمشاركتها العالية نسبيًا في الأنشطة المدنية مثل مساعدة الحي والفقراء والمشاركة في الأنشطة السياسية والاجتماعية المختلفة التي تراها الأسر أداة هامة لبناء شخصية أبنائها، كما تراها أيضًا أداة للتفاعل الاجتماعي الإيجابي.

وتستفيد هذه الأسر من مرونة الوقت والفرص التي يوفرها لها نظام التعليم المنزلي، إذ تتمكن هذه الأسر من تغيير جدولها الدراسي بشكل يتوافق مع احتياجات الأبناء التعليمية.

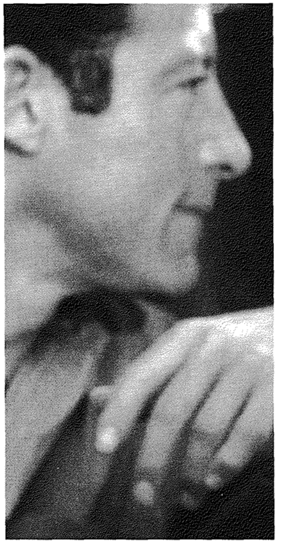
وفي نهاية العام الدراسي يمر الأبناء باختبارات معينة تضعها الإدارات التعليمية بالولايات لتحديد مستواهم العلمي، وفي الغالب ينجح طلاب التعليم المنزلي في هذه الاختبارات بنسب نجاح تفوق الطلاب الآخرين.

أسلوب خاص للتعلم ونتائج متميزة

من ينادون بالتعليم المنزلي يؤكدون أن التعليم المنزلي هو منهج خاص للتعلم من حيث أهدافه ونتائجه والأسلوب الذي يتم به.

من حيث الأسلوب، تتحدث بعض الدراسات عن التعليم المنزلي كفرصة لتنفيذ نوع معين من التعليم يهدف إلى إنتاج طلاب مبدعين.[١٢]

من هذا المنظور يركز التعليم المنزلي على الاستجابة لحاجات الطالب التعليمية وجذب اهتمامه للتعلم كقيمة في حد ذاتها، لذا تتميز العملية التعليمية والمناهج التعليمية المنزلية بمرونة



عالية، فتركيزها الأساسي هو معرفة اهتمامات الطفل، والاستفادة من هذه الاهتمامات والدوافع في تعليم الطفل علومًا مختلفة.

فالتعليم المنزلي قد لا يتقيد بأوقات محددة للحصص التعليمية أو بمناهج أو جدول دراسي معين، وقد يمزج اللعب بالتعلم، وقد يطيل بعض الحصص ويقصر بعضها، وقد يركز أيامًا على مادة معينة أو رواية أو مشروع بحثي معين، وقد يمل الطفل ليوم أو يومين. فالهدف الأساسي هو جذب اهتمام الطفل، وعندما يركز الطفل اهتمامه على شيء ما ولنقل لعبة خشبية بمنزله، يكون ذلك فرصة تعلم ذهبية، تستغلها الأم في تعريف الطفل بالرياضيات عن طريق حساب مقاييس اللعبة وأسلوب صناعتها، وباللغة من خلال فهم اسم اللعبة وتاريخه اللغوي وجذوره وأسباب كتابته ونطقه بشكل ما، وبالتاريخ والجغرافيا من خلال الحديث عن البلد التي أنتجت اللعبة وموقعها وتاريخ اللعبة والاختراع وأهميتها السياسية والاقتصادية في عالم اليوم، ومن ثم قد تتحول لعبة صغير لمفتاح تعلم الطفل دروسًا عديدة عن مختلف أوجه الحياة في مناخ علمي يركز على التعلم الجاد المليء بالمرح دون أن يمل الطفل ودون أن يدرس شيئًا لا يهتم به.

وبدون شك يتطلب هذا الأسلوب سعة أفق كبيرة لدى الآباء، وصبرًا وقدرة على إعطاء حرية كافية للطفل للتعلم، وقدرة على عدم التقيد بأساليب التعلم الاعتيادية، وفهمًا لشخصية الطفل واحتياجاته التعليمية واهتماماته والأسلوب الذي يريد التعلم من خلاله، وعلى الفروق الفردية بين الأطفال التي قد تؤثر على أسلوبهم المفضل في التعلم، فالتركيز يكون على التعلم لا على التدريس.(١٣)

ومن هنا يمكننا أن نرى أن هدف التعليم المنزلي مختلف نسبيًا، فهدف أسر التعليم المنزلي لا يقتصر على حصول أبنائها على شهادات معينة بدرجات مرتفعة تساعدها على الالتحاق بهذه الجامعة أو تلك، في المقابل تركز هذه الأسر على قيم أخرى مثل زرع حب التعليم في أبنائهم، وتعويد الأبناء على التعلم القائم على الفهم لا الحفظ، وتوعية الأبناء بأهمية المعلومات وسبل الوصول إليها.(١٤)

العوامل السابقة أدت إلى نتائج إيجابية فيما

تشير التقارير الصحفية إلى سرعة انتشار حركة التعليم المنزلي في أوساط الأسر المسلمة وإلى تطور الحركة واهتمامها بإنتاج مناهج تعليمية إسلامية خاصة

يتعلق بقدرة الطلاب على التحصيل العلمي، فعلى سبيل المثال أشارت دراسة أجريت عن أداء طلاب التعليم المنزلي في عمر الجامعة بجامعات ولاية أوهايو في منتصف التسعينيات إلى تميز هؤلاء الطلاب بمستوى تعليمي متميز يفوق في المتوسط الطلاب العاديين، أكثر من ذلك وجدت الدراسة أن ١٥٠ كلية وجامعة بالولاية لديها برامج تعمل على تشجيع طلاب التعليم المنزلي على الالتحاق بها، وذلك بعد أن وجد مسؤولو هذه الجامعات أن طلاب التعليم المنزلي يتميزون بسلوك أفضل، ولديهم قدرات تعليمية لا تقل عن قدرات الطلاب الآخرين، كما يتميزون بتشوقهم للمعرفة ولاستعدادهم للبحث عن المعلومات ومثابرتهم للحصول عليها.(١٥)

التعليم المنزلي والدولة القومية

أحد أهم الأسئلة الخاصة بالتأثير بعيد المدى للتعليم المنزلي يتعلق بتأثير التعليم المنزلي على مدى تماسك المجتمعات ووحدة ثقافتها القومية والديمقراطية، إذ يرى البعض أن نظام التعليم المدرسي العام ساعد على نشر الثقافة القومية وتقويتها خاصة في الدول القومية حديثة النشأة والاستقلال، كما يخشى البعض من أن يؤدي التعليم المنزلي لعزل الأسر والأبناء عن المجتمعات التي يعيشون بها بحكم انعزالهم عن نظام التعليم المدرسي القوي والمنتشر عرضيا بالمجتمع.

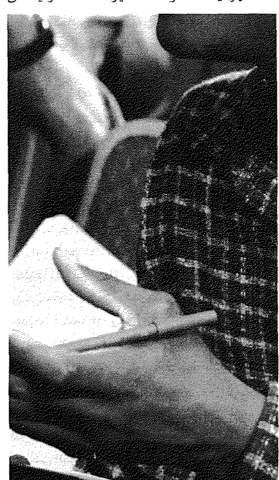
في المقابل يرى مناصرو التعليم المنزلي أن هذا النظام يقوي علاقة الأبناء بالمجتمع مقارنة بنظام

التعليم المدرسي، وذلك لأن الأسر التي تقوم بتعليم أبنائها بالمنازل تتمتع في الغالب بأيديولوجيات قوية كما أنها تنشط بشكل كبير في المؤسسات السياسية والمدنية بمجتمعاتها سعيًا لتوعية أبنائهم ولتقوية قدرتهم على التفاعل الإيجابي، بل إن نظام التعليم المنزلي يشجع الطلاب ويساعدهم على المشاركة في العديد من الأنشطة والفعاليات التي لا تتوافر لطلاب التعليم المدرسي.[١٦]

وهذا لا يخفي حقيقة أن كثيرًا من أسر التعليم المنزلي تمتلك أيدلوجيات قوية تنادي بالحد من تدخل الدولة في تعليم الأبناء وبتأكيد سلطة الأسرة ودورها في مجال تعليم النشء، وذلك بغض النظر عن انتماء تلك الأسر لتوجهات ليبرالية يسارية أو محافظة يمينية.[١٧]

المسلمون الأمريكيون والتعليم المنزلي

ظهر في السنوات الأخيرة عدد متزايد من



المقالات الصحفية بأكبر الصحف الأمريكية تتحدث عن نشاط المسلمين الأمريكيين في حركة التعليم المنزلي، وتشير هذه المقالات إلى أن المسلمين الأمريكيين جزء من جيل جديد من المهاجرين والأقليات يختلف عن الأجيال السابقة له، فالأجيال القديمة كانت تنظر للمدارس الأمريكية كأداة هامة وضرورية لمساعدة أبنائهم على الاندماج الثقافي بالمجتمع الأمريكي ومن ثم الحصول على فرص تعليمية ووظيفية أفضل.

أما الجيل الجديد من المهاجرين - وهو جيل أوفر حظًا من النواحي التعليمية والاقتصادية والحقوقية من الأجيال السابقة - فيرى أن الضغوط التي تفرضها المدارس الأمريكية العامة والخاصة على أبنائها هي ضغوط لا تتناسب مع رغبة هؤلاء الآباء القوية في الحفاظ على هويات أبنائهم الثقافية.

إذ تشير هذه المقالات إلى أن الأسر المسلمة المعنية بتعليم أبنائها بالمدارس تقرر ذلك لرغبتها في دمج الإسلام في مختلف أوجه حياة أبنائهم وهو أمر يصعب تحقيقه في المدارس العامة، فهم يريدون أن يتمتع أبناؤهم بكامل حقوقهم الدينية وبفرصة ممارسة الشعائر الإسلامية كاملة وبفرصة دراسة العلوم الإسلامية باستفاضة، وهي بالطبع أمور يصعب تحقيقها في المدارس العامة.[١٨]

وتتميز هذه الأسر في العادة بمستواها التعليمي والثقافي المرتفع، كما تتميز في العادة بكون أحد الآباء على الأقل أمريكي المولد والنشأة، فحركة التعليم المنزلي أقل انتشارًا في أوساط الأسر المسلمة المهاجرة، وفي العادة تشعر الأسر المسلمة التي تعلم أولادها بالمنزل أن المدارس الإسلامية الخاصة لا تستجيب بشكل كاف لحاجات أبنائها التعليمية خاصة في حالة سيطرة المسلمين المهاجرين على تلك المدارس.[١٩]

وتشير التقارير الصحفية إلى سرعة انتشار حركة التعليم المنزلي في أوساط الأسر المسلمة وإلى تطور الحركة واهتمامها بإنتاج مناهج تعليمية إسلامية خاصة.

كما تشير تقارير أخرى إلى أن الخوف من التمييز هو أحد أسباب انتشار الحركة والتي يشارك

فيها بعض المسلمين الأمريكيين من الأصل الإفريقي الأمريكي والذين يعانون تقليديًا من الاضطهاد مما جعلهم يلجؤون للتعليم المنزلي كوسيلة لحماية أبنائهم من التمييز الذي يتعرضون له بشكل منتشر في مؤسسات التعليم العامة، لذا ذكرت بعض المصادر أن أعداد الأسر المسلمة المهتمة بتعليم أبنائها بالمنازل زاد منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١.[٢٠]

هذا إضافة إلى مخاوف الآباء المسلمين من مشاكل المدارس العامة كالانتشار النسبي لثقافة العنف والانحلال الأخلاقي.

المثير هنا هو أن انتشار التعليم المنزلي في أوساط المسلمين قارب بينهم وبين الجماعات المسيحية المتدينة التي تنشط في هذا الجانب، حيث أشارت تقارير مختلفة إلى أن بعض الأسر المسلمة التي تقوم بتعليم أبنائها بالمنزل استفادت وتستفيد بشكل مستمر من إنجازات وخبرة أسر مسيحية متدينة تعرفها تقوم بتعليم أبنائها بالمنازل هي الأخرى.

اختيار مجتمعات ما بعد الحداثة في عصر العولمة

بقي لنا أن نشير إلى تحليل متميز لأسباب انتشار التعليم المنزلي بالدولة الغربية، حيث يرى هذا التحليل أن التعليم المنزلي هو استجابة لمرحلة جديدة تعيشها المجتمعات الغربية في فترة ما بعد الحداثة، وهي فترة مليئة بالتغيرات الثقافية والاجتماعية الكبيرة والسريعة، ومساعي المجتمعات الغربية للتعددية الثقافة التي تمكنها من التعامل بنجاح مع أقليات ثقافية ودينية وحضارية كبيرة أصبحت تعيش على أراضيها، هذا ناهيك عن تقدم وسائل الاتصالات والمواصلات وكثرة حركة سكان هذه الدول عبر الحدود.[٢١]

كل هذه العوامل أضعفت من قدرة نظام التعليم المدرسي العام على الاستجابة لحاجات الأسر الغربية المتنوعة والمتعددة مما تطلب البحث عن حلول تعليمية جديدة قادرة على الاستجابة لحاجات الأسر الغربية المتعددة في مجتمعاتها ما بعد الحداثة.■

المراجع

1- Robert G. Houston, Jr. and Eugenia F. Toma, Home Schooling: An Alternative School Choice, Southern Economic Journal, April 2003, Pp. 920-935.
Patricia M Lines, Homeschooling Comes of Age, Public Interest, Washington, Summer 2000, Iss. 140, p. 74-86.
2- Lines.
3- Ibid,.
4- A Bruce Arai, Reasons for Home Schooling in Canada, Canadian Journal of Education, Toronto, Vol. 25, Iss. 2, p. 204.
5- Houston and Toma.
6- Michael Paulson, Trying not to Fit in: Muslims among Those Educating Children at Home, Boston Globe, Boston, Aug 2, 2000, p. B1.
7- Lines.
8- Arai.
9- Michael H. Romanowski, Common Arguments about the Strengths and Limitations of Home Schooling, The Clearing House, Nov/ Dec 2001, 75:2, Pp. 79- 83.
10- Houston.
11- Michelle Wichers, Homeschooling: Adventitious or Detrimental for Proficiency in Higher Education, Education, Fall 2001, 122:1, Pp. 145-150.
12- Lisa Rivero, Progressive Digressions: Home Schooling for Self-Actualization, Roeper Review, Summer 2002, 24:4, Pp. 197-202.
13- Ibid, Pp. 200-201.
14- Wichers, p. 147.
15- Ibid.
16- Lines.
17- John Michlethwait and Adrian Wooldridge, The Right nation: Conservative Power in America, The Penguin Press, New York, 2004, Pp. 189-194.
18- Paulson.
19- Phuong Ly, Muslims Reach Beyond Religion With a Belief in Home Schooling, The Washington Post, Washington D.C., Nov 2, 2003, p. C.01.
20- Jim Szymanski, Home-Schol Movement Grows Beyond Church Followers in Washington, Knight Ridder Tribune Business News, Washington, May 27, 2003, p. 1.
Deborah Horan, Put off by Public schools, More Muslims Home-Teach, Chicago Tribune, Chicago, Dec 16, 2002, p.1.
21- Christian W. Beck, Alternative Education and Home schooling in Norway, Childhood Education, 2001, 77:6, Pp. 356-359.

١٤٨٠٠ ريال كلفة الطالب في المدارس الحكومية بمنطقة الرياض!

محمد عبدالله الضويان* - الرياض

* مدير عام البحوث التربوية بوزارة التربية والتعليم.

تزايد اهتمام الدول بشكل عام والمتقدمة منها على وجه الخصوص بالنظرة الاقتصادية للتعليم والبحث عن أساليب جديدة لتطويره، ومن تلك الأساليب مدخل تحليل فاعلية الكلفة، الذي استخدم بشكل واسع لدراسة العلاقة بين مدخلات المدرسة ومخرجاتها، والتعرف على العوامل المؤثرة فيها من أجل تحسين نوعية التعليم وفاعليته.

وهدفت الدراسة إلى تحديد مستوى فاعلية الكلفة التعليمية في مدارس التعليم العام بمنطقة الرياض التعليمية (بنين وبنات) وفقًا للمتغيرات الآتية: حجم المدرسة (كبيرة/ صغيرة)، وملكية مبنى المدرسة (حكومي/ مستأجر)، ونوع التعليم (بنين/ بنات)، والتعرف على العوامل المؤثرة في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية في تلك المدارس، وتقديم نماذج يمكن استخدامها في تقدير مستوى فاعلية الكلفة التعليمية لمدارس التعليم العام بمنطقة الرياض التعليمية.

مجتمع الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة من جميع مدارس التعليم العام الحكومية النهارية المستقلة (بنين وبنات) في منطقة الرياض التي تشرف عليها الإدارة العامة للتربية والتعليم للبنين والإدارة العامة للتربية والتعليم للبنات بمنطقة الرياض التعليمية في العام الدراسي ١٤٢٢/١٤٢٣هـ.

وحيث إن حجم المدرسة وملكية مبناها من متغيرات الدراسة، وحرصًا من الباحث على ضبط العوامل التي قد يكون لها تأثير في كلفة الطالب وفاعلية المدرسة، فقد استبعد الباحث مدارس تحفيظ القرآن الكريم والمدارس الليلية والمدارس غير المستقلة (المجمعات التعليمية)، أي التي يضم مبناها أكثر من مدرسة، ووفقًا للضوابط السابقة بلغ حجم المجتمع الفعلي للدراسة ١١٨٤ مدرسة بنات، و١١٤٩ مدرسة بنين، وهو ما مجموعه ٢٣٣٣ مدرسة بنين وبنات.

ونظرًا لأن مجتمع الدراسة غير متجانس بالنسبة لمتغيرات الدراسة المستقلة، وحيث إن تقسيم هذا المجتمع إلى مستويات أو أقسام يساعد في إبراز الفروق بين المجتمعات الفرعية، فقد عمد الباحث إلى تقسيم مجتمع الدراسة الأصلي إلى مجتمعات فرعية تساوي عدد مستويات تلك المتغيرات، ومن ثم سحب عينات فرعية ممثلة لتلك المجتمعات الفرعية، بحيث يكون لكل مجتمع فرعي عينة فرعية.

ونظرًا لعدم وجود تصنيف معتمد على أسس علمية لحجم مدارس التربية والتعليم في المملكة (حسب علم الباحث) وأنه وكما سبقت الإشارة

إليه ليس هناك اتفاق واضح ودقيق على حد رقمي يفصل بين المدارس الصغيرة والكبيرة، فقد اعتبر الباحث المدارس التي يقل عدد الطلاب والطالبات فيها عن ١٠٠ طالب وطالبة مدارس صغيرة، والمدارس التي يبلغ عدد طلابها وطالباتها ١٠٠ طالب وطالبة وما فوق مدارس كبيرة.

مجتمعات الدراسة الفرعية

مدارس البنين		مدارس البنات	
اسم المجتمع الفرعي	المجموع	اسم المجتمع الفرعي	المجموع
مدارس حكومية كبيرة	٤٢٠	مدارس حكومية كبيرة	٤١٠
مدارس حكومية صغيرة	٩١	مدارس حكومية صغيرة	٩٥
مدارس مستأجرة كبيرة	٣٩٧	مدارس مستأجرة كبيرة	٤٣١
مدارس مستأجرة صغيرة	٢٣١	مدارس مستأجرة صغيرة	٢٤٨
المجموع الكلي	١١٤٩	المجموع الكلي	١١٨٤

عينة الدراسة

استخدم الباحث الطريقة العشوائية الطبقية لتحديد عينة من المدارس ممثلة لمجتمع الدراسة بجميع فئاته (طبقاته)، فبعد تقسيم مجتمع الدراسة إلى ثمانية مجتمعات فرعية (طبقية)، حدد الباحث عينة عشوائية مستهدفة من كل مجتمع فرعي بنسبة ٦٪ من مجموع مدارس ذلك المجتمع.

ونظرًا لكون نوع التعليم (بنين/ بنات) من ضمن متغيرات الدراسة المستقلة، مما يتطلب ضرورة ضبط عينات الدراسة وفق هذا المتغير، فقد عمل الباحث على تحديد عينات مدارس البنين الفرعية أولاً، ومن ثم سحب عينة عشوائية من كل مجتمع فرعي فيها، وبعد معرفة أسماء، ومواقع، وبعض خصائص تلك المدارس، تم اختيار مدارس مقابلة لها في الموقع والخصائص من مدارس البنات، وقد واجه الباحث صعوبات كبيرة عند البحث عن مدرسة بنات مطابقة لمدرسة بنين محددة وفق مواصفات معينة مثل: الموقع، الحجم، المرحلة الدراسة، ملكية المبنى، وأخذ ذلك منه جهدًا ووقتًا كبيرين. كما أن وجود مدارس مشتركة في المراحل الدراسية خاصة في مدارس البنات زاد من صعوبة اختيار العينة، مما جعل الباحث يستبعد هذا النوع من المدارس من مجتمع الدراسة.

توزيع عينة الدراسة وفق مجتمعاتها الفرعية بنسبة ٦٪ من كل مجتمع.

م	المجتمع الفرعي	مجموع مدارس العينة	النسبة المئوية
١	مدارس حكومية كبيرة (بنين)	٢٦	٪١٨,٥٧
٢	مدارس حكومية صغيرة (بنين)	٦	٪٤,٢٩
٣	مدارس مستأجرة كبيرة (بنين)	٢٤	٪١٧,١٤
٤	مدارس مستأجرة صغيرة (بنين)	١٤	٪١٠,٠
٥	مدارس حكومية كبيرة (بنات)	٢٦	٪١٨,٥٧
٦	مدارس حكومية صغيرة (بنات)	٦	٪٤,٢٩
٧	مدارس مستأجرة كبيرة (بنات)	٢٤	٪١٧,١٤
٨	مدارس مستأجرة صغيرة (بنات)	١٤	٪١٠,٠
	المجموع الكلي	١٤٠	٪١٠٠

ولشمول الدراسة على ١٤٠ مدرسة، ومن منطلق الحرص على سرية المعلومات الخاصة بتلك المدارس، فقد أعطى الباحث رقمًا خاصًا لكل مدرسة، واكتفى بإرفاق أرقام تلك المدارس، وبياناتها الضرورية ضمن ملاحق الدراسة.

أدوات الدراسة:

استخدم الباحث الأدوات الآتية:

- استمارة لجمع المعلومات اللازمة لحساب الكلفة والفاعلية التي يمكن الحصول عليها من

المدارس مباشرة، وقد اشتملت هذه الاستمارة على معلومات عن المدرسة منها: ملكية مبنى المدرسة، وأعداد الطلاب والطالبات، والفصول، ومجموع الحصص الدراسية، والعاملين والعاملات، وتقديرات النجاح، والرسوب، والتسرب والأثاث واللوازم والتجهيزات الموجودة في المدرسة.

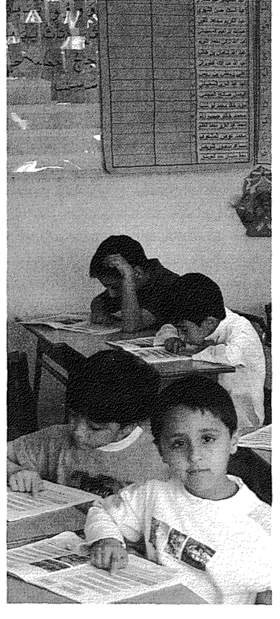
- استمارة المدارس المستأجرة.

- استمارة المصروفات على المدرسة من قبل إدارة التربية والتعليم لجمع المعلومات اللازمة التي لا تتوفر في المدرسة، مثل: ما يصرف على رواتب العاملين والعاملات في المدرسة، والصيانة، والنشاط، واستهلاك الكهرباء، والماء، والهاتف.

إجراءات التطبيق الميداني

نظرًا لأن الدراسة انصبت على الكلفة والفاعلية، وهدفت إلى قياس مستوى فاعلية الكلفة التعليمية، والعوامل المؤثرة فيها خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ، فقد تم تطبيق الدراسة والحصول على جميع بياناتها خلال العام الدراسي ١٤٢٤/٢٣هـ، وتم استخدام البيانات الإحصائية والمالية الخاصة بالعام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ، حيث تم توزيع استمارات الدراسة على مدارس العينات وإدارات التربية والتعليم (بنين وبنات) ذات الصلة، وقام الباحث بزيارات لتلك الإدارات، وبعض المدراس، وجمع منها المعلومات الخاصة بها وفق خطابات رسمية.

وقد واجه الباحث صعوبات عدة في الحصول على بعض البيانات، خاصة ما يتعلق بجوانب المصروفات المالية على مستوى المدرسة وإدارة التربية والتعليم، لتعذر الحصول على بعضها أو ارتباط بعض المخصصات المالية ببنود مركزية على مستوى الوزارة، لذا قام الباحث بزيارة الجهات المعنية بوزارة التربية والتعليم بقسميها (البنين والبنات) وفق خطابات التوجيه بذلك، من أجل استكمال البيانات الخاصة بها مثل: المخصصات المالية من ميزانية قطاع التعليم في المملكة والمنصرف الفعلي منه في العام المالي ١٤٢٣/٢٢هـ، بالإضافة إلى استكمال المعلومات



التي تعذر الحصول عليها من المدارس وإدارات التربية والتعليم.

المعالجة الإحصائية

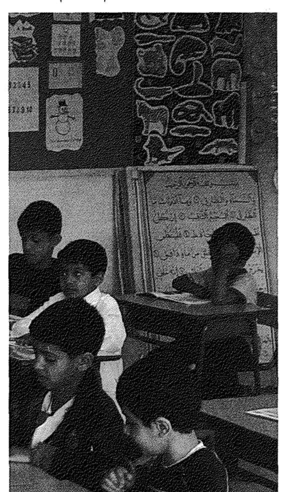
قام الباحث بجمع الاستمارات والنماذج الخاصة بالدراسة، وإدخالها بالحاسب الآلي، وتحليلها باستخدام برنامجي Excel, وSPSS واستخدم الأساليب الإحصائية التي تتلاءم مع أهداف الدراسة، وتجيب عن أسئلتها، ومن أبرز تلك الأساليب: المتوسطات الحسابية، والنسبة المئوية، وبعض المعادلات الرياضية اللازمة لحساب المستوى التحصيلي، ومتوسط الكلفة التعليمية، ومستوى الفاعلية، ومستوى

فاعلية الكلفة التعليمية، كما استخدم الباحث اختبار «ت T-test» لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات، بالإضافة إلى «استخدام أسلوب الانحدار التدريجي المتعدد Multiple Regression Analysis»، الذي يستخدم عند الرغبة في معرفة المزيد من العلاقات السببية بين عدد من المتغيرات المستقلة والمتغير التابع، ومن ثم التنبؤ بشكل دقيق بالمتغير التابع من خلال توظيف متغيرين مستقلين أو أكثر.

كما استخدم الباحث «أسلوب التحليل التميزي Discuiminant Analysis»

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة وفقًا لأسئلتها ما يأتي:

السؤال الأول: ما مستوى فاعلية الكلفة التعليمية في مدارس التعليم العام بمنطقة



الرياض التعليمية؟

- بلغ متوسط الكلفة الرأسمالية في مدارس التعليم العام بمنطقة الرياض التعليمية في العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ ٣٦٣,٨ ريالاً، و١٤٤٨٤,٢ ريالاً للكلفة الجارية، وبلغ أعلى متوسط ٩٩٧٤١,٥ ريالاً، وأدنى متوسط ٢٤٤١,٣ ريالاً.
- بلغ متوسط الكلفة التعليمية الرأسمالية والجارية في مدارس التعليم العام بمنطقة الرياض التعليمية في العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ ١٤٨٤٨,١ ريالاً.
- بلغ مستوى فاعلية الكلفة التعليمية في مدارس التعليم العام بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ ٢,٧، وكان أعلى مستوى لفاعلية الكلفة التعليمية ١٠,٤، وأدنى مستوى ٠,٢٥.

السؤال الثاني: هل يوجد فرق دال إحصائيًا بين مدارس التعليم العام للبنين ومدارس التعليم العام للبنات بمنطقة الرياض التعليمية في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية؟

- بلغ متوسط الكلفة التعليمية للطالب في مدارس تعليم البنين بمنطقة الرياض التعليمية في العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ ١٣٨٤٠,٩ ريالاً، وبلغ متوسط الكلفة التعليمية للطالبة في نفس المنطقة التعليمية والعام الدراسي ١٥٨٥٥,١ ريالاً.
- بلغ مستوى فاعلية الكلفة التعليمية لمدارس البنين التابعة لمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ ٢,٨٥، وبلغ مستوى فاعلية الكلفة التعليمية لمدارس البنات في نفس المنطقة التعليمية والعام الدراسي ٢,٦٠.
- لا يوجد فرق دال إحصائيًا بين مدارس التعليم العام للبنين، ومدارس التعليم العام للبنات بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية.

السؤال الثالث: هل يوجد فرق دال إحصائيًا بين مدارس التعليم العام صغيرة الحجم ومدارس

التعليم العام كبيرة الحجم بمنطقة الرياض التعليمية في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية؟

- بلغ متوسط الكلفة التعليمية للطالب في المدارس كبيرة الحجم في منطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ ١٠٤٠٤,٦ ريالات، و٢٦٣٥٥,٤ ريالاً للطالب والطالبة في المدارس صغيرة الحجم في نفس المنطقة التعليمية والعام الدراسي.

- بلغ متوسط فاعلية الكلفة التعليمية للمدارس كبيرة الحجم في منطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ ٣,٠٦، في حين بلغ ١,٨٧ للمدارس صغيرة الجم في نفس المنطقة التعليمية والعام الدراسي.

- يوجد فرق دال إحصائيًا عند مستوى أقل من (٠,٠٥) بين مدارس التعليم العام كبيرة الحجم ومدارس التعليم العام صغيرة الحجم بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية لصالح المدارس كبيرة الحجم.

السؤال الرابع: هل يوجد فرق دال إحصائيًا بين مدارس التعليم العام ذات المبنى الحكومي ومدارس التعليم العام ذات المبنى المستأجر بمنطقة الرياض التعليمية في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية؟

- بلغ متوسط الكلفة التعليمية للطالب والطالبة في المدارس ذات المبنى الحكومي في منطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ ١٢٠٩٨,١ ريالاً، و١٧٥٩٧,٩ ريالاً للمدارس ذات المبنى المستأجر في نفس المنطقة التعليمية والعام الدراسي.

- بلغ متوسط فاعلية الكلفة التعليمية للمدارس ذات المبنى الحكومي في منطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ ٢,٩٤، في حين بلغ ٢,٥٢ للمدارس ذات المبنى المستأجر في نفس المنطقة التعليمية والعام الدراسي.

- لا يوجد فرق دال إحصائيًا عند مستوى أقل من (٠,٠٥) بين مدارس التعليم العام ذات المبنى الحكومي ومدارس التعليم العام ذات المبنى المستأجر بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية.

السؤال الخامس: ما العوامل المؤثرة في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية لمدارس التعليم العام بمنطقة الرياض التعليمية؟

- وجود تأثير إيجابي دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠٠٠١) لمتغير (معدل طالب/ معلم) في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية لدى مدارس التعليم العام للبنين بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ.

- وجود تأثير إيجابي دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠٠١) لمتغير (معدل طالبة/معلمة) في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية لدى مدارس التعليم العام للبنات بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ.

- وجود تأثير إيجابي دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠٠٠١) لكل من المتغيرات الآتية: معدل طالب/ طالبة معلم/ معلمة، وعدد الناجحين والناجحات، وعدد الفصول في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية للمدارس ذات المبنى الحكومي بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ.

- وجود تأثير سلبي دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠٥) على الأكثر لكل من المتغيرات الآتية: عدد الطلاب والطالبات، والرواتب، ومعدل حصة معلم/ معلمة، وعدد الحصص في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية للمدارس ذات المبنى الحكومي بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ.

- وجود تأثير إيجابي دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠٠١) لمتغير معدل طالب/ طالبة معلم/ معلمة في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية للمدارس ذات المبنى المستأجر بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ.

- وجود تأثير إيجابي دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠١) على الأكثر لكل من المتغيرات الآتية: معدل طالب/ طالبة معلم/ معلمة، وعدد

الناجحين والناجحات، وعدد الفصول، ومجموع العاملين والعاملات في المدرسة في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية للمدارس كبيرة الحجم بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ.

- وجود تأثير سلبي دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠٠١) على الأكثر لكل من المتغيرات الآتية: الرواتب، وعدد الطلاب والطالبات، وعدد الحصص، في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية للمدارس كبيرة الحجم بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ.

- وجود تأثير إيجابي دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠١) على الأكثر لكل من المتغيرين الآتيين: عدد الناجحين والناجحات، وعدد المعلمين والمعلمات في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية للمدارس صغيرة الحجم بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ٢٢/ ١٤٢٣هـ.

- وجود تأثير سلبي دال إحصائيًا عند مستوى (٠,٠٠٠١) لمتغير الرواتب في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية للمدارس صغيرة الحجم بمنطقة الرياض التعليمية خلال العام الدراسي ١٤٢٣/٢٢هـ.

السؤال السادس: ما النماذج التي يمكن استخدامها في تقدير مستوى فاعلية الكلفة التعليمية لمدارس التعليم العام بمنطقة الرياض التعليمية؟

توصلت الدراسة الدراسة إلى نماذج (مواصفات) يمكن استخدامها في تقدير مستوى فاعلية الكلفة التعليمية لمدارس التعليم العام بمنطقة الرياض التعليمية بشكل عام، ولكل فئة من الفئات الآتية: مدارس البنين، ومدارس البنات، والمدارس ذات المبنى الحكومي، والمدارس ذات المبنى المستأجر والمدارس كبيرة الحجم، وصغيرة الحجم.

ومن تلك النماذج نموذج مدارس التعليم العام: (انظر الجدول التالي)

قيم المتغيرات التي يمكن من خلالها تقدير مستوى فاعلية الكلفة التعليمية لمدارس التعليم العام بمنطقة الرياض التعليمية

المتغير	مواصفات (نموذج) المدارس المتدنية في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية	مواصفات (نموذج) المدارس العالية في مستوى فاعلية الكلفة التعليمية
معدل طالب/ طالبة فصل	١٥	٢٧
معدل طالب/ طالبة معلم/ معلمة	٨	١٨
معدل حصة معلم/ معلمة	١٨	٢٠
معدل طالب/ طالبة لجميع العاملين/ العاملات في المدرسة	٥	١٢
مجموع المعلمين/ المعلمات	١٥	٢٥
مجموع الطلاب/ الطالبات	١٥٣	٤٤٣
عدد الفصول	٨	١٥

توصيات الدراسة

❖ توظيف أسلوب تحليل فاعلية الكلفة كأحد مرتكزات عملية تقويم المدارس وإدارات التربية والتعليم.

❖ إكساب مديري التربية والتعليم، والمشرفين والمشرفات، ومديري ومديرات المدارس المهارات الأساسية ذات الصلة باقتصاديات التعليم.

❖ الحد من المدارس صغيرة الحجم

والمستأجرة القائمة حاليًا التي يثبت تدني مستوى فاعلية الكلفة التعليمية فيها، أو لا تنطبق عليها معايير افتتاح المدارس.

❖ إعداد معايير وضوابط ومواصفات جديدة للحالات الآتية:

- استحداث مدارس ابتدائية.
- استحداث مدارس متوسطة أو ثانوية.
- افتتاح فصول دراسية جديدة في مدارس قائمة.
- استئجار مبان لتكون مدارس حكومية.

❖ نظرًا للتفاوت بين الدول والمجتمعات والثقافات والخلفيات الاجتماعية والاقتصادية واللوائح والأنظمة والسياسات التعليمية وغيرها، فإن هناك ضرورة ملحة لوجود معايير ومواصفات مثالية لبعض جوانب العملية التعليمية خاصة في المملكة يمكن استخدامها كمؤشرات علمية دالة على مستوى المدرسة مثل:

- الحجم المثالي لمدارس التعليم العام في المملكة من حيث عدد الطلاب والطالبات والفصول الدراسية في المدرسة.
- المعدلات المثالية لمدارس التعليم العام في المملكة من حيث الطلاب/الطالبات للمعلم/المعلمة، والحصص الأسبوعية للمعلم والمعلمة.

❖ نظرًا لأهمية مدخلات العملية التعليمية للطلاب والطالبات، فإن هناك ضرورة لتوزيع تلك المدخلات على المدارس بشكل كاف ومتوازن مثل: أعداد، وتخصصات، وتأهيل المعلمين والمعلمات، والمصروفات المالية، والأثاث، والأجهزة والوسائل التعليمية، وأعداد الطلاب والطالبات في المدرسة.



❖ تأسيس قواعد بيانات متكاملة في الوزارة وإدارات التربية والتعليم تشتمل على جميع المعلومات المالية والتعليمية والتربوية - إن أمكن - لكل مدرسة للاستفادة منها في إعداد المؤشرات والإسقاطات واتخاذ القرارات الخاصة بتقويم المدارس وتطويرها.

❖ الاستعانة بالكفاءات المؤهلة في اقتصاديات التعليم بالتخطيط والاستشارة في جهاز الوزارة وإدارات التربية والتعليم ذات العلاقة مثل: التطوير التربوي، والتخطيط التربوي والإداري، وشؤون المعلمين والمعلمات.

❖ تبني استراتيجيات خلاقة تكفل زيادة دور القطاع الخاص في المجال التعليمي والتربوي ونقل إسهاماته إلى آفاق أرحب.

❖ أن تحظى مخرجات المدرسة (فاعلية المدرسة) بمزيد من الاهتمام من المنظور التعليمي والتربوي والاجتماعي بما يتلاءم وأهداف المدرسة، على ألا يقتصر تحديد الفاعلية على التحصيل الدراسي فقط بل لا بد أن تشمل كافة عناصرها والعوامل المؤثرة فيها.

❖ تثقيف أولياء أمور الطلاب والطالبات بمفاهيم اقتصاديات التعليم الأساسية، وآثار الرسوب والتسرب، من منطق أن تبعات كلفة الهدر خاصة الرسوب والتسرب لا تقتصر على الوزارة فقط بل تمتد لتشمل الأسرة والمجتمع أيضًا.

❖ إجراء دراسات مماثلة لهذه الدراسة على مستوى المملكة، والمقارنة بين مدارس التعليم العام الحكومية ومدارس التعليم الأهلي في مجال الكلفة والفاعلية ومستوى فاعلية الكلفة التعليمية. ■

من رسلة دكتوراه بعنوان:
فاعلية الكلفة التعليمية في مدارس التعليم العام
بمنطقة الرياض التعليمية (بنين وبنات)
قدمت في قسم الإدارة التربوية بكلية التربية جامعة الملك سعود - ١٤٢٦هـ
إعداد الطالب: محمد بن عبدالله عمر الضويان - الرياض

بدأت منذ القرن ١٩ ، وأصبحت تتم آليًا . .

الترجمة وأثرها في تطوير البحث العلمي في اليابان

مسعود ضاهر* - بيروت

* أستاذ جامعي .

لعبت حركة الترجمة دورًا أساسيًا في حفظ التراث العالمي من الضياع والتلف بسبب كثرة الحروب والمنازعات والعوامل الطبيعية المدمرة. لذلك اعتبرت حركة الترجمة بمنزلة فعل حوار دائم بين القوى البشرية ذات الثقافات المتنوعة والقادرة على التفاعل الإيجابي من موقع حوار الأنداد بين الثقافات الحية. والترجمة مصطلح علمي ذو أبعاد واسعة جدًا لا يمكن حصرها في دائرة ضيقة أو تعريف مبسط. فهي أولًا عمل ثقافي ينتج عنه تثاقف طويل الأمد على صعيد الأفراد والجماعات. وهي تعبر عن أبعاد حضارية قابلة للتعميم والانتشار عبر تفاعل الثقافات في إطار من العلاقات المبنية على التبادل الثقافي الحر والإبداعي بين مختلف الشعوب والقوميات.

فهي حوار ضمني بين تجارب الشعوب الثقافية عبر الكلمة الفاعلة. وبقدر ما تبتعد الكلمة المترجمة عن الاستعلاء الثقافي تنجح في نشر ثقافة الانفتاح والتواصل الحر، وتنغرز عميقًا في وجدان المتلقي لتصبح جزءًا من تراثه الثقافي. إلا أنها، بالمدلول الثقافي والحضاري للمصطلح، ليست مجرد نقل كلمة أو مقولة من لغة إلى أخرى، بل هي، وبالدرجة الأولى، فعل ثقافة حية قادرة على تحويل موارد المجتمع إلى قوى محركة للطاقات الإبداعية فيه. فهي تتحول إلى فعل حضاري ودينامية قوية لتغيير المجتمع بعد أن أصبح العالم كله قرية ثقافية واحدة في عصر العولمة والتفاعل اليومي والمباشر بين مختلف أشكال الثقافات واللغات.

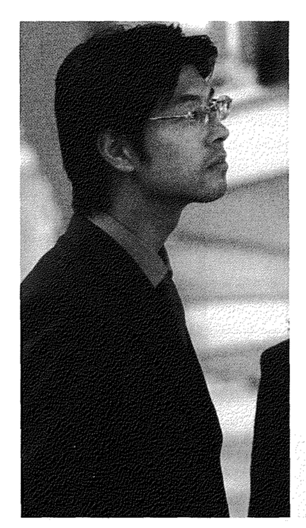
من هنا كان اهتمام اليابان الكبير بعملية الترجمة ونقل قسم كبير من التراث الإنساني العالمي إلى اللغة اليابانية خلال المائة عام المنصرمة. فقد أولت اليابان اهتمامًا خاصًا بالترجمة منذ بداية نهضتها في أواسط القرن التاسع عشر حتى الآن. وما زالت من أكثر دول العالم سخاء في مجال تمويل الترجمة، ودفع نفقات المترجمين، وتنشيط مؤسسات الترجمة، وصولاً إلى استخدام الترجمة الآلية المراقبة في السنوات القليلة الماضية. فتوسعت الترجمة في اليابان عبر أجهزة متخصصة تساهم في تعريف اليابانيين بجميع الدراسات العلمية الرصينة، في مختلف النواحي الثقافية، والتكنولوجية،وثمرات المطابع، والعلوم العصرية، في مختلف دول العالم. هذا بالإضافة إلى الترجمات الأدبية، والفنية، والدينية وغيرها.

يقدم هذا البحث صورة علمية دقيقة عن الترجمة في اليابان، وهي تحتل موقعًا متقدمًا في عملية نشر المعرفة والاطلاع على ثقافات الغير منقولة إلى اللغة اليابانية.وأثبتت سياسة اليابان في مجال الترجمة، ومن خلال الحجم الكبير لما ترجم إلى اليابانية عن اللغات الأخرى، أن الترجمة تساهم في تعزيز اللغة القومية، أي اليابانية. ورغم الصعوبات الكبيرة التي يعانيها كل من يتعلم اليابانية، قراءة وكتابة، نجح اليابانيون في تعزيز لغتهم.وتطويعها لكل أشكال العلم والتكنولوجيا، واستخدامها كمعادل محلي

للغات العالمية في مجال الترجمة الفورية والآلية. لذلك تقدم تجربة اليابان في مجال الترجمة دروسًا مفيدة للعرب من أجل تشجيع الترجمات من وإلى اللغة العربية من جهة، والعمل على تطويرها وجعلها اللغة الأساسية لتزويد المواطن العربي بمختلف العلوم العصرية، والتكنولوجيا المتطورة، والآداب والفنون العالمية،من جهة أخرى. ولما كانت اللغة المكتوبة أداة فاعلة في حفظ التراث الثقافي ونقله من جيل إلى آخر. فهي القاعدة الأكثر ثباتًا لترجمة ثقافات الشعوب وقدرتها على التفاعل مع ثقافات االشعوب الأخرى. وذلك يتطلب تحديد مصطلح الترجمة وسبر مدلولاته الواسعة. فالترجمة مصطلح علمي ذو أبعاد واسعة جدا لا يمكن حصرها في دائرة ضيقة أو تعريف مبسط. فهي أولا عمل ثقافي ينتج عنه تثاقف طويل الأمد على صعيد الأفراد والجماعات. وهي ظاهرة انتقائية إذ يختار المترجمون أو مؤسسات الترجمة كتبا أو وثائق معينة يعتبرونها مفيدة، وتلقى رواجًا لدى شعوبهم.

وذلك لا يعني أن تكون الأعمال المنتقاة جيدة على الدوام. فكثيرًا ما يتم اختيار نصوص معينة أقل جودة من نصوص أخرى في مجال الفلسفة، أو السياسة، أو الأدب، أو الفنون، وغيرها من حقول المعرفة. كما أن ترجمة النص ذات صلة وثيقة بأمانة المترجم وثقافته ودقة مصطلحاته ومفاهيمه، وسلاسة لغته وسلامة نصه.

تعبر الترجمة عن أبعاد حضارية لثقافة قابلة للتعميم والانتشار عبر ثقافات وحضارات أخرى في إطار من علاقات التبادل الحر والإبداعي بين مختلف الشعوب والقوميات. وقد أدت حركة الترجمة دورًا أساسيًا في حفظ التراث العالمي من الضياع والتلف بسبب كثرة الحروب والمنازعات والعوامل الطبيعية المدمرة. يضاف إلى ذلك أن الترجمة تعبير عن حوار متكافئ بين قوى بشرية ذات ثقافات متنوعة وقابلة للتفاعل من موقع حوار الأنداد بين الثقافات الحية، إذ ليس من شك في أن أفضل أشكال الترجمات هو الذي يعبر عن تكافؤ في المستوى الثقافي بين قوى حية متقاربة في الإدراك والوعي بالمصطلحات والمفاهيم المنتقلة عبر الثقافة الوافدة وإلا تحولت الترجمة إلى عامل قهر واستلاب واستعلاء حضاري من جانب الطرف الأقوى يهدد بفقدان الشخصية الوطنية والقومية للجانب الأضعف انطلاقًا من مقولة ابن خلدون الشهيرة حول تشبه المغلوب بالغالب. والترجمة أخيرًا حوار ضمني تجريه الشعوب عبر الكلمة الفاعلة، والتي من وسائلها الأساسية المدرسة، والمطبعة، ووسائل الإعلام، والصحافة، والشعر، والأدب،والمسرح، والسينما،وغيرها. وبقدر ما تبتعد الكلمة المترجمة عن صياغة الاستعلاء الثقافي تساهم في عملية الانفتاح والتواصل الحر بين الشعوب، وتنغرز عميقًا في وجدان المتلقي لتصبح جزءًا من تراثه الثقافي. والترجمة العلمية الرصينة ليست مجرد نقل كلمة أو مقولة أو مصطلح من لغة إلى أخرى، بل هي، وبالدرجة الأولى، فعل تثقيف حر. وهي تساهم في توليد فكر عقلاني قادر على تحويل موارد المجتمع إلى قوة محركة للطاقات الإبداعية فيه. إنها فعل حضاري يولد دينامية قوية لتغيير المجتمع بعد



أن أصبح العالم كله قرية ثقافية واحدة في عصر العولمة والتفاعل اليومي والمباشر بين مختلف أشكال الثقافات،واللغات.

دور الترجمة في تعزيز التفاعل الثقافي بين اليابان والشعوب الأخرى

عبر تاريخها الطويل أظهرت اليابان اهتمامًا كبيرًا بثقافات الشعوب الأخرى. وهناك بعض الباحثين الذين يبالغون جدًا بهذا العامل لدرجة تعرية اليابان من كل ما يمكن أن يشكل ثقافة أو تراثًا يابانيًا خالصًا. فهم يصفون اللغة اليابانية الكلاسيكية أو الكانجي بأنها مقتبسة عن الصين، ومعها حفلات تقديم الشاي، وتنسيق الزهور، والرسم المستند إلى الحروفية اللغوية، ولباس الحرير أو الكيمونو، وموسيقى النو، ومسرح الدمى، ومسرح الكابوكي، وغيرها الكثير. ومنهم من ينسب الديانة البوذية في اليابان إلى الهند وكوريا، والعلوم العصرية والتكنولوجيا المتطورة في اليابان الحديثة إلى الاقتباس عن أميركا وأوروبا.

لكن الرد الياباني مقنع وحاسم بأن التراث الثقافي أوالإبداعي ليس ملكًا لصاحبه بل للإنسانية جمعاء. ويقدمون الدليل على أن عددًا كبيرًا من عظماء الثقافة والإبداع والفنون قد طردوا من أوطانهم الأصلية ولاقوا الترحيب لدى حكام وشعوب أخرى. ويضيف الباحثون اليابانيون أن اليابان اقتبست كل ما هو مفيد لها من تراث الشعوب الأخرى. لكنهم طوروا ذلك التراث وأعطوه سمة يابانية واضحة المعالم. فقد طوروا الكانجي الصيني، وأضافوا إليها لغة حروفية خاصة باليابان. كذلك طوروا الفنون الأخرى. وأنشؤوا ديانة الشنتو التي شكلت مسارًا خاصًا في الديانة البوذية التي تحجرت تحت وطأة طقوسها التقليدية.

منذ بداية الإصلاحات في عهد الإمبراطور المتنور مايجي في عام ١٨٦٨م. اعتمدت اليابان على ترجمة مكثفة من اللغات الأجنبيةإلى اللغة اليابانية لتثقيف الشعب الياباني بكل ما يستجد على الساحة العلمية والثقافية في مختلف دول العالم. وقد استمرت تلك السياسة بوتيرة متصاعدة حتى الآن. فقد دلت بعض الإحصائيات الدقيقة إلى أن نسبة الأبحاث والكتب المترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة اليابانية

> أولت اليابان اهتمامًا خاصًا بالترجمة منذ بداية نهضتها في أواسط القرن التاسع عشر حتى الآن . وما زالت من أكثر دول العالم سخاء في مجال تمويل الترجمة ، ودفع نفقات المترجمين ، وتنشيط مؤسسات الترجمة ، وصولاً إلى استخدام الترجمة الآلية المراقبة في السنوات القليلة الماضية

وبالعكس بلغت ٣٠ إلى ١ في الفترة ما بين ١٩٧٩ – ١٩٩٦م.

وحين أدركت الحكومة اليابانية الخلل الفادح في تلك النسبة، عمدت في السنوات الأخيرة إلى تشجيع وترجمة الكتب والوثائق والمقالات اليابانية إلى اللغات الأخرى. فقد أدخلت الحكومة اليابانية في برنامجها للعام المالي ١٩٩٩م بندًا خاصًا يتعلق بنشر اللغة والثقافة اليابانية في الخارج.

وشكلت لجنة من ثمانية باحثين يابانيين مرموقين لاختيار الكتب التي ستترجم من اليابانية إلى اللغات الأخرى. وقد اختارت الحقول الثقافية التالية: الثقافات المقارنة، الاقتصاد، تاريخ اليابان الثقافي المعاصر، الأدب الياباني، الفن الياباني، تاريخ الأدب المقارن الحديث، تاريخ العلوم،وغيرها.

وقد قررت اللجنة ترجمة ٣٢ كتابًا في عامها الأول منها سبعة إلى اللغة الصينية، وخمسة إلى كل من الإنكليزية والكورية، وكتابان إلى كل من الإيطالية والإندونيسية والإسبانية، وكتاب واحد إلى كل من الدانماركية والبرتغالية والألبانية والهنغارية والبلغارية والبولندية والروسية والفارسية.

وتوزعت عناوين الكتب المترجمة على الشكل التالي: ١٨ كتابًا أدبيًا، وثلاثة كتب في الفلسفة، وثلاثة كتب في التربية وعلم الاجتماع، وكتابان في الاقتصاد والإدارة، وكتابان في السياسة والحقوق،

وكتاب في التاريخ. وكتاب في الفنون، وكتابان في موضوعات شمولية. وقدمت الحكومة اليابانية مساعدة عينية بقيمة ١٣,٦ مليون ين لترجمة تلك الكتب عن اللغة اليابانية، و١٢,٢٥ مليون ين لدعم دور النشر في خارج اليابان. وفي ذلك توكيد واضح على الكلفة العالية جدًا التي تقدم للمترجمين. أما في مجال الاهتمام بمنطقة الشرق الأوسط بأكملها، فلم تساعد اليابان على ترجمة أي كتاب من اليابانية إلى العربية وغيرها من اللغات الشرق أوسطية طوال أعوام ١٩٩٤ – ١٩٩٦م ثم مولت ترجمة كتاب واحد عن اليابان إلى إحدى لغات الشرق الأوسط في أعوام ١٩٩٧– ١٩٩٩م.

بالمقابل، ساهمت في نشر كتابين عن اليابان في عامي ١٩٩٤م و١٩٩٤م، وكتاب واحد في عام ١٩٩٦م، وكتابين عام ١٩٩٧م، ولا شيء عام ١٩٩٨م، وكتاب واحد عام ١٩٩٩م.

مع ذلك خصصت الحكومة اليابانية مبلغًا جيدًا لترجمة روايات ريوتارو شيبا Ryotaro Shiba التاريخية لأنه الأديب الياباني الأكثر شهرة في مجال رسم صورة صادقة للشخصيات اليابانية التي لعبت دورًا بارزًا في نهضة اليابان الحديثة والمعاصرة.

ومنذ عام ٢٠٠٢م بدأت المؤسسات الثقافية اليابانية، تحت إشراف وزارة الثقافة في اليابان، بإعداد موازنة سنوية لتشجيع ترجمة التراث الياباني إلى اللغات العالمية. وقد خصصت الوزارة مبلغ ١٩٨ مليون ين للمساهمة في ترجمة ونشر الأدب الياباني عبر اللغات العالمية الحية. خصص مبلغ مماثل لعام ٢٠٠٤م بعد أن بدأت ملامح مشروع متكامل لترجمة كتب أساسية ومهمة تعبر عن شخصية اليابان أو خصوصيتها التاريخية والثقافية والفنية والعلمية والتكنولوجية والأدبية وغيرها. في عام ٢٠٠٤، أقرت مشروعا استثنائيًا لترجمة أكثر من ثلاثين كتابًا يابانيًا إلى اللغة العربية خلال السنوات الثلاث القادمة. وقد اختارت البدء بترجمة ستة كتب للأطفال، والإعداد لسلسلة من الكتب المترجمة في مختلف مجالات المعرفة والتي قد تصل إلى المئة كتاب مترجم مباشرة من اليابانية إلى اللغة العربية. وقد بدأت فعلاً بترجمة سلسلة لكتب الأطفال. وقد وصلت موازنة عام ٢٠٠٥م إلى ٣٢٨ مليون ين، وستكون الموازنة نفسها للعام المالي ٢٠٠٦م.

تجدر الإشارة إلى أن مؤسسة اليابان The Japan Foundation كانت المؤسسة الوحيدة التي أنيطت بها مسؤولية ترجمة ونشر التراث الثقافي الياباني عبر اللغات الأخرى. وقد لوحظ في السنوات الأخيرة أن وزارة الثقافة، ووزارة الاقتصاد والتجارة والصناعة في اليابان تقدمان دعمًا مهمًا للمؤسسات الأجنبية التي تعنى بترجمة ونشر التراث الياباني.

انطلقت فلسفة المشروع من أن اليابان لا يمكن أن تقدم نفسها مجددًا كقوة عسكرية عالمية بعد الهزيمة التي لحقت بها في الحرب العالمية الثانية وحولتها إلى دولة خاضعة للاحتلال الأميركي، ومحرومة من التسلح. يضاف إلى ذلك أن الباحثين اليابانيين قد نبهوا من مخاطر العولمة العسكرية التي تقودها الولايات المتحدة الأميركية بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١م تحت ستار مكافحة الإرهاب العالمي الذي تحول إلى إرهاب دولي تجلى بالاحتلال الأميركي للعراق دون موافقة الأمم المتحدة. لكن المشاركة اليابانية العسكرية إلى جانب الأميركيين في العراق، وهي محدودة جدًا ولأغراض سلمية فقط، انعكست سلبًا على الحكومة اليابانية بسبب ضغط الرأي العالم الديموقراطي الياباني الرافض لأي دور عسكري لليابان في عصر العولمة، والتحذير من مخاطر التسلح

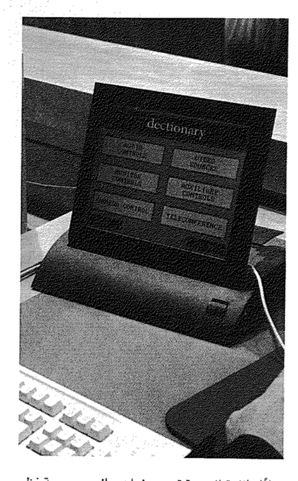
في عام ٢٠٠٤، أقرت مشروعا استثنائيًا لترجمة أكثر من ثلاثين كتابًا يابانيًا إلى اللغة العربية خلال السنوات الثلاث القادمة. وقد اختارت البدء بترجمة ستة كتب للأطفال، والإعداد لسلسلة من الكتب المترجمة في مختلف مجالات المعرفة والتي قد تصل إلى المئة كتاب مترجم مباشرة من اليابانية إلى اللغة العربية

مجددًا على حياة اليابانيين والاقتصاد الياباني.

لذلك تبنت اليابان فلسفة النهوض السلمي أو «القوة النظيفة Soft Power» التي تشجع النشاط الاقتصادي، والحلول الدبلوماسية وليس العسكرية للنزاعات التاريخية الموروثة، وكما تشجع نشر العلوم العصرية، والتكنولوجيا المتطورة، وثمرة ثورات البيو -وتكنولوجيا أو الجينيوم والإعلام والتواصل، وهي تحبذ التفاعل أوالحوار وليس الصدام بين الثقافات والحضارات.

تقوم فلسفة «القوة النظيفة» على أساس التركيز على الطاقة الإبداعية الخفية لدى الشعوب، وأبرزها التراث الثقافي، والقدرة على التواصل، والإبداع، والمقولات الإيديولوجية التي تبرز شخصية الأمة وتميزها عبر العصور، ووسائل نشر المعلومات المقروءة والمسموعة والمرئية، وتنشيط قطاعات الخدمات المدنية، وتشجيع المؤسسات الاجتماعية وغيرها.

نخلص إلى القول إن اليابان أولت منذ القدم اهتمامًا خاصًا بنقل تجارب الشعوب الأخرى إلى الشعب الياباني. وكانت الترجمة، والرحلات، والمشاهدات العيانية، والتصوير وغيرها. ولم يكتف اليابانيون بنقل تلك التجارب بل نشروها على نطاق واسع وحولوها إلى جزء لا يتجزأ من شخصية الإنسان الياباني، وهي شخصية مؤهلة للتعلم الدائم من تجارب الغير دون عقد أو مركبات نقص. فقد تبع اليابانيون نصيحة إمبراطورهم المتنور المايجي حين خاطبهم في بداية نهضة اليابان بقوله: «الحقوا بالغرب وتجاوزوه». فلحقوا به كتلميذ نجيب، وتجاوزوه على قاعدة الحكمة العربية الشهيرة «رب تلميذ فاق معلمه». وهذا ما أشار إليه المفكر العربي المعروف مالك بن نبي بقوله « لقد ترجم اليابانيون واقتبسوا الكثير عن التراث الصيني. ثم ترجموا واقتبسوا بصورة أكثر عن التراث الغربي، بشقيه الأوروبي والأميركي». وهم يترجمون الآن الكثير من روائع التراث العربي والهندي والإفريقي وغيره. ولديهم جامعات ومراكز أبحاث متخصصة في مختلف حقول الترجمة والمعرفة. يكفي التذكير بأن الباحث الياباني المعروف نوبو أكي نوتاهارا الذي ترجم الكثير من آداب العرب إلى اليابانية قد أصدر عام ٢٠٠٢م



كتابًا باللغة العربية تحت عنوان: «العرب،وجهة نظر يابانى».

ملاحظات ختامية ، دروس مستفادة للعرب

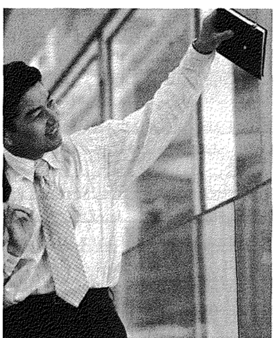
لقد باتت الترجمة على جدول العمل اليومي لغالبية دول العالم، وبات القارئ على اطلاع يومي بآراء عدد كبير من الباحثين، والمحللين، في الداخل والخارج، من خلال الصحف المحلية والعالمية، وأجهزة الإعلام كالراديو، والتلفزيون،والإنترنيت، وغيرها.

لذا باتت الحاجة ماسة إلى جعل الترجمة بمنزلة ساحة حقيقية لتفاعل الثقافات والآراء والمقولات السياسية والفكرية والطبية وغيرها. وبعد أن أصبحت الحاجة ملحة لانسياب الأفكار الدقيقة عبر وسائل الإعلام أصبحت الترجمة اليوم تحتل المرتبة الأولى في الإعداد الجيد لأجيال متعاقبة من المترجمين الذين يتقنون بمهارة أكثر من لغة حية، وبشكل خاص اللغة التي يترجمون عنها واللغة التي يترجمون إليها. وستؤدي الآلات العصرية المستخدمة في الترجمة الفورية دورًا ملحوظًا في تسهيل مهمة

المترجمين دون أن تلغي الدور الأساسي للمترجم في صياغة الأفكار والمقولات العلمية الدقيقة وتقديمها إلى القارئ بلغة مشرقة. فالترجمة علم وفن، وهي تحتاج إلى ثقافة معمقة في موضوع البحث، وإلى إبداع حقيقي في نقل المقولات العلمية الواردة فيه وليس مجرد إلباسها ثيابًا لغوية جديدة. كما تحتاج إلى اعتماد أسلوب خلاق في شرح المضامين الواردة في النص الأصلي، وإلى إظهار ثقافة المترجم وسعة اطلاعه في الموضوع الذي يترجمه. وهنا لابد من التنبيه إلى مخاطر تدخل المترجم الشخصي في مقولات المؤلف، أو إعطاء تفسيرات غير دقيقة لها، أو تضمين النص المترجم آراء المترجم التي قد لا تتوافق مع آراء صاحب النص الأصلي.

أخيرًا، وبعد أن بلغت حركة الترجمة آفاقًا واسعة في أواسط القرن العشرين عادت فتراجعت في نهايته إلى الحدود الدنيا، مما أعاد العرب ثقافيًا إلى مرحلة لا تبشر بمستقبل زاهر. فهم يعيشون مرحلة إحباط سياسي، وتشوش الرؤى المستقبلية، وحنين إلى ثقافة أصولية وحيدة الجانب وترفض التفاعل مع الثقافات الأخرى من طريق الترجمة والحوار الثقافي المباشر.

لكن من الصعب إيجاد تواصل ثقافي عميق ومباشر بين جميع الدول والشعوب العربية دون اللجوء إلى الترجمة كأسلوب ناجع لجعل اللغة العربية أداة التواصل الثقافي الأساسية بين العرب، دون إغفال

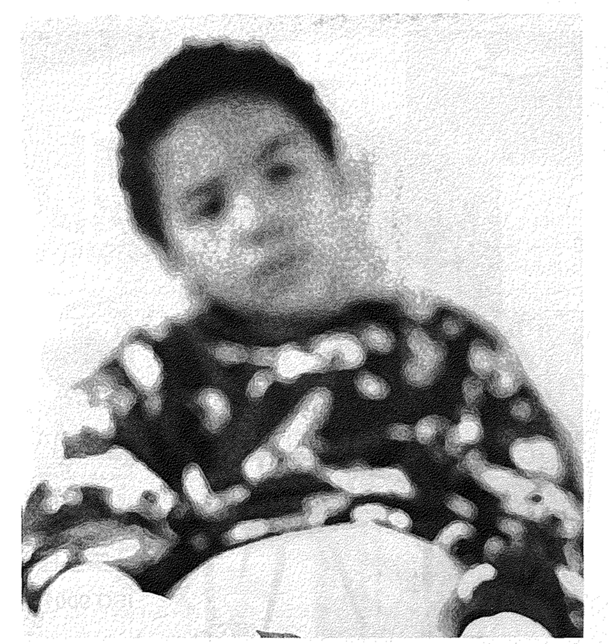


للغات الحية الأخرى كنوافذ ثقافية وحضارية لا غنى عنها في عصر العولمة والنظام العالمي الجديد. لكن الأشكال المتنافرة من الترجمات التي اعتمدت في غالبية الدول العربية ساهمت في زيادة حدة البلبلة الثقافية بين العرب، قطريًا وقوميًا، بسبب غياب القرار السياسي الذي يوحد بين الشعوب العربية ولجوء كل دولة عربية إلى تبني مصطلحات ومفاهيم خاصة بكل قطر، ومنها ما يفهم على غير مدلولاته السليمة في القطر الآخر.

يضاف إلى ذلك أن جهود المنظمات والمؤسسات القومية العربية الشمولية، والمجامع اللغوية العربية لم تكن كافية في مجال توحيد تلك المصطلحات، وذلك رغم وفرة المؤتمرات التي عقدت لهذه الغاية، وكثرة التوصيات التي صدرت وبقيت جميعها دون تنفيذ. كما أن فشل مسألة الترجمة والتعريب في الوطن العربي يندرج في سياق فشل النظام الإقليمي العربي في بناء الوحدة القومية على أسس ديموقراطية سليمة. وبالتالي، فالحل السياسي لهذه المسألة يتطلب بناء نظام إقليمي عربي جديد يتخذ اللغة العربية قاعدة لبناء ثقافة قومية عربية شمولية ذات أبعاد إنسانية بالدرجة الأولى، دون أن يقيم هذا النظام متاريس لغوية عنصرية ضد اللغات والثقافات الأخرى في داخله، أو يتنكر لحوار الثقافات التي تنتجها باقي شعوب العالم عبر مختلف لغاتها الحية. فالوحدة اللغوية،بالمفهوم العلمي الثقافي وليس بالمفهوم الإيديولوجي أو العرقي ،ليست مقولة عنصرية كما يزعم بعض الباحثين الذين يرفضون مبدأ التوحيد القومي العربي من منطلق العروبة الثقافية التي تشكل اللغة إطارها الحضاري. دليلنا على ذلك أن غالبية دول العالم المتطور تعتمد لغة قومية واحدة في مجال التعليم، والإدارة، والتوثيق الرسمي، والتربية والتعليم، وغيرها. وبعد تحصين اللغة الأم تحرص تلك الدول على ضرورة تعليم أبنائها أكثر من لغة حية، سواء في مرحلة التعليم الابتدائي، أو في المرحلة الثانوية. وعلى الجامعات أن تولي تدريس اللغات الحية، إلى جانب اللغات القديمة أو الحضارية،أهمية استثنائية لتخريج أجيال متعاقبة من الباحثين الشبان الجدد الذين يتقنون أكثر من نافذة لغوية للاطلاع على ثقافات الآخرين، وترجمة علومهم، وإنجازاتهم الحضارية.■

الزهور تعالج الاكتئاب!!

مختار مصطفى محمد - مصر



مفهوم الاكتئاب يشوبه خلط كبير بالنسبة لعامة الناس، فنجد كثيرين يشتكون مرورهم بحالة من الاكتئاب في حين أن الحقيقة لا تتعدى حدوث تغيير طفيف في أمزجتهم ناتج عن حزن أو غضب أو أي موقف عارض. فالاكتئاب في مفهومه العلمي ليس حالة طارئة.

ولا نبالغ إذا قلنا إن الاكتئاب من أكثر الأمراض المنتشرة في العالم حيث يعانيه حوالي ثلث المترددين على عيادات الأمراض النفسية. وهناك اعتقاد خاطئ بأن الاكتئاب مرتبط بضعف في الشخصية، وهو ما ينفيه كون كثير من عظماء التاريخ وقادة العالم أصيبوا بالاكتئاب. ومن المفاهيم الخاطئة المرتبطة بالاكتئاب (أيضًا) الظن بأن التغلب عليه يكون بقوة الإرادة والسفر وتغيير نمط الحياة في حين أن الاكتئاب ليس مجرد مزاج حزين يتمكن الفرد من التخلص منه بإلهاء نفسه أو بتقوية الإرادة، بل إن هذا المفهوم الخاطئ يدفع بكثير من المصابين بداء الاكتئاب إلى الشعور بضعف الشخصية وانعدام الثقة بالنفس مما يزيد من حدة الأمراض نفسها!!

لذلك لا يصلح من الناحية العلمية أن يصف إنسان نفسه أو شخصًا آخر بأنه مكتئب، فعلماء النفس المختصون حددوا عشرة من الأعراض إذا انطبق خمسة منها على شخص ما لمدة أسبوعين متتاليين (على الأقل) فإنه يصبح مكتئبًا من الناحية العلمية، وهذه الأعراض هي:

- فقد الإحساس بالسعادة في معظم أو كل نشاطات الحياة.
- نقص ملحوظ في الوزن أو زيادة ملحوظة كذلك.
- عدم القدرة على النوم أو زيادة عدد ساعات النوم بشكل ملحوظ.
- اضطرابات حركية.
- إجهاد عام وفقد للطاقة.
- عدم القدرة على التركيز.
- الإحساس بالزيف.
- عدم الاكتراث بالملبس أو المظهر.
- الانطواء والبعد عن المجتمع.

- التفكير في الانتحار أو محاولة الانتحار.

أسباب مباشرة وثانوية

وعلى الرغم من أن مرض الاكتئاب هو من أكثر الأمراض النفسية شيوعًا في العالم فإن الطب الحديث لم يتوصل إلى معرفة الأسباب المباشرة والحقيقية للإصابة به، ولكن توجد نظريات وملاحظات تدل على بعض أسبابه، منها:



- وجود نقص أو تغيرات في الموصلات العصبية.

- وجود تغيرات غير طبيعية في حساسية المستقبلات الموجودة على غشاء الخلية العصبية والتي تتحكم في نقل أو تأثير الناقلات والهرمونات وجميع المواد الكيميائية الموجودة في المخ والتي تؤثر في فعاليات ووظيفة الخلية العصبية.

- وجود تاريخ سابق للإصابة بالاكتئاب عند الشخص نفسه أو عند عائلته ولكن توجد أنواع من الاكتئاب لا ترتبط بأية آثار موجودة في العائلة.

- وجود ضغوط نفسية شديدة في حياة الشخص، فالإجهاد النفسي وضغوط الحياة من أهم الأسباب التي تسبب حدوث مرض الاكتئاب ولكنها في الغالب غير كافية لتطور المرض، بل ربما تكون ضغوط الحياة السبب في ابتداء المرض وحتى يتمكن المرض من الإنسان تكون الاستعدادات الوراثية والعضوية سببًا رئيسيًا له.

وفي رؤية مغايرة يرى الخبراء أن هناك كثيرًا من الأمراض التي تصيب الجسم وتسبب بطريق مباشرة أو غير مباشرة الإصابة بالاكتئاب كعرض أو مرض ثانوي لتلك الحالة، ومثال ذلك:

- بعض أمراض الغدد الصماء كمرض السكر واضطرابات الغدة الدرقية.

- بعض الأمراض الروماتزمية كالتهاب المفاصل.

- بعض الأمراض السرطانية الخبيثة كسرطان الرئة والثدي والبنكرياس وغيرها.

- بعض أمراض الجهاز العصبي كشلل الرعاش وجلطات الدماغ والتصلب المتعدد وغيرها.

- بعض الآثار الجانبية لأنواع من الأدوية كالكورتيزون وبعض مضادات ارتفاع ضغط الدم وغيرها.

ومن أطرف الأسباب التي تتعلق بالاكتئاب وأغربها ما ذكرته دراسة أجريت مؤخرًا في بريطانيا أظهرت أن الأطفال الذين يولدون بوزن قليل وحجم صغير قد يواجهون خطرًا أعلى للإصابة بأعراض الاكتئاب مستقبلاً. فقد اكتشف

الباحثون في جامعة «بريستول» وكلية «لندن» للصحة وجود علاقة قوية بين من يولدون صغارًا في الحجم والإصابة بالكآبة في حياتهم اللاحقة بعد بلوغهم، وأوضح الخبراء أن هذه الظاهرة ترجع إلى أن الوقت الذي يقضيه الأطفال الصغار في الحاضنات قد يسهم في إصابتهم بالتوتر وهو ما يؤثر في حيوتهم ونشاطهم وصحة أجسامهم عندما يكبرون!!

علاقات أكيدة

خلال المؤتمر السنوي لجمعية أطباء القلب الذي عقد في مدينة «مانهاتم» الألمانية أكد خبراء أمراض القلب أن هناك علاقة وثيقة بين حالات الاكتئاب وزيادة مخاطر الإصابة بجلطات القلب. ويذكر الأطباء أن الاكتئاب أصبح من العوامل المسببة للجلطات مثل العوامل الأخرى كارتفاع ضغط الدم، وزيادة نسبة الدهون في الجسم، والوزن الزائد.

وهناك مشكلة كبرى أخرى مرتبطة بالاكتئاب أيضًا وهي مشكلة الضعف الجنسي، ويقدر العلماء أن نسبة ٨٠٪ من الحالات المصابة بالضعف الجنسي ناتجة عن أسباب عضوية منها أمراض القلب والسكري في حين تشكل الأمراض والمشكلات النفسية نسبة الـ٢٠٪ الباقية من العوامل المسببة للمرض. وقد كشفت دراسات حديثة أن حالات إصابة مرضى الاكتئاب بالمرض الإكلينيكي في ازدياد مستمر، حيث يوجد ثلاثة بين كل عشرة مرضى يعانون أحد أمراض الاكتئاب. وتقدر الإحصائيات أن نحو ٢٨٪ من الرجال الذين يعانون الاكتئاب سوف يعانون بدرجة ما الضعف الجنسي كنتيجة مباشرة لحالتهم المرضية. لقد قام باحثون من معهد «نيو إنجلاند للأبحاث» في الولايات المتحدة الأمريكية بإجراء إحدى الدراسات التي تعرف باسم «Massachusetts male going study» للتحقق من تأثير الاكتئاب على الضعف الجنسي، وكشفت الدراسة أن معدل انتشار المرض قد يصل إلى عدد كبير من الرجال الذين لديهم أعراض اكتئابية مقارنة بأولئك الذين ليس لديهم هذه الأعراض.

العلاج بالزهور

توجد طريقتان معروفتان ومهمتان لعلاج الاكتئاب، ولكن أفضل أسلوب للعلاج (بحسب الطب النفسي) هو استخدام الطريقتين معًا فقد لا تغني إحداهما عن الأخرى:

- العلاج النفسي: وهو استخدام الجلسات النفسية وهو مفيد جدًا ومكمل للعلاج الدوائي، ولكنه في أكثر الأحيان لا يغني عنه وهو يستخدم غالبًا لعلاج الحالات البسيطة التي لا تحتاج لعلاج دوائي.
- العلاج الدوائي: وهو العلاج الرئيس في الغالب ولكنه ليس على الإطلاق، ويجب أن نتذكر أن الاستجابة للعلاج الدوائي وكذلك للجلسات النفسية لا تجنى ثمارها إلا بعد مرور أسبوعين على الأقل وأحيانًا بعد ستة إلى ثمانية أسابيع.

وهناك دراسات حديثة أفادت بأن هناك طرقًا أخرى مساعدة أطرفها: العلاج بالزهور!! حيث أظهرت دراسة جديدة في جامعة «نيو جيرسي» الأمريكية أن ثلث باقات الورد والأزهار المختلفة يعزز الإحساس بالسعادة عند الإنسان ويقوي قدراته على التواصل الاجتماعي مع الآخرين ويزيل أعراض الاكتئاب، كما أن هناك دراسة أخرى تمت في مركز «ساوث ويسترن» الطبي بجامعة «تكساس» الأمريكية أظهرت أن التمرينات الرياضية تساعد في تقليل أعراض الكآبة والإحباط إلى حد كبير، حيث تبين أن أعراض الكآبة قلت بحوالي ٥٠٪ عند الأشخاص الذين مارسوا الرياضة لمدة نصف ساعة فقط يوميًا، وفي جامعة «روشيستر» الأمريكية اكتشف باحثون أن النوم قد يكون العلاج الفعال المنشود للتخلص من أمراض الكآبة بعد أن ثبت أن للأرق دورًا رئيسيًا في الإصابة بهذه الاضطرابات النفسية. ▪

ألبوم الصور

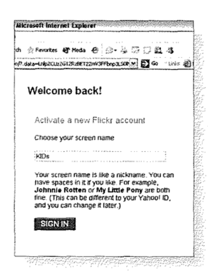
www.flickr.com

في كثير من الأحيان وخلال تصفحنا للإنترنت، نحتاج لرفع صورة إلى موضوع معين أو لعرضها على الأصدقاء، لذا تتوفر العديد من المواقع التي توفر خدمة رفع الصور بالمجان ولكن هذه المواقع غالبًا ما تكون إما لعرض الصورة لوقت محدد (بعدها يتم إلغاؤها من النظام) أو تتطلب تسجيلاً لرفع أنواع مختلفة من الملفات لمواقع الإنترنت، (وذلك يفيدنا في فتح حساب شخصي لفهرسة الصور والملفات)، ولكن لا نجد العديد من المواقع التي تختص فقط برفع الصور وتمكننا من فتح حساب شخصي لكي نرجع إلى صورنا في أي وقت.

حصلنا على هذا الموقع التابع لشركة ياهوو الشهيرة الذي يقوم بتخصيص صفحة خاصة بك لتقوم برفع صورك إليها، وتوفر لك العديد من الميزات منها فهرسة الصور وإدراج تعليقات ومسميات على الصور. كذلك زوار صفحتك الشخصية يمكنهم ترك تعليقاتهم الشخصية حول الصور، وقد تم الحديث عن هذا الموقع في مجلات وصحف مختصة. وسنتحدث لاحقًا في هذه الفقرة عن مميزات أخرى لهذا الموقع لكن بعد تسجيل حساب والدخول إلى الموقع.

عند الدخول إلى الموقع لأول مرة قم بالنقر على زر Sign up now وسيتم سؤالك عن اسم المستخدم والرقم السري الخاص بالياهوو. وإذا لم يكن لديك حساب في الياهوو، فقم بالتسجيل للحصول على حساب مجاني يخولك الحصول على مساحة في موقع فليكر.

بعد الدخول إلى حسابك في الياهوو سيحولك إلى صفحة البداية التي من خلالها تقوم باختيار عنوان للصفحة الخاصة بك، وتستطيع أيضًا جعل عنوان الصفحة كاسم المستخدم في الياهوو، في حال كون اسم المستخدم قد تم أخذه من قبل. قم باختيار أحد الاقتراحات المقدمة أو قم باختيار اسم جديد.

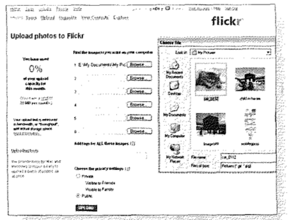


عند دخولك لصفحة التعديل على المساحة ستجد أمامك عدة خيارات أولها تحميل الصور مباشرة، أو التعديل على الملف الشخصي، أو تصفح الموقع، أو الذهاب إلى الصفحة الرئيسية لمساحتك الشخصية.



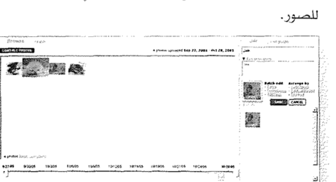
لنبدأ سويًا برفع الصور إلى الموقع وذلك عن طريق الدخول إلى صفحة تحميل الصور وستجد لوحة تحكم سهلة لرفع الصور عن طريق استعراض النظام للبحث عن الصور، ومن ثم قم باختيار الصورة المطلوبة، ومن على جهة اليسار ستجد النسبة المئوية التي استخدمتها من مساحتك المجانية.

في أسفل الصفحة يوجد خيار لكتابة تعريف للصورة وذلك لتسهيل العثور عليها لاحقًا عند البحث عنها، وكذلك الخيار الأهم وهو تحديد خصوصية هذه الصورة، فإذا رغبنا بجعل الصورة ظاهرة لكل المتصفحين نختار Private أو أن تكون ظاهرة فقط للأصدقاء أو للعائلة أو أن تكون مخفية تمامًا. وبعد ذلك قم بالنقر على Upload لرفع الصورة.



بعد رفع الصور، ستظهر لك صفحة تطلب منك كتابة تعليق عند رغبتك في ذلك، واسم للصورة وكذلك كلمة لفهرسة الصور لتسهيل البحث عنها، وعند الانتهاء قم بالنقر على زر save لحفظ الإعدادات.

في أعلى الصفحة ستجد عدة خيارات منها Organize والذي سينقلك إلى صفحة منظم الصور الذي يسهل عليك مهمة استعراض الصور والتعديل عليها وترتيبها بشكل سهل وسريع. فمن خلال النقر على أي صورة ستفتح لك صفحة التعديل عليها قم بتغيير الخيارات من حيث التعليق واسم الصورة وخصوصيتها. وكذلك وضع الصور في مجموعات متشابهة عن طريق السحب والإفلات للصور.



كذلك من خلال خيار Your Account أعلى الصفحة تستطيع التعديل على ملفك الشخصي ومعلومات عنك وإضافة صورة شخصية تقوم بتمييز صفحتك عن باقي المستخدمين.

ويمكن لزوار صفحتك التعليق على الصور التي قمت برفعها، وإبداء رأيهم وتعليقاتهم حولها، وأنت كذلك تستطيع مشاهدة الصور المعروضة من قبل الأشخاص الآخرين والتعليق عليها. كذلك يوفر الموقع نسخة خاصة بتصفح الإنترنت من خلال الهاتف النقال والكمبيوتر الكفي لرفع الصور التي يتم التقاطها عن طريق كاميرا الهاتف.

مايكروسوفت وورد

نورد هنا أحد مميزات برنامج مايكروسوفت وورد التي تجعل التعامل مع النصوص أسهل وأكثر حرفية، فلقد طوّر البرنامج ميزة تظليل الكلمات أو الجمل بلون مختلف والمقصود بذلك تمييزها عن بقية النص لأهميتها أو للرجوع إليها لاحقًا، فكما نفعل بالأقلام المخصصة لذلك في الكتب وأيضًا المقالات التي نقرؤها في الصحف، نستطيع عمل نفس الشيء في نصوصنا التي نكتبها بأنفسنا، ونستطيع طباعتها أيضًا.

ولتمييز نص أو جملة قم بتظليلها بمؤشر الفأرة، ومن ثم قم بالنقر على زر التمييز وسيقوم بتحديدها باللون الأصفر. تستطيع أن تغير اللون الذي تريد تظليل الجملة به عن طريق النقر على السهم الصغير بجانب الرمز واختيار اللون الذي تفضل، وسيتم طباعته أيضًا بنفس اللون.

تجد هذا الزر بجانب أزرار تنسيق النص من نوع الخط ولون النص وغيرها، وإذا لم تكن الميزة متوفرة في هذا الوقت فقم بالنقر على شريط الأوامر بالزر الأيمن للفأرة على شريط الأدوات وقم باختيار (تنسيق) وستظهر قائمة التنسيق.

برنامج مفيد V Tuner

الحجم : ٤،١٧ ميغابايت

الموقع : www.vtuner.com

تحدثنا في الأعداد السابقة عن برامج تقوم بمهمة التلفاز ومحطات الإذاعة على الكمبيوتر، وفي هذا العدد سنتحدث عن برنامج جديد يقوم بنفس المهمة وهي استعرض قنوات التلفزة الفضائية العالمية ومحطات الإذاعة.

قم بتحميل البرنامج لتجربته، وستلاحظ سهولة في التعامل مع القليل من الإمكانات التي تعودناها في البرامج السابقة، لكنه يؤدي المهمة بنجاح !!

هذا البرنامج يقوم باستعراض المحطات عن طريق برامج الملتيميديا الموجودة لدينا كالريال بلاير والميديا بلاير. فعند النقر على أي محطة أو قناة سيقوم بفتح البرنامج المخصص بذلك واستعراضها. وعلى حسب سرعة الاتصال بالإنترنت لديك ستكون نقاوة الصوت والصورة.

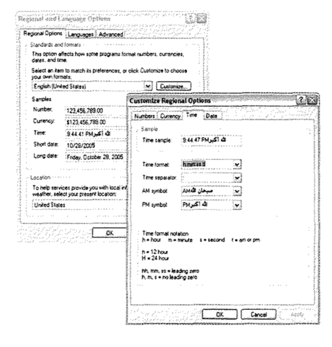
من أحد عيوب هذا البرنامج أنه في حال البحث عن محطات تابعة لدولة معينة، فإنه يدمج محطات التلفزة ومحطات الإذاعة، بحيث يصعب علينا البحث عن القناة أو الإذاعة المطلوبة.

للبحث عن أي محطة قم بالنقر على زر «Search» واكتب اسم المحطة أو الدولة التابعة لها وسيقوم بعرض القنوات والإذاعات المتوفرة.

أفكار وحيل



تستطيع أن تكتب اسمك أو أي عبارة قصيرة بجانب الساعة أسفل الشاشة. وهذا يتم بطريقة سهلة، قم بفتح قائمة ابدأ فقط، ومن ثم انقر على تشغيل Run واكتب العبارة التالية: (intl.cpl) عندها سيفتح مربع تحكم الخاص بإعدادات الوقت واللغة أو من خلال خيارات اللغة في لوحة التحكم. من نافذة خيارات اللغة قم باختيار الإعدادات customize للدخول على مربع التحكم بالوقت والتاريخ، ومن ثم قم بسدل نافذة الوقت. وفي خانة ترميز الوقت قم بكتابة العبارة التي تفضل بجانب كلمة صباحًا أو مساء.



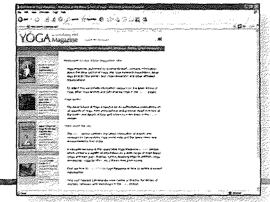
سؤال وجواب

- كيف يمكنني حساب الوقت الذي قضيته في عمل مشروع ما، أو العمل على برنامج معين؟

يمكن أن تقوم بحساب الوقت الذي تقضيه في العمل على مشروع معين أو أي برنامج على النظام. وذلك يفيد في حالات عديدة كتحديد الوقت الذي قضيته لكي تقوم بتحديد السعر المناسب لزبائنك أو حتى لمعرفة مدى تطورك في تنفيذ المشروعات. يمكنك عمل كل ذلك من خلال برنامج MapleXP الذي يبلغ حجمه ١,٥٢ ميغابايت.

تستطيع تحميل هذا البرنامج بالمجان من الموقع الرئيسي www.veex.net

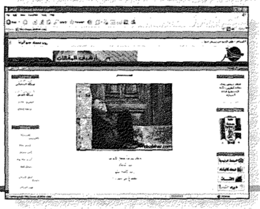
مواقع مميزة



مجلة اليوغا

☞ www.yogamag.net

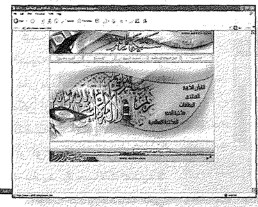
مجلة تهتم برياضة اليوغا التي تطورت من مجرد رياضة روحية يهتم بها بعض سكان الدول الآسيوية إلى رياضة يتهافت الكثير في العالم على تعلمها.



الساخر

☞ www.alsakher.com

موقع الساخر الشهير، الذي يطرح قضايا جادة، ويناقشها بشكل ساخر، يستضيف الموقع العديد من المشاهير في العالم العربي.



منتدى الريم الاسلامي

☞ www.reeem.com

منتدى يهتم بالنقاش في الموضوعات المختلفة بطابع إسلامي، يضم العديد من الأبواب والمنتديات المفيدة للأسرة.



البيطرة العربية

☞ www.arabvet.com

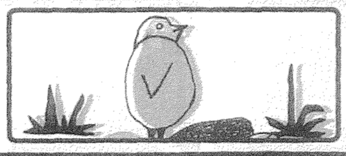
موقع متخصص في الطب البيطري وصحة الحيوان يقوم عليه نخبة من الأطباء البيطريين العرب للرد على استفسارات الأعضاء بخصوص حيواناتهم الأليفة.

تجربة تربوية من تونس

الطفل يكتب للطفل

محمد فالح الجهني - المدينة المنورة





التأليف والرسوم
متعلمو السنة الثانية أ بمدرسة 2 مارس بوشمة - قابس
ومعلمهم : المختار ناجي

الإشراف التربوي : البشير الهاشمي متفقد جهوي للتعليم الإبتدائي

نشر « جمعية العمل التنموي » بمدرسة 2 مارس بوشمة قابس - (تونس)

تجربة «الطفل يكتب للطفل» انبثقت نظريًا من قولة الفيلسوف المسلم ابن سينا: «إن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس وأدعى للتعلم».

- المدرسة، من خلال تجربة الطفل يكتب للطفل، تنشط الوظيفة التخيلية لدى الطفل وتربيها، فقصص السلسلة ومعظم قصص الأطفال، تعتبر إنتاجًا خياليًا يستجيب لهذه الغاية. فالتخيل هو مادة الرسام والشاعر والقاص وهو السبيل إلى الابتكار والتجديد.

- إن إنتاج القصة المدرسية - في إطار هذه السلسلة - نشاط فيه إشباع لعدة ميول طفولية، كالتعلق بأعاجيب الخيال، والرغبة في التخاطب مع الغير، والتعاون مع الآخرين، والشوق إلى الابتكار والتعبير الحر، لكن الحاجة الأهم في هذا الإطار هي تلك المتصلة بالحرص على توكيد الذات، والتوق إلى سن الرشد، وتقليد الكهل.

- جميل جدًا أن ينخرط الأطفال في إنجاز حقيقي يمرون فيه بمحطات واقعية، وهذا ما يوفره مشروع القصص المدرسية «الطفل يكتب للطفل» من خلال: تصميم المشروع، وإنتاج القصة، وطبع الكتاب، وترويج البضاعة... إنها الطريقة التي تحرر العمل المدرسي من خناق «المجانية» وترقى به إلى رحاب «الوظيفية».

لطالما واجه التربويون والأدباء، على حد سواء، سؤالاً مفاده: من يكتب للطفل؟ والتجربة التربوية التالية، تجربة مدرسية عربية فريدة، تحاول تقديم جواب مقنع شاف لهذا السؤال، بما ترتكز عليه من قواعد تربوية ثابتة، وبما تتضمنه من مهارات وسلوكيات وقيم للعمل الجماعي يتعلمها التلميذ ميدانيًا. وبعد عشر سنوات من انطلاقة هذه التجربة التربوية الفريدة، قدم صاحبها ومبتكرها إلى المدينة المنورة زائرًا، عاقدًا العزم على استثمار فرصة وجوده في المملكة العربية السعودية بنشر هذه التجربة وفكرتها في المشرق العربي.

حلَّ الأستاذ البشير الهاشمي ضيفًا عزيزًا بين منسوبي كلية المعلمين بالمدينة المنورة ليشرح، بإسهاب واحدة من أكثر تجاربه ريادية ونجاحًا في تونس وهي تجربة «الطفل يكتب للطفل» أو «مشروع القصص المدرسية».

مشروع وتجربة

بداية أجمل البشير الهاشمي فكرة «الطفل يكتب للطفل»، بأنها سلسلة قصصية وتجربة مدرسية ينتج تلاميذ المدرسة الابتدائية من خلالها، قصصًا مقروءة لأقرانهم، بحيث ترعى المدرسة هذه القصص بالطبع والنشر. موضحًا أن هذا الإنجاز التربوي قد بدأ بالدائرة الثانية للغة العربية في قابس بتونس، خلال العام الدراسي ٩٣/١٩٩٤م، وأنتج التلاميذ خلال السنوات الماضية العشرات من العناوين الموزعة على مختلف مستويات المرحلة الابتدائية من الصف الأول حتى الصف السادس.

ثم أوجز البشير الهاشمي التقنية التربوية المستخدمة في إنتاج كل قصة، فهي تتمثل في الاتفاق مع مجموعة من تلاميذ فصل من فصول المدرسة الابتدائية على منطلق معين لكتابة وإنتاج قصة، ينشط المعلم خلاله عملية الإنتاج لعدة أسابيع، فتبنى حلقات القصة تدريجيًا، مرورًا في كل طور بعمل فردي، فعمل جماعي، وعندما ينهي المؤلفون الصغار مشروعهم نصًا ورسومًا، يقدمونه للطبع والنشر ثم يتابعون توزيعه وترويجه للبيع في المكتبات، ثم يقومون بجمع ومراجعة ما أثير حوله من آراء ونقد في الصحافة ووسائل الإعلام وتقييم المسؤولين في الجهاز التربوي له، وأخيرًا تحويله إلى أعمال مسرحية ودرامية مختلفة. معنى هذا أن هذه التجربة تتضمن عددًا من المهارات والتجارب الفرعية الميدانية، كالتأليف والإعداد والرسم والطبع والنشر والنقد والتقييم والتمثيل والإخراج. ويجمل الهاشمي المرتكزات الفكرية الفلسفية والمنطلقات النظرية التربوية لهذه التجربة بما يلي:

مبدأ إسلامي

أوضح الهاشمي أن تجربة «الطفل يكتب للطفل» انبثقت نظريًا من قولة الفيلسوف المسلم ابن سينا: «إن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس وأدعى للتعلم». فالهاشمي يرى أن قولة ابن سينا هذه تعني حتمًا أن تفاعل الطفل مع الطفل أعمق من تفاعل الطفل مع الكهل، وهذه الفكرة ثبت صحتها على مر القرون في التربية والتعليم بعدة كيفيات يذكر الهاشمي منها بما يلي:

- شاع في مؤسسة الكتاب التعليمية الإسلامية القديمة، أسلوب تربوي مجد للغاية، مفاده أن يكلف المؤدب

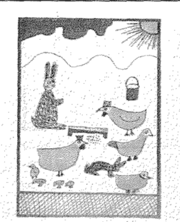
في الكتاب - وبقصد- من حين لآخر، أكثر التلاميذ نباهة برعاية أنشطة رفاقه؛ وذلكم هو التلميذ الذي كان يسمى «العريف».

-عرف العمل المدرسي خلال القرن التاسع عشر في بعض البلدان الأوروبية أسلوبًا ينعت بالتعليم التعاوني، وهو ذلك الأسلوب التعليمي الذي ينطوي على استعانة المعلم في التدريس بمدربين يختارهم من بين التلاميذ الأكبر سنًا والأكثر معرفة، ويتمثل دور هؤلاء المدربين الصغار في رعاية مجموعة من الصبيان ومساعدتهم على اكتساب أجزاء من البرنامج المقرر. ويشهد الباحثون التربويون حول العالم أن هذا النمط من التعليم القائم على علاقة مباشرة بين الطفل والطفل يحقق نتائج إيجابية على عدة مستويات.

- من التقنيات النشيطة التي تدعو إليها التربية الحديثة، تمكين المتعلمين - من حين لآخر- من القيام بعروض في مواضيع درسوها أمام جمهور من الأطفال. ويرى المختصون أن في هذا أسلوبًا ييسر الانتباه الإرادي ويشده لدى المخاطبين، لأن الرغبة في الاستماع إلى محاضر/زميل أقوى من الرغبة في الإنصات إلى كهل/رئيس.

- من التحديات التي تواجهها مدرسة اليوم اعتبار الفروق الفردية لدى متعلمي الفصل الواحد، حيث يختلف أفراده بعضهم عن بعض في المستوى ونسق العمل على الأقل. ووضعية كهذه يستحيل فيها على المربي الكهل أن ينجح في رعاية كل أصناف التلاميذ بالاستجابة إلى حاجاتهم المتعددة والمختلفة لذا يجمع المربون والميدانيون على أن الحل الأنجع في هذه الصيغة هو اللجوء إلى الاستعانة بطلاب متميزين توكل إليهم مهمة متابعة أعمال بعض المجموعات.

- كان جان جاك روسو أول من تنبه، في ثورة تربوية، إلى أن هناك خطأ تربويًا شائعًا يتمثل في الاعتقاد بالتماثل بين الطفل والكهل! وكانت قولته الشهيرة التي صدع بها آنذاك:«ليس الطفل رجلاً مصغرًا»، تلخص جملة من الحقائق السيكولوجية التي كشف عنها علم النفس الحديث؛ فقد أثبت المختصون السيكولوجيون اليوم أن الطفل يختلف عن الكهل بنظرة خاصة للأشياء وببناء تكويني نفسي معين. لذا من الطبيعي أن يفلح أحيانًا طفل في شرح مسألة لأنداده، في حين يعجز الكهل عن تحقيق نفس النتيجة.



تربي أمي دجاجًا وبطًا
وأرانب في مدجنة كبيرة.
قبل الربيع بأيام نادتني أمي
وقالت لي:
تعالي أعلمك كيف تربين الفراخ.
أعدت أمي عشًا وقالت لي:
خذي البيض وضعيه في عش
الدجاجة البيضاء.
ففعلت.
حضنت دجاجتي البيض واحدًا
وعشرين يومًا.

تخيل منتج

يؤكد الهاشمي أن المدرسة، ومن خلال تجربة الطفل يكتب للطفل، تنشط الوظيفة التخيلية لدى الطفل وتربيها، فقصص السلسلة ومعظم قصص الأطفال، تعتبر إنتاجًا خياليًا يستجيب لهذه الغاية. ويوضح الهاشمي أن التخيل المنتج قوة تتصرف في الصور الذهنية بالتركيب والتحليل والزيادة والنقص، فالتخيل هو مادة الرسام والشاعر والقاص وهو السبيل إلى الابتكار والتجديد. وللخيال دور عظيم في تقدم الإنسان عبر العصور. إنه الكهرباء التي شدت - ولا تزال تشد- نسيج النشاط البشري في كل الميادين؛ والتراث البشري زاخر بالأمثلة الشاهدة بدور الخيال في تقدم البشرية، التي يورد الهاشمي منها:

- في الفلسفة كان كتاب «الجمهورية» لأفلاطون إنتاجًا خياليًا صرفًا، تجاوز به أفلاطون الواقع وصور نمطًا من الحياة الاجتماعية العاكسة لمثله العليا، ويصعب حصر فضل هذا الإنتاج على تطور الإنسان. فحسبنا القول إن بعض الحكام المخلصين على مدار التاريخ استثمروا بعض ما فيه من آراء في التخطيط للحياة في بلدان معينة، يضاف إلى هذا ما يتصل بالنظريات الواردة فيه من خصوبة فكرية لا تزال قائمة إلى الآن وإلى غد. والشيء نفسه ينطبق تقريبا على «المدينة الفاضلة» التي تخيلها الفيلسوف العربي الفارابي.

- وفي الرياضيات كانت هندسة إقليدس قائمة كلية على منطق خيالي. فقد تخيل هذا الرياضي - إقليدس- كونا في شكل مستو منبسط، تنتشر عليه أشكال هندسية. ومفهوم اللانهاية كذلك كائن رياضي تخيلي بحت من صنع الخيال البشري لا غير. وغني عن القول أن عددًا هائلاً من الأفكار التخيلية لعلماء الرياضيات التي ساقوها على شكل فرضيات خيالية كانت لها تطبيقات مادية هائلة ماثلة للعيان؛ منها وعلى سبيل المثال أهرامات مصر الضخمة التي تعد من أثمن ما تمتلك البشرية في رصيدها التراثي المعماري.

- وفي العلوم من تكنولوجيا إلى بيولوجيا إلى كيمياء إلى طبيعة إلى جيولوجيا، نلاحظ وبيسر تام أن بداية كل شوط

من أشواط العلوم هو من صنع الخيال. فقصة الإنسان مع الطيران بدأت بالأحلام، وسيطرته على التخاطب اللاسلكي انطلقت من تخيلات، وصراع باستور مع الجراثيم والأمراض قام من فرضيات خيالية.

ويجمل الهاشمي أهمية الوظيفة التخيلية لدى الإنسان في أنها تهذب غرائزه وتغذي عواطفه وتمكنه من السيطرة على المادة في هذا الكون. لذا لا مناص من تبني قولة موريس دياس في هذا المجال: «إن التخيل هو أخص خصائص الإنسان؛ فالإنسان يتميز عن الحيوان بالخيال أكثر مما يتميز عنه بالذكاء» ومادامت للخيال هذه المكانة الهامة في حياة الأفراد والمجتمعات يكون لزامًا على المدرسة، وهي المعنية أصلا بتنمية إمكانات الإنسان، أن تنشط الوظيفة التخيلية وتربيها.

دافعية حقيقية

يقول الهاشمي في معرض إيضاحه للمرتكزات التربوية لمشروع «الطفل يكتب للطفل»: ما أروع أن تنشأ في ذوات الأطفال دافعية حقيقية، مادتها اهتمام شديد بنشاط إنتاجي يمثل مشروعهم الذي يعبئون له تلقائيًا كل طاقاتهم، ومن خلاله يحبون المدرسة والتعلم والعمل إجمالاً.

فالدافعية - يسترسل الهاشمي - هي تلك الظاهرة التي تسعى بالذات إلى إرضاء حاجات، وتبعًا لهذا تبرز العلاقة المباشرة بين الدافعية والحاجات. فالحاجات على اختلاف أنواعها مادية ومعنوية، هي أساس الميل الموجه إلى عمل ما، إنها مبعث المواقف والاتجاهات والأنشطة. ويستشهد الهاشمي بهذا الصدد بقاعدة كلابراد التي تقول إن: «لكل حاجة تولد لدى الذات، رد الفعل الكفيل بإرضائها». لذلك نلاحظ حرص التربية الحديثة - برأي الهاشمي- على ضرورة اعتبار حاجات الطفل في تصميم البرامج التربوية وتحديد طرائق تدريسها وفق قاعدة طبيعية وتربوية تؤكد أن: «كل نشاط بشري يرتبط بحاجات الفرد يحصل فيه إقبال تلقائي واهتمام عميق» وهما مادة الدافعية خلال العمل.

وبحسب رأي الهاشمي فإن إنتاج القصة المدرسية - في إطار هذه السلسلة- نشاط فيه إشباع لعدة ميول طفولية؛ كالتعلق بأعاجيب الخيال، والرغبة في التخاطب مع الغير، والتعاون مع الآخرين، والشوق إلى الابتكار والتعبير الحر. لكن الحاجة الأهم في هذا الإطار هي تلك المتصلة بالحرص على توكيد الذات، والتوق إلى سن الرشد، وتقليد الكهل، ويجعل الهاشمي من هذا تعليلاً للاهتمام الشديد من قبل التلاميذ بمشروع القصص المدرسية وتجربة الطفل يكتب للطفل.

إنجاز حقيقي

وعن كون تجربة «الطفل يكتب للطفل» مشروع إنجاز حقيقي، يحقق للطفل ذاته، يقول الهاشمي: جميل جدًا أن ينخرط الأطفال في إنجاز حقيقي يمرون فيه بمحطات واقعية، وهذا ما يوفره مشروع القصص المدرسية «الطفل يكتب للطفل» من خلال: تصميم المشروع، وإنتاج القصة، وطبع الكتاب، وترويج البضاعة... إنها الطريقة التي تحرر العمل المدرسي من خناق «المجانية» وترقى به إلى رحاب «الوظيفية». وتتصل هذه النقطة بمبدأ ثمين يعبر عنه بكيفيات مختلفة: مبدأ ربط المدرسة بالحياة، مبدأ التعامل مع الواقع، مبدأ القيام بأنشطة مدرسية ذات معنى.

ويضيف الهاشمي: يتضمن مشروع «الطفل يكتب للطفل» فرصًا ذهبية عديدة يمارس فيها التلاميذ أنشطة حقيقية يدركون معناها، فهم يزورون المطبعة التي ستحول إنتاجهم إلى كتيب، وهم يتابعون قصتهم بالمراجعة قبل أن تأخذ شكلها النهائي، وهم يتحاورون حول مشكلات تغطية تكاليف الطبع، وهم يراسلون أطرافًا عديدة للتعريف ببضاعتهم، وهم يحولون قصتهم إلى سيناريو لتمثيلها وتسجيلها سمعيًا وبصريًا، وهم يطالعون في مجلات وصحف صدى ما يكتب عن أعمالهم، وهم يدونون ملاحظات النقاد لاعتمادها في إنتاج ثان، إلى غير ذلك من الأعمال الوظيفية التي نحاكي بها الكهل في أنشطته الحياتية، ويكمن وراء هذا إيماننا بكون الحياة إنما هي المعلم الأول، نعم إنها المعلم الأول بلا منازع بفضل ما تجود به علينا من تجارب ومواقف.

وثبة نحو مدرسة الغد

أخيرا يؤكد البشير الهاشمي أن تجربة «الطفل يكتب للطفل»، في صورتها التي أشرف على تنفيذها في تونس، إنما هي وثبة عملاقة نحو مدرسة الغد، تلك المدرسة التي يرى الهاشمي أن: تحرص على جعل التربية متمحورة حول الطفل، وتجعل من التجريب والتقويم معبرًا يفضي إلى الأفضل، وتعتبر التربية سابقة للتعليم في كافة أنشطتها، وتبعد السأمة بتنويع أساليب عملها بين الفردي والجماعي والفريقي، وتأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية بين المتعلمين، وتعانق الحياة في منطلقات أعمالها ومآل إنجازاتها، وتربط مع المحيط صلات تفاعل وتعاون، وتسعى إلى إزالة التناقض بين حاجات المتعلمين وظروف العمل، وتوفق في التلاؤم بين مقتضيات التربية المدرسية السليمة والإطار المادي من فضاءات وتجهيزات، وتعتنق التجديد والابتكار فلسفة وعملاً.

بماذا تجيب إذا سألك الطلاب :

لماذا نتعلم الرياضيات

نهلة أبو غزالة - الظهران

ينتهي المقرر الدراسي وتأتي أسابيع المراجعة ونبدأ بإعداد وسرد لجميع القوانين والقواعد الرياضية التي درسناها ودربنا الطالبات عليها خلال الحصص طوال الفصل الدراسي - أصدم بسؤال يتكرر على مسمعي كل عام ويصدر عن مختلف الأجيال مع اختلاف مستويات ذكائهم حتى العالية منها وهو: «لماذا نتعلم الرياضيات؟! نحن نتدرب على حل التمارين والمسائل ورسم الهندسة... أين يمكننا تطبيقها؟ وأين نستخدمها في المنزل، في الطريق، في الحديقة، عند اللعب؟ ما فائدة كذا وكذا وكذا...؟».

ذلك أن كل ما كنا نركز عليه في تعليم الرياضيات، كان عبارة عن تنشيط ذهني للتلاميذ بالتدريب المستمر على التمارين الذهنية، وطرق الاستدلال، والتحليل الاستنتاجي للحل مع الدقة الدائمة.

وكأن هذا التنشيط هو الغاية الوحيدة من تعلم الرياضيات!!

لذلك بدأت البحث عن إجابة لتساؤلات الطالبات وقررت أن أجد طريقة لربط الرياضيات بمختلف فروعها بواقع الطالبة وبأمور ملموسة في حياتها ومن بيئتها مع إتاحة الفرصة للطالبات بتطبيق ذلك.

وكان لذلك أثر إيجابي كبير على الطالبات.

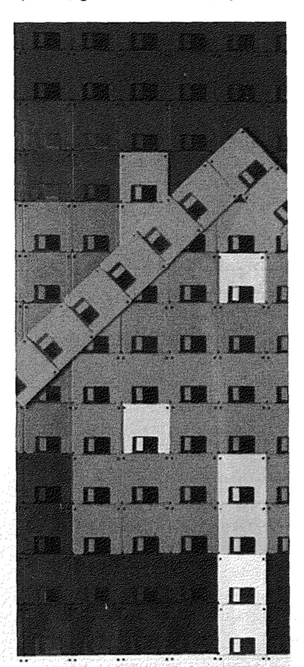
وهذا أمر طبيعي. إن تعلم الرياضيات في مرحلة مبكرة أمر هام، والأهم منه معرفة الحاجة الملحة لتعلمها في هذه المرحلة وكيفية الاستفادة منها وتطبيقها حتى تكون عونًا ومساعدًا للطالبات في حل كثير مما يصادفهن من أمور ويمكنهن من إيجاد تفسير لأسباب حدوثه. فقد استخدم الإنسان علم الحساب منذ الحضارة القديمة كطريقة لعد وتدوين كميات وأعداد الحيوانات والمواشي التي يملكها حفاظًا على ممتلكاته من السرقة أو الضياع. ومن هنا عرف الإنسان الرياضيات وبدء بتطويرها على مر الزمان حتى أصبحت من أهم العلوم التي لا غنى عنها في كثير من مجالات الحياة المختلفة التي من أبرزها الدراسات العلمية والاكتشافات بأنواعها، وتصميم المشروعات الصناعية وإجراء المعاملات التجارية والأسهم والبنوك. هذا بالإضافة لاستخدامها على مستوى الفرد في الحياة اليومية التي من أبسطها التعرف على الوقت أو تسوية دفتر الشيكات، واستخدامها في الطبخ والقيادة والخياطة والبستنة، وفي العديد من الهوايات والألعاب الرياضية. ولقد أدت الرياضيات دورًا أساسيًا في تطوير التقنية الحديثة التي جعلت حياتنا أكثر سهولة وعملنا أكثر يسرًا.

إن علينا أن نعلم أبناءنا ذلك ونحثهم على

دراسة الرياضيات كمادة عملية لا كمادة نظرية بحتة (يجب حفظ قوانينها وقواعدها فقط) ونرشدهم إلى الطريقة التي يطبقونها بها ليعتادوها منذ الصغر، ولا يشعروا بتلك الغربة بينهم وبين هذا العلم.

ونقترح لتطبيق هذه الأفكار تخصيص حصة تطبيقية تتعرف الطالبات فيها على بعض قوانين وقواعد الرياضيات في البيئة المحيطة بهم، من خلال جملة من المناشط والأساليب، ومنها:

❖ عرض أمثلة حية مشاهدة من بيئة الطلبة المحيطة بهم:



الأمثلة:

- محاور التناظر بنوعيها بالنسبة للأشكال.
- الأشكال الهندسية بأنواعها: بإحضار أدوات ذات أشكال هندسية مختلفة أو صور لمبانٍ في مدينة توضح كيفية استخدام المهندسين لها في البناء واستخدام الحرفيين لها في صناعة الأدوات المختلفة.
- رسم المستقيمات المتوازية والمتعامدة: عرض خريطة لمخطط الطرق في مدينة ما وكيف أنه اعتمد المهندسون على استخدام رسم الخطوط المستقيمة المتوازية لتمثيل الطرق ومستقيمات عمودية عليها بمسافات متساوية لتمثيل الطرق الفرعية المتقاطعة معها بشكل عمودي واستخدام كلمة طريق موازٍ عند الوصف.

❖ ذكر فوائد استخدام القاعدة الرياضية أو المهارة لحل مشكلة أرقت من سبقنا أو تحقيق فوز ما. الأمثلة:

- قوانين المساحة: بيان الفوائد المرجوة منها وأنها قد سهلت حل مشكلات صادفت من سبقنا، وذكر قصة دالة على ذلك منها قصة «أحمس» كبير البنائين في مصر القديمة وما حصل معه عند بنائه قصرًا جديدًا للملك من احتياج لقانون حساب المساحة لمعرفة عدد البلاط اللازم لتغطية أرضية القصر دون أي زيادة أو نقص.

- المثلث قائم الزاوية: وكيف استخدمه القدماء في البناء، لتحديد أركان مبانيهم وحقولهم المربعة والمستطيلة ذات الزوايا القائمة.

- القوى (الأس) للأعداد واستخدامها: ذكر قصة يستدل فيها الطلبة على إمكانية تحقيق فوز أو نجاحات عند تطبيق هذا القانون في حياتنا «ومن ذلك قصة الفتاة الذكية التي استطاعت جمع ثروة كبيرة مستخدمة قاعدة «القوى للأعداد» بطلبها أجرًا لعملها يبدأ بقرشين، ثم يتضاعف هذا المبلغ كل يوم بقبض مربع ما تأخذه في اليوم السابق

وهكذا حتى آخر يوم.

❖ تسلية وأحاجي:

حيث نستخدم القاعدة الرياضية لحل أحجية أو فك رموز لغز أو عرضه بصورة لعبة ذهنية (استخدام اللعب كطريقة لتقريب المفاهيم وتثبيتها).

الأمثلة:

- لعبة المربعات السحرية.
- لعبة الكلمات المتقاطعة.
- فك رموز شفرة.
- تسلية مع الأرقام، حيث يستخدم الطلبة عدة عمليات حسابية وقواعد رياضية بشكل متسلسل للتوصل إلى علاقة بينهما أي باستخدام المتاهة، وخرائط المعرفة.

❖ التطبيق العملي للقاعدة الرياضية:

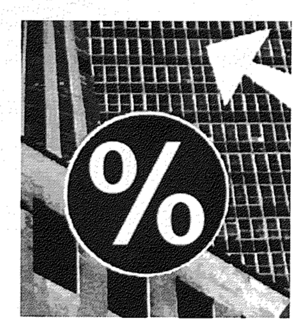
الأمثلة:

- استخدام الزاوية لقياس الارتفاعات.
- استخدام قوانين المساحة لكي يحسب الطالب مساحة الأرض التي بنى عليها منزله بالقياسات الحقيقية.
- تصميم مدينة أو تنفيذ أدوات من المجسمات (مكعب، موشور، أسطوانة، متوازي مستطيلات).
- عالم الكسور واستخداماتها المختلفة.
- تطبيق عملي من الطالب لقياس المسافة أو السرعة أو تحديد الزمن كما هو في الحقيقة باستخدام المقاييس المناسبة.
- استخدام الرسم البياني لعرض معلومات قام التلميذ بجمعها عن ظاهرة في المجتمع أو في محيط مدرسته.

❖ تنفيذ مشاريع صغيرة بأيدي الطلبة ومن واقعهم:

وذلك بتنفيذ تصميم لمدينة من خلال دراستهم للمجسمات.

- تنفيذ مشروع تجاري صغير في محيط الزميلات أو لدعم عمل خيري.
- استخدام الأشكال الهندسية في تنفيذ



عمل فني مبتكر أو إثبات تجربة علمية أو التوصل لاكتشاف أو اختراع جديد مفيد للبشرية ومحافظ على سلامة البيئة.

❖ ذكر الاكتشافات الرياضية في الكون وفي الطبيعة والموافقة لما ذكر في القرآن الكريم:

اكتشف العلماء أن كثيرًا من سنن الكون تسير بقوانين رياضية ومن ذلك حركة الأرض، وحركة الشمس وكثير من الظواهر الطبيعية. وجاءت متوافقة مع القرآن في آيات عديدة ومنها النسبة المئوية لليابسة والماء بالنسبة للأرض، وغيرها كثير.

إن من واجبنا كمسلمين تجاه ديننا وتجاه أجيالنا القادمة بيان القدرة الإلهية المتمثلة في خلق هذا الكون بهذه الدقة المتناهية والمعتمدة على القوانين الرياضية في كل شيء والتي عبر عنها الخالق في كتابه العزيز بأعداد الكلمات والحروف والعبارات بصورة غاية في الدقة والإبداع.

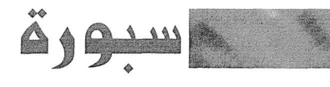
المراجع

- الموسوعة العربية العالمية الجزء (١١) لمؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
- الباب المفتوح المجلد (٩) «الرياضيات الشيقة» لويرلد بوك أتكوربوريتد.

- مدارس بلا إدارات

- دفتر التحضير ليس شاهدًا على العصر

- هل أنت سفيه مثلي؟!



في المناطق النائية

مدارس بلا إدارات

حمد محمد قحمش - تثليث

بذلت وزارة التربية والتعليم جهودًا طيبة لإيجاد الحلول المناسبة لظاهرة عزوف المعلمين الوطنيين عن تولي إدارات المدارس وخاصة في المناطق النائية. وهذا أمر يحسب للمسؤولين بالوزارة في تحسسهم لمعوقات التربية والتعليم حتى قبل وقوعها ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة ومتابعة تلك الحلول وتقييمها بالشكل الدقيق. ومن وجهة نظري فإن مشكلة عزوف المعلمين الوطنيين عن تولي إدارات المدارس وخاصة في المناطق البعيدة والنائية لم تحل جذريًا، فالبرغم من صدور القواعد التنظيمية للمدارس بوزارة التربية والتعليم والتي من أهم فصولها للإدارة المدرسية الفصل الرابع الذي يشمل المجالس واللجان المدرسية وكيفية تنظيمها، وصدور التعميم الوزاري رقم ٣١/٥٢/٨/٤/٤٢ في ١٤٢٢/١/٢٠هـ الذي يمنح مديري المدارس صلاحيات وحوافز تشجيعية نظرًا لما يقومون به من دور قيادي تربوي متميز في مدارسهم . إلا أننا مع ذلك كله نجد عزوفًا من قبل المعلمين الوطنيين عن تولي إدارات المدارس وخاصة في المناطق البعيدة والنائية! وباستطلاع آراء المعلمين عن أسباب ذلك خرجنا بالآتي:

❖ عدم وجود الكفاية الإدارية والإلمام بالنظم التربوية، خاصة وأن أغلب من يوجه إلى تلك المناطق هم من المعلمين الجدد.

❖ عظم المسؤولية، فالمدير هو المسؤول عن الطالب والمعلم والمبنى.. وعلى مدى إخلاصه وإنتاجه ومتابعته وتطوير نفسه علميًا وتربويًا وثقافيًا ومدى دقة إشرافه (فهو المشرف المقيم بالمدرسة)يتوقف نجاح المدرسة أو فشلها. وكل هذا يصعب أن يتحقق للمدير في المناطق النائية والبعيدة للظروف البيئية وحالته النفسية.

❖ عدم تعاون أولياء الأمور. بل إن كثيرًا منهم يشكلون مصدر إزعاج للمدرسة! فولي الأمر في الأماكن النائية (خاصة) لا يأتي إلا للاعتراض وإثارة المشكلات، مع العلم أن من أهم عناصر نجاح العملية التربوية العلاقة بين البيت والمدرسة.

❖ عدم تعاون المعلمين في تسيير عمل المدرسة لقلة الخبرة وعدم الإحساس بالمسؤولية.

❖ بالرغم من صدور حوافز جديدة لمديري المدارس إلا أن هذه الحوافز لم تحظ بالاهتمام الكافي ولم تُفعّل بالشكل المطلوب.

❖ كثرة الأعمال الإدارية، فالواجبات الإدارية عديدة ومتنوعة مما يتطلب الكثير من الوقت والجهد بجانب الأعمال الإشرافية والتقويمية، مع عدم وجود كادر إداري أو كتابي في المدارس النائية.

❖ بُعد المدارس وصعوبة التنقل منها وإليها وظروف الحياة القاسية في تلك المناطق.

❖ مقارنة مدير المدرسة وجميع المعلمين أنفسهم بزملائهم في المدن والمحافظات الأخرى.

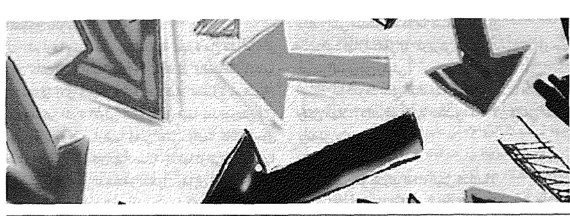
❖ عدم خضوع مدير المدرسة للتدريب أثناء تأديته للعمل وعدم إلحاقه بالدورات التدريبية طويلة أو قصيرة الأمد لكونه جديدًا على مهنة التربية والتعليم أو الإدارة المدرسية (حسب النظم واللوائح)، ولبعد المسافات ووعورة الطرق التي تكون عائقًا أمام حضوره حتى للأساليب الإشرافية.

❖ مشكلات الطلاب وبعض السلوكيات الخاطئة التي وصلت إلى حد العنف ضد المعلمين وإدارة المدرسة.

هذا ما تم استطلاعه وما تم التوصل إليه من معوقات. وأعتقد أن طرح المشكلة أسهل من إيجاد الحلول، لذا وبعد عصف ذهني وسؤال أكثر من مهتم بالعملية التربوية والتعليمية داخل وخارج الوطن ظهرت حلول كثيرة يجب على أصحاب القرار

في وزارة التربية والتعليم البحث فيها ودراستها ولعل من أهمها:

- تفعيل حوافز مديري المدارس بشكل أكبر.
- توفير الكادر الإداري لكل مدرسة.
- تقديم حافز مادي لمدير المدرسة يسمى بدل إدارة (١٠٠٠ ريال لمدير المرحلة الثانوية، ٧٠٠ ريال لمدير المرحلة المتوسطة، ٥٠٠ ريال لمدير المرحلة الابتدائية).
- زيادة عدد المقاعد والدورات التدريبية للمعلمين ومديري المدارس وخاصة الجدد.
- احتساب بدل النائي للمدارس النائية بالشكل الصحيح والمناسب.
- ربط درجة المواظبة والسلوك بالمرحلة الدراسية وليس بالسنة الدراسية.
- اتاحة الفرصة أمام المشرفين التربويين عامة ومشرفي الإدارة المدرسية بصفة خاصة لزيارة دول مجلس التعاون الخليجي وبعض الدول العربية والأجنبية للوقوف على تجارب الآخرين والاستفادة منها وتبادل الخبرات التربوية والتعليمية وتطويرها.



على الهامش!

أحمد خالد العبدالقادر - الأحساء

إن مسيرة الطالب لا تكون على وتيرة واحدة طوال العام الدراسي، بل تتباين من فترة إلى أخرى، وكأنها رسم بياني تارة في صعود وتارة في هبوط.

بعض المعلمين سلك طريق الهدم، واتخذ من الحكمة «أنت مقصر..فأنت مخفق» ذريعة ليطرق بها، مصائر طلابه، ثم يكوّن تصورًا ثابتًا حولهم!! لكم أن تتخيلوا معلمًا يحكم على مستوى طالبه منذ اللقاء الأول، ويسير على هذه النظرية طوال الفصل، ولا يشكل صعود مستوى الطالب معه أي فارق، فأي طالب نرجو وأي رجال غد نأمل؟!

إن مسيرة الطالب ومهما بلغ نشاط الطالب لابد أن يتخلله الفتور، وهو أمر جد طبيعي، وعلى المدرس هنا أن يتعامل مع هذا الفتور بما يخدم الطالب، وينظم تحصيله الدراسي، تارة بالتشجيع وتارة بتقديم الهدايا التي تبعث في نفس الطالب الحماس والرغبة في التحصيل، وهو ما يدفع الفتور بعد ذلك عن الطالب ويعود به إلى مساره النشيط المفترض.

والطالب وارد لا محالة من المعين الخاطئ ولكن الغاية في الطريقة التي نلتمسها لصرفه عن ذلك المعين الشائك، وهو منهج تربوي عريق لا يمكن الاستغناء عنه وذلك ألا يؤخذ الطالب المقصر أو المخطئ بجريرته لتحطيم مستقبله.

إن سلوك هذا المنهج يتطلب ذكاء وحنكة في التصرف بما يوافق الصالح العام، وينجح في تقويم الفرد دون اللجوء إلى إيقافه وبتره من منظومة المجتمع فيكون في المستقبل فردًا راكنًا على الهامش لا دور له.

سبورة

«ياسمين»

قصة: فرانسيس ستوري
ترجمة: أحمد عثمان البسام - الرياض

كانت جميلةً رقيقةً وبديعة كالزهرة التي سُميت بها. ذات شعر بلون الذهب، وعينين بزرقة البحر، صافيتين كقطرتي ندى، وقوام ممشوق، وفم ذي ابتسامة لا تُفارقه، وصوت دافئ عميق مُعبر.. إنها «ياسمين».

كانت تكسب عيشها من مزاولتها الغناء أكثر الليالي في إحدى صالات المدينة. ورغم أنها لم تعُد صغيرة كما كانت من قبل، إلا أنها مازالت هي «ياسمين» ذات الأسلوب المميز في غنائها والتي ما إن تظهر على خشبة المسرح وهي تغني حتى تزدحم الصالة بالرواد، وتبدأ مع غنائها قلوب المعجبين بالوجيب!!

لم أرها منذ كانت في السابعة عشرة من عمرها، أم تُرى كانت في الثامنة عشرة؟ لا أتذكر بالضبط، ولكنها في نظري الآن مازالت كما هي قبلاً صغيرة ومحبوبة! إنني أذكر المرة الأولى التي رأتني فيها بعد عودتي من «نيويورك». كنت أرقبها وهي تغني، وفيما كانت تجول بنظراتها بين المعجبين في الصالة، إذ بها تراني، ولاحظتها ترمقني بشيء من الدهشة والذهول، وما إن انتهت أغنيتها حتى أسرعت تغادر الصالة! وعندما ذهبت إلى غرفتها قيل لي إنها تستريح وإنها ترفض مقابلة أحد! ولم أقلق لذلك.. فأنا أعرف «ياسمين»، وإنني واثق من رؤيتي لها إن عاجلاً أم آجلاً!

إن اهتمامي الآن منصرف إلى معرفة مكان سُكناها.. وفي عصر أحد الأيام استأجرت سيارة وانطلقت بها خارج «لندن»، وبعد وقت قصير وصلت قرية صغيرة من تلك القرى المتناثرة بجوار ضاحية «إسكس» وهناك التقيتُ «ياسمين»!

وجدتها مستلقيةً على أرجوحة في حديقة منزلها ذي اللون الأحمر والنوافذ الواسعة المطلة على المروج الخضر.. إن من يرى المكان وما يحتويه يُدرك أن صاحبته لم تنفق أموالها فيه عبثًا، وإنما تصرفت بحكمة وتعقل. إنني لا أحسدها، فأنا بدوري الآن رئيس إحدى الشركات وأتمتع بدخل مضمون أحسدُ عليه.. وابتسمت لنفسي، ودخلت البيت وأنا أمشي فوق المرج الأخضر! وما إن أحست بوجودي حتى رفعت رأسها وأخذت تنظر إليّ بعينيها الجميلتين اللتين لم أجدهما أجمل مما كانتا عليه حينئذ، وقالت:

- وهكذا عُدتَ أخيرًا!

كان صوتها عميقًا دافئًا كعهدي به، ورغم أنّها بدت أكبر سنًا، إلا أن فتنتها كانت طاغية وشخصيتها جذابة!

قلتُ:

- نعم.. لقد عُدت!

ورأيتُ أطراف أهدابها الحريرية تترك مكانها من وجنيتها وتنظر إليّ قائلة:

- لو أن أحدًا مكاني لقال إنك وقح. ولكني لن أفعل ذلك، إنني منتظرة فقط ما عساك أن تقول.

قلت لها: اسمعي يا عزيزتي (وتناولتُ منديلي ورحتُ أمسح العرق عن رقبتي)

- أنا أعرف أنني أتيت عملاً حقيرًا عندما هجرتك.. ولكن مهلاً.. ذلك حدث في الماضي، أما الآن فإنني أعدك بأنه لن يتكرر.

قالت:

- هذا هو عذرك إذًا.. أليس كذلك؟!

ونظرتْ إليّ شزرًا، ثم هزتْ كتفيها، ونهضت فدخلت بيتها، فتبعتها وأنا أقول:

- كان عليّ أن أعرف أنك صرت غريبة الأطوار قليلاً.

ومدّت يدها إليّ بكأس من شراب، فتناولته قائلاً:

- أخبريني، إنك غير متزوجة.. أليس كذلك؟!

وظلت لحظات وعيناها تُحدقان في كأسها، ثم رفعت رأسها وقالت:

- لا، إنني لم أتزوج. ولكنّ ما يزال هناك وقت كما تعلم.

وفضلاً عن ذلك فإنني لم أعدْ صغيرة كما كنت. وإن أردتَ الصدق فإنني لم أكن بدون خُطّاب!!

فوضعت كأسي وتقدمت منها وأنا أقول بحدة:

- اصغي إليّ. إنني لم أقطع كل هذه المسافة لمجرد أن أزورك أو ألهو معك.. إنني غني الآن.. اعرفي هذا جيدًا. فتى غني بلا قيود، وأقول لك بصراحة إنك لن تتزوجي أحدًا سواي.. هل فهمت الآن؟ ثم أمسكتُ كتفيها بكلتا يديّ أهزهما برفق وأنا أردد:

- إنك سوف تتزوجينني. هل سمعت؟ لن تتزوجي أحدًا غيري.. وتأكدي من أنني أعني ما أقول. صدقيني!

وأحسستُ بحنجرتي تحترق وأنا أقول ذلك، وبدا صوتي أجش مُتحشرجًا، وشعرت بعروق وجهي وهي تتوتر كحزمة من حبال مشدودة!!

وفجأة تخلصت مني بدفعة خفيفة وهي تضحك ضحكة مرحة عرفت منها أن «الرياح تجري بما تشتهي السفن»!!

أمرٌ واحد يشغل بالي، هو عُشاقها الكثيرون الذين يحومون حولها كسرب من طيور النورس!! وكانت على صلة أوثق بواحد منهم هو عازف «الكورنيت» في فرقتها الموسيقية، ذلك الشاب الصغير الأسمر: «ماكس»!!

ذات ليلة كنت في الصالة استمع لـ: «ياسمين» وهي تُغني، فشاهدت «ماكس» ينظر إليها بطريقة جعلتني أكرهه بدرجة لم أكره بها أحدًا غيره!!

وعندما ذكرت الأمر لـ: «ياسمين»، لم تزد على أن قالت ضاحكة:

- إن «ماكس» مجرد فتى وسيم! ولفتت نظري بأنها لم تتزوجني بعد، فلا داعي للغيرة، كما أنها ليست متأكدة من أنها ترغب في الزواج مني على أية حال.

ومن تحرياتي، عرفت بصورة لا تقبل الشك أن «ماكس» هذا هو أكثر من يتردد على بيت «ياسمين». ولاشك أنه السبب في تغيرها نحوي، وانصرافها عني. وبقيت أيامًا أفكر فيما ينبغي لي أن أفعل. وأخيرًا قررت. إن «علقة» ساخنة مني كفيلة بإبعاده عن طريق «ياسمين». كانت مجرّدَ محاولة.. وانتظرت ذات ليلة، ورأيته يخرج من بيتها، ويتجه إلى حيث أوقف سيارته، فتبعته بحذر.. لم يرني أول الأمر، ولكن يبدو أنه شاهد ظلي أمامه وأنا أتبعه، فاستدار فجأة.. وبلا تردد انقضضت عليه.. كان أقوى كثيرًا مما تصورت، وبقينا مدة ثلاث دقائق ونحن في عراك مرير كوحشين مفترسين مجنونين.. ودسست يدي في جيبي وتناولت قطعة فولاذية كنت أحملها فضربته بها على رأسه. لم أكن أنوي قتله، ولكن نظرة واحدة إلى جسمه المُمدد على الأرض أثبتت لي أنه صار جُثة هامدة!!

وابتلعت ريقي وأنا أفكر فيما فعلت، وأسرعت مُتجهًا إلى بيت «ياسمين» فدخلته، وإذا بها أمامي وجهًا لوجه. ولم أحفل بجمالها وهي مرتدية ثوبها الورديّ، وصارت تنظر في دهشة إلى يدي الملطخة بالدم وتقول:

- يا إلهي.. هل هو حادث سيارة، أم ماذا؟!

وألقيت بجسمي على أقرب مقعد وأنا أقول:

- لقد قتلت رجلًا. هذا كلُّ ما في الأمر.

قالت هازئة:

- عال.. عال جدًا!

وجلست بجانبي، فأخبرتها بما حدث، وقلت لها:

- ينبغي أن تساعديني قبل كل شيء.. فليس من أحد يعرف أنه كان عندك إلا أنت وأنا. ولابد من طريقة لإخفاء الجثة!

وظلت جالسة بجانبي مدة طويلة وهي واجمة وساهمة لا تنبس ببنت شفة، وفجأة انتفضت واقفة، وصارتْ تنظر إليّ بعينين خِلتُهما فصين جامدين من الثلج. وأخيرًا قالت:

- كلا. لن أساعدك!

وأحسست أنها تجاهد لكي تُسيطر على نفسها. ثم أردفت تقول:

- هذه هي المرة التي لن تستطيع فيها الهروب.. أَوَتدري لماذا؟!

وفجأة رأيتها تُسرع إلى ركن في الغرفة وتلتقط صورة لعازف «الكورنيت» الشاب، وتقذف بها في وجهي وهي تقول:

- خُذْ! كان قد أهداها لي!

وابتلعتُ ريقي وأنا أحدق في الصورة، ثم قلبتها، وإذا بي أقرأ خلفها هذه الكلمات: «إلى والدتي الحبيبة.. من.. ماكس!!»

فقفزت من مكاني وأنا أصيح فيها:

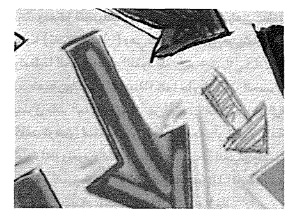
- كلا.. كلا.. هذا مستحيل!!

ولكنها صرخت في وجهي قائلة:

- نعم. إنها الحقيقة.

ثم راحت تضحك ضحكات هستيرية مُفعمة بالمرارة وهي تصرخ:

- لقد قتلت.. ولدك!! ■



عمتنا الجميلة

قصة: عبدالستار خليف - الأردن

كانت تنظر إلى المرآة صباح مساء في شغف ونرجسية وكبرياء، وعندما تود السير كانت تمشي بخطوات وئيدة كالطاووس.. تختال بحسنها ورشاقة قوامها، استقامة عودها الرفيع، جدائل شعرها الناعم الطويل تتدلى وراءها.

مرآتها الحنون الصادقة لا تخونها، لا تخطئ في إبراز تقاسيم الوجه المليح مثل شق القمر. كانت تخفي المرآة الصغيرة المستديرة في صدرها، كلما اختلت بنفسها أخرجتها وتمعنت النظر في خصلات الشعر الجميل التي تنام على جبهتها وحول الأذنين، ويتوقف النظر على الأنف الدقيق كحبة اللوز، والعينين السمراوين الواسعتين، كأنما هما ليس بعينيها!!

عندما لم تسعها المرآة الصغيرة، تذهب للمرآة الكبيرة في غرفة نومها، المرآة المثبتة على ضلفة خزانة الملابس من الداخل، تفتح الخزانة وتتأمل محاسنها الطاغية، تمر بيدها الرقيقة الناعمة البيضاء على ملابسها وثيابها الحريرية المزركشة. تظل واقفة ساهمة شاردة الفكر، أيها تختار لتكمل زينتها ويزداد جمالها.

كنا نقول: «عمتنا الجميلة» بدون ذكر اسمها وهذا يكفي لأن الجميع يعرفون من نقصد. وزيادة في حبنا لها نطلق عليها أحياناً: «جميلة الجميلات»!

وفي المساء، عندما تحكي لنا جدتنا حكاية «ست الحسن والجمال» نعقب على حديثها قائلين: «إنها تشبه عمتنا الصغيرة»!!

وعمتنا الجميلة هي أصغر العمات وأكثرهن عطفًا علينا (نحن الصغار) وهي بدورها تعجب بحديثنا عنها وتعطينا الحلوى وقطع النقود المعدنية.

هيه.. يا عمتنا الجميلة!! كلما جاء «الشاطر الحسن» يطرق باب العائلة، ويسأل عن «ست الحسن والجمال» كانت ترفض استقباله أو الحديث معه، أو تقديم كلمة حلوة له!! ويعود «الشاطر حسن» إلى حرّ الجبال ولهيب الرمال كسير النفس والقلب، وتظل عمتنا الجميلة مع مرآتها الحبيبة.. وحيدة بلا فارس الأحلام!!

عمتنا الجميلة، الصغيرة، ست الحسن والـ... مع مرور الأيام، لم يعد يطرق باب العائلة أحد ليسأل عنها، أو يتحدث بشأنها ليطلب يدها للزواج. وبدأت تنتظر الفارس الذي سيأتي من وراء الغمام، يمتطي صهوة «الحصان الطائر» ليخطفها ويرحل بها إلى الغابات ودنيا الأحلام والخيال والأوهام. ظلت تنتظر وتنتظر.. ولم يأت الفارس!!

مع مرور الأيام والشهور والسنين، غدونا نقول: «عمتنا الكبيرة» ونسينا كلمة «الجميلة» الصغيرة، بعدما شاهدنا شعيرات بيضاء وهي تحاول انتزاعها بعصبية من رأسها.

بدأنا نصمت عندما نراها تجلس وحيدة. ومع غفوة الزمن بدأت الغضون والخطوط تحت العينين وعلى جانبي الفم وحول الذقن.

الزمن يكر ويفر والصغار أصبحوا شبابًا، والشباب غدوا رجالاً، والرجال أضحوا شيوخًا.. ونشاهد «العمة» وهي تجلس وحيدة، نقول بصوت مكتوم: «العمة المسكينة»، ومع ذلك ظلت تنتظر «الفارس» الذي رحل. تنتظر عودة «الشاطر حسن» بفارغ الصبر!! ترتب ثيابها الحريرية المزركشة، ترتب فراش غرفة نومها الذي أعدته وزخرفته للأيام المقبلة، لم تفقد الأمل أو تمل من طول الانتظار.

ذات صباح كانت العمة ثائرة، تساءل الجميع عن سبب ثورتها، عرفنا أن النسوة المتزوجات أطلقن عليها: «العانس»، «العمة العانس» اسم جديد. أصبح وأمسى متداولاً بين نساء البيت سرًا وعلانية!! ورحل الأحفاد إلى المدن البعيدة، ليتلقوا العلم. وعادوا فوجدوا عمتهم قد أمست عجوزًا مشاكسة كل يوم لا تتوقف عن الشجار والمهاترات لأتفه الأسباب، وأحيانًا تخلق هي الأسباب من لا شيء!! واعتاد أبناء الأحفاد أن ينادوها: «عمتنا الغولة» وهي تصرخ في وجوههم بهستيريا. كنا نحزن على أيام عمتنا الجميلة، على زمن «ست الحسن والجمال» ومع ذلك لا ننبس بكلمة واحدة.

صباح أحد الأيام التي لا تمحى من الذاكرة استيقظنا على صوت هياج وصياح وتحطيم أثاث صادر من غرفة «عمتنا الـ... العجوز»، قالت النسوة: «لقد جنت المرأة»!! وعندما دخلت عليها، وجدت الغرفة في حالة فوضى وتدمير، الستائر ممزقة والملابس الحريرية المزركشة ملقاة على الأرض ومبعثرة، الخزانة مفتوحة على الضلفتين. والعمة المسكينة مضطربة، سألتها بهدوء: «ما بك يا عمتي؟!» أشارت بيدها التي يسيل منها الدم نحو المرآة المشروخة وقالت في صوت مخنوق: «لقد حطمتها بعد أن خدعتني طوال هذه السنوات...».

حمدت الله أنها لم تجن، وأنها حطمت المرآة فقط، حطمت غرورها. ولكن القرار جاء متأخرًا كثيرًا، بعد فوات الأوان. هززت رأسي بحزن وحدثت نفسي بألم: «بعد مرور نصف قرن من الزمان، يدرك الإنسان أن عليه أن يحطم المرآة، يحطم المرآة...» وتبادلنا النظرات الحزينة، في صمت!!

هل أنت سفيه مثلي؟!

سعد مليك سعد - المدينة المنورة

إن من لا يعود نفسه الصد عن المنغصات سيظل يزرع الحشائش الضارة في ذهنه، وسيظل يبني العوائق التي تحول بينه وبين بناء نفسه والارتقاء بجوانب شخصيته.

إن حكمة الله سبحانه قد قضت بوجود أناس سيئين يعيشون معنا، كحكمته في إيجاد العقارب والأفاعي!! فعلينا ألا نضيق ذرعًا بهم، وأن ندخل أنفسنا في جو إيماني نستشعر فيه أن الأجر والثواب هما جزاء صبرنا واحتسابنا.

ولابد من الانتباه جيدًا إلى أن استسلامنا للمشاعر المرة التي تعقب احتكاكنا اللفظي الخشن سيفوت علينا الكثير من الأوقات التي هي جزء لا يعوض من أعمارنا، كما أن ذلك سيحرمنا صفاء الذهن الذي لا غناء عنه لمن أراد الاطلاع أو التعلم أو الكتابة والإبداع.

ولعل النظر إلى مثل هؤلاء بعين الرحمة والعطف (إذ لم يجعل الله منهم شخصيات تضفي جو السكينة على من حولها) يساعد كثيرًا على امتصاص سموم الامتعاض التي تنتشر في قلوبنا كلما استجد خلاف شديد.

إن كونهم سيئين يعني أن صفاتهم السيئة قد غلبت الصفات الحسنة، فكانت هي الطافية على السطح والظاهرة للأعين، ولسنا نزعم هنا أنهم سيئون سوءًا محضًا، فالأمر كما قال القدماء: «لا سوء محضًا إلا في النار». فلا ريب أن لهم من الصفات الحسنة ما لا يبدو لنا إلا إذا رمنا تبينه. فنظرتنا لهم على أنهم سوء يمشي على رجلين تحرمنا إمكان التلاقي معهم، وتجعلنا نستكثر من الأعداء وليس هذا من سلوك المسلم.

ونحن نوقن تمامًا بقدرتنا على السعادة والاستمتاع عند عزمنا الأكيد على عدم تلبية نداء سوئهم أيا كان نوع تلك التلبية، فقبح أقوالهم وأفعالهم ليس عيبنا نحن، كلا بل هو عيبهم.

إن ردنا على سفيه يحاول النيل منا ليس ردًا للاعتبار، إنما هو موافقة صريحة على مشاركة السفيه سفاهته، وإجابة واضحة على سؤال غير معلن، يقول بلسان الحال: هل أنت سفيه مثلي؟! إن كنت كذلك فإنك حتما ستنزل إلي وستخوض فيما أخوض.

وهناك أمر يجب تأكيده وهو أن الحلم مع المسيء، واستصحاب «ادفع بالتي هي أحسن» ليس إلا القوة بعينها، وأن الضعف الحقيقي هو الضعف عن مقاومة الغضب، كما في هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وما أحسن قول الشافعي:

يخاطبني السفيه بكل قبح
فأكره أن أكون له مجيبًا

يزيد سفاهة فأزيد حلمًا
كعود زاده الإحراق طيبًا

وقول الخطابي

تسامح ولا تستوف حقك كلَّه
وأبقِ فلم يستقص قط كريم

سبورة

تحية للمشرف التربوي

شعر: سالم بن رزيق بن عوض - جدة

مثلُ الصباح إذا أطلا / يجلو المفاوز والمحلا!
ويضوع من أفكاره / وردًا وريحانًا وفُلا
يهوى الحياة مُراغمًا / يطوي على الإبداع نُبلا
وتراه في عليائه / بدر السماء إذا تجلّى!!
يستقبل اليومَ الجديد / ببسمة العدل المولّى
في ناظريه صدى اليقين / يشعّ إشراقًا وظلا!
ويجود من أنفاسه / روحًا مكلّلةً وشَملا
بين المدارس يومُه / يقضي، يوجّه حيث حلا
يبني النفوس منائرًا / حينًا وأحيانًا جِبلا
ويغوص يمنحها السموَّ / على سماحته تدلّى!
في علمه علم المعلم / يرتوي عقلاً ونقلا
يحنو على كل القلوب / ويرتقي أدبًا وفضلا
ويموتُ تحت يقينه / من بالغداة أثارَ جهلا
ورغَى وأزبد في الضّلال / وصار ضلّيلاً أضلا
تلقاه آلافُ القلوب / تقول: حيّ هلا وأهلا
حياك مولانا الكريم / رعى محياك الأجلى
يا مشرفًا جلب الشروق / ويا أخًا ضيفًا وخِلا
يشدو بمطلعك الصباحُ / مردّدًا: أهلاً وسهلا





سعد عطية الغامدي :

■ السبتمبر حرمني من القمرة وأحلامها!



حمزة بيت المال :

■ لا توجد قناة عربية جادة!



■ دعه وشأنه







حياة كل واحد منا جملة من النجاحات والإخفاقات . .

وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته.

حسنًا . . وعماذا هو يتحدث إذًا، عن إخفاقاته؟ ربما!

الفشل ليس عيبًا، فهو وقود الانتصارات . .

«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.

ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.

ش: شهادة.

ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك!

وضيف هذا العدد هو : الشاعر/ د. سعد عطية الغامدي نائب رئيس شركة عبد اللطيف جميل .

سعد عطية الغامدي :

إغراءات القطاع الخاص قضت على حلمي!

* كنت تواقًا إلى أن أكون طيارًا، شغوفًا بالسباحة في الجو كالصقور والنسور والحمائم والعصافير، وازدحمت الأحلام في خاطري، أنمو وتنمو، وأنام ولا تنام، وأنشغل بغيرها وتشغلني حتى إذا ما حملت ملفي إلى الكلية الجوية وقضيت الأيام في الفحوصات والمقابلات بدا لي أن أصرف النظر عن الحلم العظيم في ارتياد آفاق الأجواء ومزاحمة العقبان في الفضاء، وحين ذهبت لاستعادة ملفي من الكلية فوجئت برفض حاسم، وكان الرجل الذي لديه الملف حكيمًا رحيمًا رؤوفًا، فعرض علي أن أذهب لزيارة الأهل فلربما غلبني الحنين إلى الطيران واستعد بتذكرة السفر أو رحلة على طائرة السلام، وعرض علي أيضًا ترك الأوراق الأصلية وأخذ صورة منها، ولكن إلحاحي كان كبيرًا واستعنت بآخرين حتى اقتنع ووافق.

وكان فشلي في تحقيق حلمي الجميل في أن أكون طيارًا.. هذا إذا عددنا تغير الموقف فشلاً في تحقيق الحلم. وكم يطيب لي بعد ذلك تعويضه بالمكوث في قمرة القيادة في الطائرات المدنية من حين إلى آخر كلما أتيحت لي الفرصة؛ حتى جاءت الأحداث الجسام بعد ١١ سبتمبر (أيلول) فحرمت من القمرة وأحلامها.

* كانت كلية التجارة آنذاك محط أنظار ومأوى



أنمو وتنمو، وأنام ولا تنام، وأنشغل بغيرها!

فشلت في تحقيق حلمي الجميل في أن أكون طيارًا..

١١سبتمبر حرمني من القمرة وأحلامها!

من أراد أن «يتزوج» فليلحق بالمعرفة!

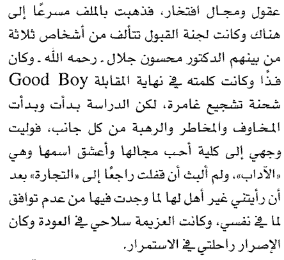
حصلت على استقالتي فاشتريت سيارة جديدة!

فشلت أن أكون أكاديميًا مبدعًا.

حين تتاح لي الفرصة بغياب الأهل عن المنزل أفشل .. لكن لا أغرق



د. سعد عطية الغامدي



عقول ومجال افتخار، فذهبت بالملف مسرعًا إلى هناك وكانت لجنة القبول تتألف من أشخاص ثلاثة من بينهم الدكتور محسون جلال - رحمه الله - وكان فذًا وكانت كلمته في نهاية المقابلة Good Boy شحنة تشجيع غامرة، لكن الدراسة بدأت وبدأت المخاوف والمخاطر والرهبة من كل جانب، فوليت وجهي إلى كلية أحب مجالها وأعشق اسمها وهي «الآداب»، ولم ألبث أن قفلت راجعًا إلى «التجارة» بعد أن رأيتني غير أهل لها لما وجدت فيها من عدم توافق لما في نفسي، وكانت العزيمة سلاحي في العودة وكان الإصرار راحلتي في الاستمرار.

وهنا فشلت ثانية في الانخراط في كلية الآداب بعد أيام معدودات مكثتها بين جدرانها وأفكاري.

* حين أنهيت المرحلة الابتدائية التحقت بمعهد المعلمين الابتدائي، وبعد ثلاث سنوات عملت معلمًا في المرحلة الابتدائية، حصلت أثناء عملي على شهادة الكفاءة المتوسطة «نظام الثلاث سنوات» بحيث يمتحن الطالب في مقررات الثلاث سنوات في امتحان واحد، ثم درست الثانوية «نظام المنازل»، حيث كنت أسافر إلى الطائف في نهاية العام لأداء الاختبارات في ثقيف الثانوية.

حين قدمت استقالتي من وزارة المعارف والتحقت بالجامعة، «وكذلك أخي عبدالله وزملاء آخرون»، وأخبرني أخي ذات يوم بأنه راجع الوزارة وأنهم قبلوا استقالته وعليّ أن أراجع فذهبت في اليوم التالي ودخلت مكتب المسؤول وشرحت له أمري فقال أنا موافق على استقالتك. أين أوراقك؟ قلت إنها في «الموظفين» ولكنك شرحت عليها بالرفض.. فقال وهل أشطب توقيعي؟ لكن عد إلى التعليم وأنا أوافق السنة القادمة فخالفته وعدت إلى الكلية أكثر إصرارًا على التعلم وأكثر خوفًا من العاقبة وبقيت أراجع موضوع الاستقالة، في الوقت الذي طلب إلي زملاء معي في الكلية حين راجعوا عميدها أن يتركوا الكلية. فقررت أن أدرس في صمت في الكلية وأراجع في الوزارة وأبليت بلاءً حسنًا ولكن المسؤول مصر، بالرغم من أن مدير مكتب الوزير آنذاك الشيخ حسن آل الشيخ - رحمه الله - كتب له وكلمه حين زرته في مكتبه وبيته وأبدى تعاطفًا أبويًا نادرًا، وأحيلت المعاملة إلى المستشار القانوني للوزارة وكان رجلاً نموذجًا في الأخلاق والنبل، ثم سعى في الأمر شهم كريم هو الدكتور عبدالعزيز النعيم الذي كان يعلمني مادة القانون. وأصر المسؤول على الرفض، وأصررت على التفوق عنادًا أيضًا. وكان أخوف ما خفت منه أن أحرم من جهد تلك السنة حتى سمعت اسمي في المذياع بين الناجحين فحمدت الله تعالى وأحسست بأن واحدة من أهم معارك الحياة قد حسمت لصالحي وانتقل معي الخوف إلى السنة الثانية والثالثة والرابعة بالكلية حتى أخذ المسؤول إجازة طويلة «ستة أشهر». وسعى رجل بالمعروف في الأمر هو الدكتور عبدالله أبو راس الذي كان منتسبًا لكلية الآداب آنذاك، فحصلت على استقالتي ونلت حقوقًا مالية اشتريت بها سيارة جديدة وكأنها المكافأة على صبر وطول عناء.

وهنا فشلت في معرفة إصرار البعض على وضع القيود والعراقيل أمام الآخرين، وحين عدت من الولايات المتحدة بعد الدكتوراه قال لي الدكتور عبدالعزيز النعيم: ألا نذهب لزيارة صاحبك (وكان

قد انتقل إلى وزارة أخرى) لتسلم عليه...!!

* بعد العودة إلى الكلية كان الحماس لها كبيرًا ولكن المفاجأة كانت هي الطلاب، إذ جاءت سنوات الطفرة بما جاءت به من اختلال قيم وتبدل مفاهيم وتراجع طموحات واخترت مادة واحدة لتدريسها «مبادئ المحاسبة»، وكان عليّ أن أعلم أربع شعب وفي كل شعبة ما لا يقل عن ٤٠ طالبًا، وهنا أدركت حجم المسؤولية في إعادة صياغة شاملة. كان من نتائجها قيام بقية الزملاء السعوديين الذين عادوا قبلي من البعثات وهم ستة آنذاك بتدريس مادة المبادئ والبدء في حملة تأليف أو ترجمة.

وازددت شغفًا وحماسًا ولكن التكليفات الإدارية والأعباء العائلية والمسؤوليات الاجتماعية حالت بين الشغف وتحقيق ثمار إيجابية بالتأليف والبحث والتجرد للعلم والتعليم.

وبدأت الاتصالات تتوالى من القطاع الخاص للالتحاق به وأنا أقاوم في شغف بما أنا فيه حتى كان يوم الخروج من الجامعة في إعارة طالت حتى تحولت إلى تقاعد مبكر.

وهنا فشلت في أن أحقق حلمًا جميلاً في أن أكون أكاديميًا مبدعًا.

يشدني الكون إلى أسراره وذخائره فأقرأ فيه وعنه، وأنجذب إليه وأحرص على الاستزادة حوله في كتاب ومجلة ونظر وتأمل، وقد أشتري التلسكوب أو برنامج الحاسب فلا يشبعني ذلك حتى قررت أن أبني صومعة تأمل صغيرة وبحثت في الهدا بالطائف وفي الباحة عن مكان مناسب لبيت صغير وصومعة صغيرة.

وعندي أخر تلسكوب اقتنيته ولا يزال في كراتينه الثلاثة منتظرًا اليوم الموعود. وتمر السنوات والشهور والأيام وأنا في نقطة صغيرة في هذا الكون أبحث عن بداية أو نهاية في وقتي المزدحم وفضائي المضطرب.

وأفشل كل يوم في ممارسة هواية محببة إلى نفسي قريبة من خاطري.

* لم أزل أتذكر اللحظة التي ألقى فيها بي أخي إلى البئر التي تفيض بمائها في بداية مشروع تعلم السباحة، ولكنها عادت بمردود سلبي، إذ جعلتني أخاف من السباحة وباءت كل محاولاتي بعدها بالفشل، ثم حين تتاح لي الفرصة بغياب الأهل عن المنزل أشتري أدوات التعلم وأحاول وحدي فأفشل.. لكن لا أغرق.

هذا دفعني إلى أن أكون من الدعاة إلى تعليم السباحة والإصرار على ذلك فلم يبق من أبنائي أحد إلا ويتقنها بل ويعشقها.. ونجحت أخيرًا في أن أغطي على فشلي الذريع في تعلم السباحة.

فشلت في تعلم السباحة ولا أزال أتوق إلى التغلب عليه ذات يوم.

* أما وقد تجاوزت الستمئة كلمة التي منحني إياها رئيس التحرير ووصلت إلى ١٠٤٨ كلمة فإنني أود أن أختم بفشلين آخرين أحدهما الوقوف عند ٦٠٠ كلمة، والثانية إقناع الإخوة في تحرير «المعرفة» بأن أظل بعيدًا عن دائرة الفشل، ولكني أعترف أن مادة «فشل» غير موجودة في معاجمنا المعتمدة، بمعناها المتداول أو القائم في الأذهان اليوم، ولكنها تعني «جبن وضعف». وتفشّل الرجل أي «تزوج» ومن أراد أن يتفشل فليلحق بهذه الزاوية في «المعرفة». ■



سعد عطية الغامدي

حقيبة النجاة

سعيد الدوسري - الرياض

- **عماد** طفل من جنسية عربية، كنا جيرانًا في نفس العمر تقريبًا. لديه دراجة هوائية (سيكل ٢٠) ، طلبت منه دورة بالسيكل فوافق مباشرة. سألته أن يبيعني إياه، قال لي: إنه يرغب في بيعه بـ٢٠٠ ريال، فكرت في طريقة لتوفير المال. وجدتها! مصروف الفسحة لي ولأخي «مسفر».

وماذا نأكل في الفسحة؟

بسيطة قررنا أنا وأخي أن نعمل في المقصف لأنه كان مسموحًا للطلاب العاملين في المقصف تناول الفسحة مجانًا. كانت عبارة عن خبزة وجبنة مثلثة نقوم بدهنها على الخبزة (ذلك قبل اختراع «الساندوتش» على ما أظن) بالإضافة إلى مشروب بارد.

المهم.. وفرنا المبلغ خلال عشرة أسابيع، ذهبنا لنطلب منه يد السيكل قال: بابا يقول: لا تبع «السيكل»!!

أردنا أن نضربه من شدة الصدمة. ولكن فر بجلده!

- عبدالله زميل وصديق عزيز، عرفته في الصف الأول الابتدائي، من أسرة ثرية، لم يكمل تعليمه الجامعي، ولكنه أصبح رجل أعمال ناجحًا، كان حريصًا على مقتنيات المدرسة المستأجرة، ويخبر الإدارة بالمخربين. والسبب واضح، وهو أن المدرسة - بكل بساطة - ملك والده الثري.

ناداني ذات يوم في الفسحة وقال: تعال معي لأقول لك سرًا، وقفنا أمام أحد الفصول، ثم همس لي بصوت خفيض: أمي تقول إنني ولدت في هذا الفصل!

ومنذ ذلك الحين عرفت ما معنى: المدرسة هي بيتك الثاني!

- كان والدي - رحمه الله - يعمل حارسًا للوحدة الصحية المدرسية التابعة لمندوبية تعليم البنات، ووالدتي - رحمها الله - تعمل مستخدمة في الوحدة نفسها مما أتاح لي الدخول إلى الوحدة طوال الفترة الصباحية، حيث كنا في تلك الفترة ندرس بعد العصر لعدم توفر مقر للمدرسة.

لن أكتمكم سرًا، فقد كنت أشعر بسعادة بالغة عند مشاهدة الفتيات وهن يبكين، ويصرخن بعد أخذ التطعيمات الوقائية.

كنت وقتها في الصف الأول الابتدائي وأجيد القراءة والكتابة، وكنت أتسلل إلى سطح الوحدة حيث يوجد مستودع لكتب البنات الدراسية، رجوت والدتي أن تطلب من الدكتورة أن تسمح لي بأخذ بعض الكتب فوافقت على الفور، فكنت أحقق مبدأ «الدمج» حيث أقرأ في كتب البنات في الصباح، وأدرس كتب الأولاد في المساء.

- حتى هذه اللحظة لا أدري لماذا كنا نسمي باص المدرسة «ملاحية» (بتشديد اللام والياء)؟ ولكن الذي أعرفه أن هذه الملاحية مزاجية تأتي في الوقت الذي تريد، وتتعطل في الوقت الذي تريد!

كنا في المدرسة الوحيدة للأولاد التي لديها باص لأننا مدرسة لتحفيظ القرآن، مما كان يعرضنا لسخرية طلاب المدارس الأخرى حيث يصفوننا (من شدة الغيرة) بأننا كالبنات.

كنت أنا وشقيقي «مسفر» نسير مسافة نصف



كيلو متر لنصل إلى الطريق المهد الذي يمر عليه الباص، حيث نلتقي مع طلاب آخرين في نفس الموقع.

كنا نشعل النار في الشتاء من سعف النخيل وأعواد الأثل، حتى نسمع هدير الباص مقبلاً فنقوم بإطفائها، وأحياناً كثيرة نتركها. وفي الصيف كنا نشرب من أنبوب مياه مكسور تتجمع المياه فوقه صافية نقية، وكنا نظنها عيناً من باطن الأرض، ولذلك سميناها زمزم!!

حتى هذه اللحظة.. لا أدري لماذا كنت أبكي عندما يفوتنا الباص، بينما شقيقي الأصغر يكاد يطير من شدة الفرح؟!

– الطريق من المدرسة إلى البيت يمر بعدد من المزارع، والمزارع كما تعلمون هي المكان المفضل لنوم القيلولة بالنسبة للكلاب.

وكنت أضطر اضطراراً إلى عبور ذلك الطريق عند تعطل الباص، والكلاب الضالة لا تحب من يعكر عليها صفو هذه القيلولة، وحتى لا يعود تطارده، بدأت المطاردة فأمسكت بحقيبتي في يدي، وعضضت على شماغي بنواجذي، ولكن الكلاب اقتربت أكثر.. فوجدت أن التخفيف من الحمولة أمر ضروري، فكان أن رميت بالحقيبة الجلدية بما فيها، فتوقفت الكلاب عندها، وكأنها تحاول فتحها لقراءة الكتب التي بداخلها!! ومضيت بأقصى سرعة أقفز الأسلاك الشائكة التي بين المزارع حتى وصلت إلى المنزل.

ذهبت وإخوتي لأخذ الحقيبة بعد أن هدأت العاصفة.

وفي الهيجاء ما جربت نفسي

ولكن في الهزيمة كالغزال!!

الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول: إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية كما نردد دوماً.
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.
ضيفنا العزيز: حمزة بن أحمد بيت المال
أستاذ الإعلام بجامعة الملك سعود
يقدم لنا شيئًا من وجهة نظره فيما يلي:

حمزة بيت المال :

السعودية مادة دسمة للجميع سياسيًا وجنسيًا..

- الفضائيات العربية الجادة... هل هي على الجادة؟

لا توجد قناة عربية جادة بالمعنى الإعلامي الصحيح، وكل القنوات العربية التلفزيونية الفضائية مسيسة وتحقق أهداف من يملكها بلباس الرأي والرأي الآخر.

- القضايا السعودية مادة أساسية في القنوات الفضائية العربية؟

السياسة والجنس هما عنصرا الإثارة الأساسي في غالبية القنوات التلفزيونية الفضائية العربية...

وقد درجت القنوات الفضائية على أن كل قناة تنتقد نظام الحكم وسياسة الدول العربية الأخرى، أما نقد نظام الحكم أو السياسة لدولة القناة فهو أمر غير وارد إطلاقًا...

كل واحد يرى عيوب الآخرين وينسى عيوبه... والسعودية مادة دسمة للجميع سياسيًا وجنسيًا. والسبب في ذلك يعود لعدم وجود جهة تنظم عمل



- لا توجد قناة عربية جادة!

- الباحثون والمفكرون يستغلون الصحافة للوصول إلى مناصب رفيعة وشهرة اجتماعية .

- نظرية المؤامرة يشيعها من لا يرغب في تقدمنا .

القنوات العربية الفضائية.

لقد استغلت هذه القنوات ميزة التوزيع عن طريق الأقمار الصناعية التي ساعدتها على تجاوز الحدود والوصول إلى جماهير في دول أخرى دون أن يكون لها أي التزامات قانونية أو أخلاقية حيال الجمهور الذي يتلقى هذه القنوات.

لذلك اقترح إنشاء مجلس على مستوى الدول العربية لهذه القنوات من أجل تنظيم هذه العملية، فالفضاء العربي أصبح مسرحًا لمن يملك المال ولديه رسالة ليس بالضرورة أن تتفق ورغبات أو احتياجات الجمهور المتلقي.

- شراء مساحات إعلانية مدفوعة الثمن لتحسين الصورة... تضر أكثر مما تنفع!

من حيث المبدأ الإعلان يبيع السلع والدول على حد سواء.

لكن يجب أن تكون الإعلانات المخصصة لبيع الدول تقع ضمن خطة واضحة المعالم ومدروسة توضح أن استخدام الإعلان لهذا الغرض سيحققه. أما إذا كان الأمر لاستخدام الإعلان من أجل الإعلان نفسه فقط فإن هذا غير صحيح وسيضر أكثر مما ينفع.

- الأكاديميون خلقوا للتنظير وليس للممارسة!

خطأ شائع وشماعة يعلق عليها الممارسون فشلهم حتى لا يتغير الوضع عليهم.

- الباحث والمفكر يقع في الفخ حين تستدرجه الصحافة للكتابة!

ليس واضحًا من الذي وقع في الفخ... فبعض الباحثين والمفكرين يستغلون الصحافة للوصول إلى مناصب رفيعة وشهرة اجتماعية على حساب الصحف.

- «ردة الفعل» سمة لازمة للإعلام والسياسة العربيين؟

جل الممارسات الإعلامية والسياسية في العالم العربي مبنية على ردة الفعل ولا يوجد تخطيط استراتيجي.

- «قناة فضائية إسرائيلية بلغة عربية» من سيصدقها؟

من مل تضليل الإعلام العربي.

- «قناة فضائية عربية للعالم الغربي» من سيشاهدها؟

إذا كانت باللغة الإنجليزية وأحسن اختيار المشرفين عليها، وتم توفير ميزانية مناسبة لها ستكون مشاهدة...

لأن هناك الكثير ممن يتعاطف معنا لكن لايسمع صوتنا، خصوصًا ممن لهم تجارب مباشرة مع العالم العربي سواء بالعمل في إحدى الدول العربية، أو زار دولة عربية للسياحة أو غير ذلك.

- «هامش الحريات» في العالم العربي هل يتوسع أم يضيق أم لا يوجد هامش حرية أصلاً؟

هامش الحرية الآن ضيق جدًا لكن الطوفان قادم ولن يقف في وجهه أحد، خصوصًا مع تقنيات الاتصال الحديثة.

- الإعلاميون العرب من يحميهم؟

تحميهم الممارسات الإعلامية المحترفة والموضوعية بعيدًا عن الأهواء والأغراض الشخصية.

- الإعلام العربي هل هو شيء مختلف عن السياسة العربية؟

الإعلام يريد أن ينطلق ويقود التغيير لكن السياسة تحجمه.

- تطوير مطبوعة محلية يتطلب...؟

دراسة جدوى وتخطيطًا جيدًا لتحديد طبيعة المطبوعة والجمهور المستهدف... أو فلوسًا زائدة عند بعض شعراء الشعر الشعبي.

هامش الحرية ضيق .. لكن الطوفان قادم!

ممارستنا الإعلامية ردة فعل فقط!

لأنهم فاشلون يتهمون الأكاديميين بالتنظير!

حمزة بن أحمد بيت المال

- سنوات طويلة يتطلب الأمر لإصدار الأنظمة الصحفية وسنوات لتوضيح لوائحها التفصيلية... وعندها يكون الزمن قد تجاوزها!

ماهي المشكلة؟! نبدأ من جديد. والزمن في العالم العربي مبني على مفهوم «وسع صدرك».

- طلاب أقسام الإعلام هل يتعلمون المهارات الاعلامية أم شيئًا يشبهها؟

طلاب الإعلام يتعلمون الأسس العلمية للممارسات الإعلامية، لكن ليس بالضرورة أن يكون كل خريجي الإعلام مذيعين أو كتاب أعمدة يومية.

العمل في الصناعة الإعلامية واسع، وهناك أكثر من ٦٠ مجال عمل في التلفزيون فقط.

- ما الذي يجعل خريجي أقسام الإعلام «يتأقلمون» مع الصحافة المحلية؟

الأصحاب والشلة.

- إلى أي حد أسهم أستاذ الإعلام في تطوير الإعلام السعودي؟

للأسف بشكل محدود لعدم إعطاء الفرصة.

- جمعية الإعلام والاتصال السعودية و«هيئة الصحفيين السعودية»... هل أنت متفائل؟

مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة.

- الصحف السعودية تقرأ من الوسط (حيث صفحات الرياضة)!

نعم وبعدها الصفحات الأخرى...

المهم أن يقرأ الواحد حتى ولو إعلانات الشوارع.

- لا يمكن للصحفي السعودي أن يقول «لا» لرئيس تحرير مطبوعته فالباب «يسع جملاً»؟

الله يستر.

- مقالات الرأي في صحافتنا المحلية تفصح أن «لا رأي»!

هذا بحد ذاته رأي.

- الدور الذي تحسن الصحافة القيام به هو الإعلان.

و لو... الإعلان خدمة إعلامية يا باشا... واسأل المدير العام.

- الصحافة المحلية مرآة «مكسورة» للواقع المحلي، ومرآة «صافية» للواقع الخارجي!

لا يوجد من يحاسب على الواقع الخارجي.

- بعد ١١ سبتمبر، أمريكا تخض العالم.. متى سيتشكل «الزبد»؟

إذا تحقق ما تسعى إليه...

وانظر إلى أفغانستان والعراق.

- لماذا لا يعرف العرب كيف يتحدثون مع أمريكا؟

لأن كل واحد يقرأ في صفحة مختلفة ومن كتاب مختلف...

بمعنى أنه لا توجد استراتيجية موحدة أو خطاب واحد...

حمزة بن أحمد بيت المال

الإعلان يبيع السلع والدول على حد سواء . .!

مطلوب مجلس أعلى عربي لتنظيم القنوات العربية الفضائية!

المسميات والمصطلحات تستخدم لوصم الآخر . .

كل واحد يرغب كسب الود على حساب الآخر.

- «سذاجة وسطحية» الرأي العام الأمريكي «كذبة كبرى».

الرأي العام واع ويعرف ما يريد لكنه يتأثر بوسائل الإعلام.

- رضا «توماس فريدمان» انتصار إعلامي!

إذا كان هذا رضا إعلامي فكيف سيكون رضا الساسة؟!

- هل ننجح بالإعلام الذكي أم بالسياسة الحازمة؟

الإعلام واجهة السياسة، ولا يمكن أن يبيع الإعلام سياسات فاشلة.

- وثيقة «على أي أساس نتعايش» حركت ماء البحيرة!

زوبعة في فنجان.

- على استحياء تحدثت بعض الصحف المحلية عن الوثيقة!

يبدو أنها لا تعبر عن رأي أغلبية، وإلا لكان الإعلام توسع في الحديث عنها.

- الوصاية على الانترنت «استبداد» أم «حماية»؟

حجة الرقيب أنها حماية... حماية من؟ من ماذا؟ ولصالح من؟!

- يمكن استشفاف الرأي العام -الآن- من خلال الإنترنت؟

احذر من ذلك لأن من يستخدم الإنترنت هم فئة محدودة، وليس كل من يستخدم الإنترنت يستطيع التعبير عن رأيه...

لأن الدخول على منتديات الحوار مقصور على فئة معينة...

وهي فئة تحرص على فرض رأيها وإيهام الرأي العام بأن هذا هو رأي الاغلبية.

- مواجهات الانترنت «المنتديات» تدل على..

الوجه الآخر للإعلام المراقب...

حيث إن المواجهات في الموضوعات التي تهم المجتمع يجب أن تتم في العلن وبأسماء معروفة في الإعلام العام (الصحف).

- الانترنت يسحب البساط من تحت «عكاز» الصحافة؟

لم يحن هذا الوقت بعد...

هناك فئة محدودة الآن تلجأ للصحف الإلكترونية للحصول على المعلومات...

لكن صاحبة الجلالة لا تزال هي وسيلة الغالبية.

- هل «عنكبوت» الانترنت من النوع السام أم هو مثل «أم عشيش» يمكن التعايش معها؟

سامة وتقتل لمن لا يحسن التعامل معها.

- الانفتاح على الآخر يلزمه نوافذ ترفضها الجمارك «القومية»؟

مسكين رجل الجمارك، واسأل المسؤول عنه.

- «نظرية المؤامرة» أفيون الشعوب.

حجة الضعيف نظرية المؤامرة.

- أصبح «رد الفعل» سمة لمجتمعاتنا وإعلامنا.

ليس في الإعلام فقط وإنما أيضًا في المجالات الأخرى.

- أول خطأ نقع فيه أفرادًا كنا أو جماعات أن نقدم أنفسنا كأوصياء على المجتمع.

كل واحد منا يعتقد أنه يملك الحقيقة «أبو العريف»... والسؤال إلى متى سيظل هذا الحال؟!

- عندما يعوق فكر «ما» حركة تطور «ما» فالأفضل «ما»؟



حمزة بن أحمد بيت المال

التطور والتغيير سنة كونية، ولن يقف شيء أمام الإرادة القوية.

- خوفنا من الآخر لأن يعرض بضاعته جيدًا فيسلبنا مقوماتنا؟

الأصيل لن تغريه القشور.

- التحديثيون... التراثيون... المتغربون... لم اشغلتنا المسميات؟

اسأل عن من هو المستفيد بإشغالنا في المصطلح... المسميات تستخدم لوصم الآخر وتأطيره... حتى ينشغل بالدفاع عن نفسه وينسى الهدف الأساسي.

- أمريكا قوية لأنها تعيش كل النقائض!

استطاعت استيعاب النقائض ووظفتها بشكل إيجابي... ونحن نستغلها من أجل محاربة بعضنا، وإحباط أي محاولة للتنمية الحقيقة.

- الجامعات الأجنبية في الوطن العربي... استعمار بثوب جديد!

نظرية مؤامرة يشيعها من لا يرغب في تقدمنا... ويستمتع ببقائنا في جلباب الماضي حتى يحافظ على مكاسبه ولا يخسرها.

- أيهما أسهل أن نرسل أبناءنا إلى جامعات أمريكية أم نأتي بالجامعة الأمريكية لهم؟

كأنك تقول لطالب الجامعة خذ هذا الكتاب وتعلمه في بيتك... المادة العلمية ليست الهدف بحد ذاته وإنما ثقافة ومحيط التعلم هو المهم.

- حملة الدكتوراة من «بره» شايفين أنفسهم على حملتها من «جوه»!

ليس بالضرورة... حاملو شهادة الدكتوراه نوعان: نوع تفخر الشهادة به، ونوع يفخر بالشهادة... هذا شيء، والشيء الآخر لا تنس موضوع اللغة الإنجليزية فأكثر من ٨٠٪ من الإنتاج العلمي الآن هو باللغة الإنجليزية.■

أحياناً المشاعر الكبيرة لا تحتاج إلا إلى عبارات صغيرة، كما أن بعض الأفكار الكثيرة تحتاج إلى كلمات قليلة للتعبير عنها.

هذه هي لغة السر في سر اللغة!

«ثرثرة» ..لا يقصد بها دوماً كثرة الكلام، بل قد تعني الكلام الذي يُلقى على عواهنه.. بكل بساطة.

هكذا «ثرثرة» هنا، كلام يلقى على عواهنه.. فخذوه أنتم أيضًا على عواهنه.. بكل رحابة صدر.



عبدالغني رجب - القاهرة

- السعادة لا يمكن أن تحصل عليها إلا إذا أعطيتها للآخرين!!

- لا تكره الناس فأنت أيضًا من الناس.

- أجمل هدية تقدمها لصديقك أن تعلمه كيف يضحك من متاعبه.

- المعرفة والصداقة والجمال كنوز تسعدك في شيخوختك.

- الابتسامة الجميلة هي اللغة العالمية.

- إنك لا تستطيع احتضان العالم كله بجسدك لكنك تستطيع احتضانه بروحك!!

- أعرب عن مشاعرك ولكن بعد أن تضع عليها علامات الإعراب.

- الجميع يبحثون عن الحقيقة حتى إذا ما وجدوها فروا هاربين!!

- لا يكفي أن تنطق بالحق، يجب أن تنطقه أمام من يفهمه.

- قل كلمة الحق وبعد ذلك أسلم ساقيك للريح.

- إن شجاعة الاعتراف بالخطأ ليس معناها أنك غير مطالب بتصحيحه.

- إذا حاولت أن تفهم كل شيء فلن تفهم شيئًا!!

- الناس على نوعين: نوع يشق طريقه في الحياة ويعمل، ونوع يقبع في مكانه ويسأل.

- لن تعرف سر الحياة بتشريح الكائن الحي. فبالتشريح لن تجد سوى لحم ودم وعظم وأكارع!!

- نحن ندرس الإنسان بالتجزئة، لكن في تكامله يكمن سره.

- انظر للإنسان كما هو، ولا تنظر إليه كما تحب أنت أن يكون.

- كل شيء قابل للتفاوض إلا الصدق.

- البعض يثبت ذاته عن طريق نفي ذوات الآخرين!!

- لماذا تبحث لنفسك عن جاذبية والجاذبية من صفات الأرض؟!

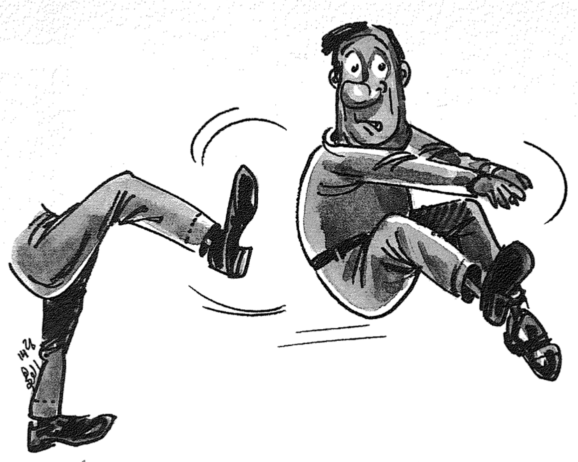
- الغرور هو مرض صغار النفوس.

- الذي يريد أن يقام له تمثال يريد أن يصبح صنمًا من الأصنام.

- الذي يحب نفسه فقط لن يجد منافسًا.

- إنكار الذات معناه إثباتها وتقويتها.

- قد تكون المعونة الصادقة ركلة قوية من الخلف تدفعك للأمام.



- في الدنيا الجحيم هو الآخرون، والنعيم هو الآخرون، وهذا يتوقف على الآخرين (أيضًا)!!

- شيء ما في الحياة يجعلها غير قابلة للفرح!!

- عندما تعيش مع روحك فلا أهمية للمكان الذي يحتله جسمك.

- أحيانًا تكون برودة الجو أو حرارته بسبب من تجالس!!

- لم أجد رفيقًا يستحق الصحبة كالوحدة الطيبة.

- الحوار مع إنسان ذكي الفؤاد هو أكبر متع الحياة.

- دومًا احتفظ بمسافة بينك وبين الآخرين حتى لا تنتقل إليك الأمراض المعدية الفتاكة.

- أجعل الستار بينك وبين الناس حريريًا.

- يجب عليك أن تهب نفسك للآخرين لكن ينبغي لك ألا تفقد نفسك.

- انس ما لك عند الآخرين ولا تنس ما لهم عندك.

- الذي يسرف في قطع الوعود يسرف أيضًا في النسيان!!

- مع الأصدقاء جرب العطاء تنس لذة الأخذ.

- الإنسان مخلوق قابل للكسر لكنه يستطيع أن يجبر كسره بالصبر والإيمان.

- إذا عجزت عن الصفح فافتح طريقًا للنسيان.

- هناك طريقة واحدة لكي لا تريق ماء وجهك هي أن تحتفظ بالنصف الأسفل منه مغلقًا.

- يرى صديقي أن العالم ينقسم إلى ذئاب وحملان، وهو يرفض أن يكون ذئبًا شرسًا قاسي القلب يلتهم الحملان، ويأبى أن يكون حملاً تلتهمه الذئاب. ولذلك قرر أن يصبح فيلاً!!

- كان أحدهم مدينًا لي بالكثير مما يجعله على أهبة الاستعداد لانتهاز أي فرصة للغدر بي!!

- ما أكثر الأعداء حين يكون الإنسان ناجحًا، وما أكثر الشامتين حين يكون الإنسان فاشلاً!!

- لو أنني غربلت أحبابي معًا

لم يبق لي منهم سوى الغربال

- عندما وجدت جميع الناس يتآمرون ضدي انضممت إليهم!!

- لا تظهر قروحك وجروحك للآخرين حتى لا يضربوا عليها بشدة.

- الطبيب النفسي صديق لمريضه... لكنه صديق يأخذ ثمن صداقته في صورة «فواتير» باهظة! ولذلك يسمى البعض العلاج النفسي «صداقة للبيع».

- أحيانًا يكون أعظم ما تفعله لإنسان أن تدعه وشأنه.

من سوسيولوجيا الثقافة (٤)



زياد الدريس
ziadd101@almarefah.com

الإنسان بين خيارين ..

كائن قروي أو قرية كونية

قبل خمسين سنة كان آباؤنا يرون الكون كبيرًا فسيحًا لا يمكن الوصول إلى أطرافه إلا برحلة تمتد إلى شهور أو سنوات. مقابل ذلك الكون الكبير كانت الأحلام والأماني والطموحات لذلك الجيل صغيرة وبسيطة. كان يريد أن يقتطع من ذلك الكون الكبير مساحة صغيرة تكفي لمسكنه من غرفتين أو ثلاثة. هذا على صعيد المكان، أما على صعيد الزمان فإن الإنسان آنذاك يريد من ذلك الوقت الفسيح (حتمًا لم يكن اليوم ٢٤ ساعة فقط!) سويعات قليلة ينجز فيها «مشروعه» الزراعي في حقله الصغير أو الصناعي في دكانه المحدود.

ما الذي يحدث الآن؟

أمانينا وطموحاتنا تكبر وتتمدد بينما الكون يصغر وينكمش، الأراضي السكنية تتزاحم بينما نريد بيوتًا واسعة فسيحة، الوقت يضيق ويمرق (حتمًا لم يعد اليوم ٢٤ ساعة!) وجداول أعمالنا تتمدد ومواعيدنا واجتماعاتنا تتكاثر.

الذي حدث هو أنه لم يتحول العالم الفسيح الضخم إلى قرية كونية صغيرة فقط، بل أيضًا تحول الإنسان من كائن قروي صغير إلى إنسان عالمي ضخم!

أي أن العالم تضاءل من تضخم وأن الإنسان تضخم من تضاؤل.

وهو ما جعله يشعر بأنه في زحام دائم.. زحام جسدي، وزحام نفسي، يفضي هذا أحيانًا إلى ازدياد الرغبة الإنسانية في القتل، القتل الدولي والقتل الفردي، ربما رغبة في تخفيف الزحام!

ما الذي حوّل الكون إلى هذا الضيق والتصاغر؟ لا ريب أن وسائل النقل المتطورة كان لها دور كبير في تقليص الجهات الأربع، لكن المؤكد أن وسائل الإعلام بوصفها أسرع وسيلة نقل هي المؤثر الأكبر في تصغير العالم وتكبير الإنسان، حتى أصيب بالشيخوخة المبكرة بحيث أصبح الإنسان الآن يصل مرحلة الشباب وقد اطلع ورأى عددًا حافلاً من الخبرات والمعلومات والحروب والملاهي والجنسيات والمناخات ما لم يطلع عليه شيخ كبير بعمره الممتد في ذلك الزمن.

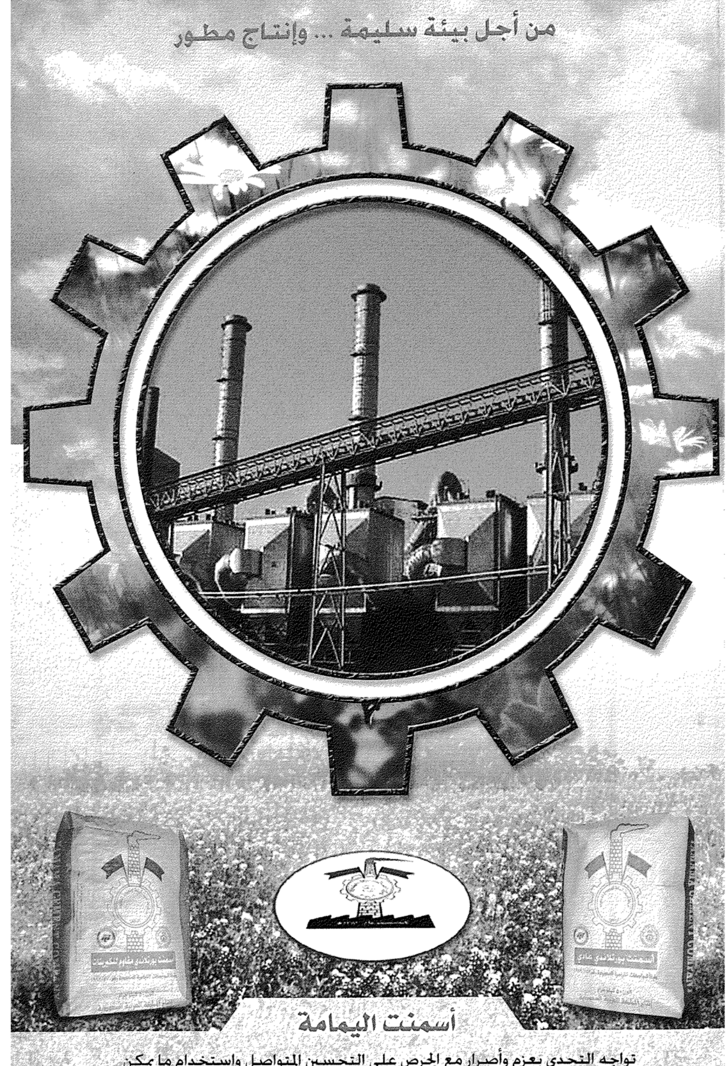
هل كان يمكن لإنسان ما قبل نصف قرن أن يعرف عن إنفلونزا الطيور التي تفشت في الصين قبل أن تصل إليه، وأن يعرف عن صواريخ سكود قبل أن تسقط على رأسه، وأن يعرف عن ثورة الجياع في فرنسا قبل أن يشبع هو؟!

إذا كانت وسائل الإعلام هي التي أصابت الإنسان بالشيخوخة المبكرة، فهل وسائل الإعلام نعمة أم نقمة، هل نفعت الإنسان أم ضرته.

قد تكون نفعت وقد تكون ضرت، لكن المؤكد أن الإنسان لم يعد قادرًا على العيش بدون وسائل إعلام، إلا إذا رضي أن يعود للتحول من إنسان عالمي ضخم إلى إنسان ضئيل في بقعة فسيحة يبحث عنها هو بنفسه في الكون الضيق!

أي أن الإنسان الآن بين خيارين: أن يعيش في قرية كونية، أو يعيش كائنًا قرويًا! ■




من أجل بيئة سليمة ... وإنتاج مطور
أسمنت اليمامة
تواجه التحدي بعزم وأصرار مع الحرص على التحسين المتواصل واستخدام ما يمكن